كتابي

١٠ قروش



الجرّة المكسورة!

(لوحة بمتحف اللوفر، للرسام "جروز")

حلمي مراد



«كيوبيد» .. ومحبوبته «سايك»

تمثال رائع بفيللا كارلوتا ، على ضفة بحيرة « كومو »



الهة الربيع .. تمثال يتوسط متنزه شاطىء « سان ريمو » بالريفيرا

كتابي

كتاب شهرى لتلخيص الكتب العالمية

يصدر أول كل شهر

صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

شعار الكتـــاب

مصباح الفكر عند الاغريق

الكتاب الثالث والاربعون (السنة الرابعة) : أكتوبر ١٩٥٥

الاشتراكات ومجموعة الاعداد السابقة :اقرأالتفصيلات بالداخل

الادارة : عمارة الجندول ـ ١٤ شارع ٢٦ يوليو ـ بالقاهرة

تليفون : ٥٩٥٥٦

محتويات الكتاب

عزيزى القارئ ..

رد على تساؤل

◆ قبل أن أخلى بينك وبين مواد هذا العدد ، التى أعتقد انك سوف تجد فيها مجموعة ممتازة من الموضوعات الشائقة المنوعة ، تتيح لك أن تنطلق فى سياحة فكرية ممتعة ، عبر مختلف الثقافات والازمان .. أعود بك الى أحد موضوعات العدد الماضى ، وهو مسرحية « البطل » أو « LE CID » للاديب الفرنسى الخالد « كورنى » .. فقد تلقيت بشأنها عدة رسائل ، يستوضحنى فيها أصحابها عن سر التوافق العجيب بين كلمة « سيد » العربية ، وكلمة CID الفرنسية ، وكيف يمكن أن يكون نطق الكلمتين ومعناهما واحدا ، رغم اختلاف اللغتين ، وبعد الشقة بينهما !

ورغم انى أجبت على هذا التساؤل اجابة عابرة ، فى تقديمى للمسرحية المذكورة ، الا انى لا أرى بأسا فى أن أزيد الامر ايضاحا وتفصيلا فى حديثى اليك اليوم : فكلمة CID التى اتخذها « كورنى » عنوانا للمسرحية هى لقب أطلقه الاسبان على فارس شهم من أبطالهم المحاربين عاش فى القرن الحادى عشر ، وكان يدعى « رودريجو دياز » . وقد اشتق القوم هذا اللقب من كلمة « سيد » العربية التى يتداولها المغاربة فى مراكش ، (وقد كان المغاربة يحتلون الجزئين الجنوبى والاوسط من أسبانيا فى ذلك العصر) .. ومن هنا تصح ترجمة عنوان مسرحية « كورنى » المشار اليها ، بكلا اللفظين أو المعنيين : اللفظ الحرفى وهو « السيد » ، ـ بنفس معناه فى اللغة العربية ـ أو يترجم العنوان بالمعنى المجازى للكلمة ، وهو « البطل » ..

أما قصة ذلك « السيد » أو « البطل » الاسبانى الذى أوحت بطولته الى كورنى بكتابة مسرحيته ، بعد نحو سبعة قرون من وقوع الاحداث الموحية بها .. فتتلخص فيما يلى :

لاكرامة لنبى فى وطنه !

◆ عاش « رودريجو دياز » فى الفترة بين عامى ١٠٤٣ و ١٠٩٩ ، وكانت اسبانيا وقتئذ نهبا مقسما بين النفوذين المسيحى والاسلامى ، اذ كان المغاربة المسلمون يحتلون عددا من ولاياتها ، فكان العصر عصر فوضى واضطرابات وحروب ، دينية وعنصرية ، ومنازعات اقطاعية مريرة .. ومن ثم كانت البطولة العسكرية أولى الفضائل المطلوب توفرها فى الفرد ، وأجدر هذه الفضائل بالرعاية والاحترام .

وكان « رودريجو » نبيلا مسيحيا من مدينة (كاستيل) ، عرف بالبراعة والشجاعة فى القتال وفنونه ـ حتى لقد قاد جيش ملك كاستيل وهو مايزال فى سن العشرين ! ـ ثم منح لقب « الفاتح » أو « الغازى » على اثر انتصاره فى مباراة فردية على بطل أرسله حاكم (نافار) خصيصا لمنازلته !

وظل « رودريجو » مستمتعا بالعطف الملكى ، حتى جاء ملك جديد بعد سنوات فأمر بنفيه من البلاد !.. فانطلق الفتى مع حفنة من الفرسان المخلصين يبحث لنفسه عن مستقبل لامع ، واختير بالفعل قائدا فى خدمة ملك (سراقوسا) المراكشى ، ثم حاكما للمقاطعة الغنية التى اقتطعها لنفسه من أقليم (فالنسيا) . وقد ظل فى المنصب الاخير نحو ٥ سنوات ، صد خلالها هجومين شديدين لجيوش المغاربة الجرارة ـ وكان هؤلاء يحتلون يومئذ أجزاء من اسبانيا كما أسلفنا ـ لكنه مات حزنا وكمدا فى عام ١٠٩٩ ، حين انهزمت قواته أمام المغاربة !

وانه لمن أعسر الامور فصل الحقائق الواقعة المتعلقة « بالسيد » ، عن الاساطير الخرافية التى نسجت حوله ونسبت اليه !.. ومن الطريف ان الكتاب المراكشيين المعاصرين يطلقون عليه « كلب غاليسيا » !.. رغم اضطرارهم الى الاشادة بمواهبه وشجاعته الفائقة . وهم يزعمون انه لم يكن أكثر من مغامر خائن متحجر القلب ! لكن قصيدة وجدت مكتوبة بالاسبانية بعد موته بنحو ٤٠ عاما ، تنصف الرجل وتشهد له شهادة رائعة بأنه كان « ذا خلق قويم ، شجاعا ، وفيا ، ومحاربا باسلا ، يسعى فى الوقت نفسه الى المجد والثراء وامتلاك الاراضى والضياع ، كمكافأة له على جهده ! »

وفى القرن الثانى عشر صار « السيد » بطلا فى اعتبار مصارعى الثيران ، الذين نسبوا اليه مغامرات عجيبة ، من بينها غزوة وهمية لفرنسا !..وطوال القرون التالية ، غدت قصته مصدر الوحى لكثير من شعراء أسبانيا وأدبائها .. ثم جاء « كورنى » الفرنسى فنسج حولها ـ فى القرن السابع عشر ـ خيوط مسرحيته الخالدة التى قدمتها لك فى العدد الماضى .

وأحسب ان فى هذا القدر الكفاية ..

ولك خالص تحياتى

حلمى مراد

كتابى

أعداد نفدت

الكتب الستة الاولى ، والادارة مستعدة لشرائها .

أعداد توجد نسخ منها بالادارة

كتابى السابع « **عشيقة نابليون** » ، والثامن « **مذكرات كيوبيد** » ، والتاسع « **صنم تحطم** » ، والعاشر « **حديقة الله** » ، والحادى عشر « **عندما تحقد المرأة** » ، والثانى عشر « **لعبة الحب والموت** » ، والثالث عشر « **توبة خاطئة** » ، والرابع عشر « **أيهـا الربيع ترفق** » ، والخامس عشر « **الشيطـان على الارض** » ، والسادس عشر « **ليدى هاملتون** » ، والسابع عشر « **الارملة المرحة** » ، والثامن عشر « **حياة جورج صاند** » ، والتاسع عشر « **حياة سارة برنار** » ، والعشرون « **رباعيات عمر الخيام** » ، والحـادى والعشرون « **حياة بتهوفن** » ، والثـانى والعشرون « **حياة موسولينى** » ، والثالث والعشرون « **كوخ العم توم** » ، والرابع والعشرون « **الزوج والعشيق** » ، والخامس والعشرون « **البوهيمية** » ، والسادس والعشرون « **فتاة لها ماض** » ،والسابع والعشرون « **ترويض النمرة !** » ،والثامن والعشرون « **فن الحب** » ، والتاسع والعشرون « **الجريمة والعقاب** » ، والثلاثون « **المنافق** » (**طرطوف**) ، والحادى والثلاثون « **أميرة مصر** » ، والثانى والثلاثون « **الامطار** » ، والثالث والثلاثون « **أفروديت** » ، والرابع والثلاثون « **أقنعة الحب السبعة** » ، والخامس والثلاثون « **سالومى** » والسادس والثلاثون ، والسابع والثلاثون ، والثامن والثلاثون ، والتاسع والثلاثون ، والأربعون ، والحادى والاربعون ، والثانى والاربعون

◆ **وتطلب** من ادارة كتابى : ١٤ شارع ٢٦ يوليو بالقاهرة (عمارة الجندول)، وثمن كل عدد (من العدد ٧ الى ٢٤) ١٠ قروش خالصا أجرة البريد (المسجل) ماعدا الاعداد ١٣، ١٦ ، وثمن كل منهما ١٢ قرشا ، والعدد العاشر ، والعدد العشرون ، وثمن كل منهما عشرون قرشا .. وابتداء من العدد ٢٥ ثمن كل نسخة بالبريد المسجل ١٢ قرشا

◆ **ملاحظة : ترسل القيمة فى مصر والسودان باذن بريد عادى ، وفى الخارج بشيك على أحد بنوك القاهرة ، ولا تقبل العملة الاجنبية أو أذون البريد الخارجية. وتحرر الاذون والشيكات باسم صاحب المجلة شخصيا**

مطبـوعات كتـابى

صدر منها حتى الآن :

١ ـ قصة مدينتين **٢ ـ ذات الثوب الابيض**
٣ ـ الخـالدون **٤ ـ الخاطئــــة**
٥ ـ حياة امرأة (الجزء الاول) **٦ ـ حياة امرأة (الجزء الثانى)**

وثمن كل من الاول والرابع ، عشرون قرشا خالصـا أجر البريد المسجل (نظرا لوشك نفادهما) ، والثانى ١٢ قرشا ، والثالث ١٠ قروش ، والخامس والسادس ثمانية قروش

« كتابى » يشترى الاعداد الخمسة الاولى من القراء !

نظرا لالحاح الكثيرين من القراء فى طلب الاعداد الخمسة الاولى من « كتابى » ، ولتعذر اعادة طبعها فى الوقت الحاضر ، ولما كان لا يبعد ان يكون لدى البعض اكثر من نسخة من الاعداد المذكورة ٠٠ فقد رأت ادارة « كتابى » **أن تعلن عن استعدادها لشراء أى عدد من نسخ الاعداد الخمسة الاولى ، تمهيدا لتمكين من تنقصه الاعداد المذكورة من اقتنائها بعد ذلك من الادارة ٠ فالرجا الاتصال بالمجلة فى هذا الشأن ، على أن يكون تسليم النسخ اليها حضوريا أو بالبريد المسجل ٠**

الاشتراك فى « كتابى »

◆ **ترسل** جميع الاعداد الى المشتركين : بالبريد المسجل ٠ وقيمة الاشتراك فى مصر والسودان : عن سنة (١٢ عددا) : ١٢٠ قرشا ، وعن نصف سنة (٦ أعداد) ٦٥ قرشا ــ فى الخارج (العراق وسوريا ولبنان والاردن الخ ٠٠) ترسل القيمة بشيك أو بحوالة بريدية نقدية Money Order عن طريق مكاتب البريد وتحتسب القيمة بما يوازى ١٣٠ قرشا (عن سنة) و٧٠ قرشا (عن نصف سنة) ٠ وفى الحجاز والكويت وعدن وحضرموت واليمن وقبرص وانجلترا وأمريكا وفرنسا واستراليا قيمة الاشتراك ١٦٠ قرشا (عن سنة) خالصة أجر البريد، وفى المانيا ١٦٠ قرشا (عن سنة) بخلاف أجر البريد الجوى



نافذة «كتابي» تطل على العالم :

رأيت وسمعت لك في أوربا

للمحرر

تعال معى الى مدينة النور ..

◆ حدثتك فى الفصل السابق عن مدينة (بريجنز) ، الراقدة على ضفاف بحيرة (كونستانس) ، على الحدود النمسوية الالمانية .. ومنها ركبنا السفينة عبر البحيرة الى (لنداو) بألمانيا ، ثم الى (كونستانس) ، التى يقع نصفها فى المانيا ونصفها الآخر فى سويسرا ! .. وبعد ذلك انطلقنا الى (شافهويزن) ، حيث مساقط شلالات الراين الجبارة ، ومن هناك واصلنا السفر بالسيارة الى (زيوريخ) ، أكبر مدن سويسرا وأعظمها ، سواء فى مضمار الصناعة ، أو فنون المعمار ، أو الموسيقى ..

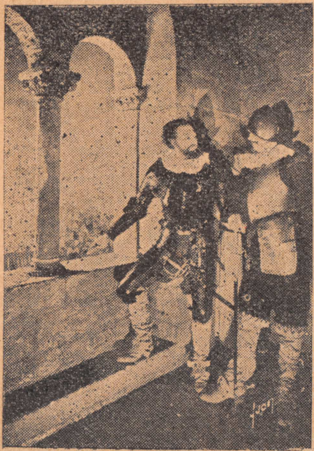
والآن هيا بنا نستقل قطار المساء الذى يغادر زيوريخ فى التاسعة والنصف ، ليقف بنا فى السابعة صباحا فى محطة .. باريس !

اللهو فى باريس .. خدعة !

◆ **والحديث** عن باريس يطول ، ويتشعب ! .. فباريس ليست مدينة ، أو عاصمة ـ مثل سائر عواصم الدول الكبرى ومدنها الرئيسية ـ وانما هى « عالم » بأسره ، عالم قائم بذاته ، له طابعه الخاص أو شخصيته الذاتية التى ينفرد بها .. ويخطىء من يظن ان هذه الشخصية أو ذلك الطابع الذى أعنيه هو « اللهو » .. فاللهو فى باريس ليس سوى خدعة أو « قشرة » سطحية براقة عرف أهلها كيف يخلبون بها لب الزائر العابر المتعجل .. أو قل انها « طعم » أحسنوا استغلاله لجذب السائحين من كافة أقطار الأرض الى عاصمتهم ، كى يقضوا فيها أياما مرحة ويفرغوا فى مغانيها وملاهيها أموالهم ثم يعودوا ليحدثوا غيرهم بما رأوا فيها فيغروهم بزيارتها بدورهم ، وهكذا .. (حتى ليبلغ عدد زائرى باريس وحدها نحو « مليونين » من السائحين فى كل عام ، ينفقون فيها نحو مائة « مليار » فرنك !)

.. أقول ان اللهو فى باريس ليس سوى مجرد « مظهر » سطحى يدر على الدولة ايرادا ضخما ، وهو مظهر قد يحجب

عن الزائر المتعجل جوهر باريس العريق ، الحافل بألوان المتع الفكرية التى لا يدركها الحصر أو التصوير ! .. ولأضرب لك مثلا يقرب هذه الحقيقة الى ذهنك : فأنت قد تستنفد جميع ملاهى باريس الخليعة فى نحو أسبوعين ، لكنك لو أقمت فى باريس عاما كاملا لوجدت كل نهار جديدا تزوره من معالمها ، ووجدت كل مساء مسرحا جديا تستمتع فيه بتمثيلية راقية تفتح أمام ذهنك عالما من الافكار والآراء الجديرة بالتأمل ، أو بالنقاش والجدل !



الملك هنرى الرابع يراقب الحالة أثناء حصار باريس سنة ١٥٩٠ (تابلو مجسم بمتحف الشمع بباريس ، يمثل مرحلة من مراحل تاريخ العاصمة الفرنسية)

.. ومثل آخر ، هو ان ملهى « الفولى برجير » ــ وهو من أقل ملاهى باريس الاستعراضية خلاعة ومجونا ــ يحظى بأضعاف ما تحظى به ملاهى ميدان « بيجال » الخليعة ، من الاقبال والتهافت ، (حتى ليظل برنامجه الواحد يعرض كل ليلة بلا انقطاع لمدة أربع سنوات فى بعض الأحيان ، دون ان يغير !)

كعبة الفن والأدب والثقافة

• **ولقد** صدق من أطلق على باريس وصف « مدينة النور » ! .. فلقد حملت مشعل الفكر فى أحلك عصور الظلام والرجعية .. ومنذ بدأ طور انحلال الامبراطورية الرومانية ، صارت باريس احدى القلاع التى صانت

الحضارة والمعرفة ، حتى اجتازت الانسانية فى أوربا مرحلة العصور الوسطى القاتمة ! ‥ وفى عصر النهضة الزاهر ، صارت باريس كعبة للفن ، والأدب ، والموسيقى ، والمعمار ، والفلسفة ، والثقافة عموما ‥ ومنها انبعثت الآراء والمبادىء السياسية الحرة التى حولت العالم الغربى كله من مجتمع اقطاعى ، الى مجتمع ديمقراطى !

وباريس تعتبر فى نظر الكثيرين أجمل مدينة فى العالم ! لكنها بالنسبة لزائرها الجديد تفوق ذلك بكثير ، فهو يجد فيها - فى آثارها ، وأحجارها ، ومتاحفها ، وكتبها ، ولوحاتها - السجل الكامل للحضارة ، التى زحفت من اليونان ، الى



الملك لويس الثالث عشر والكردينال ريشليو ، مع بعض سيدات البلاط
(من معروضات متحف الشمع بباريس)

روما ، ثم فرنسا ٠٠ ففى معالمها المختلفة ، وأحيائها العتيقة ، وفى مكتبتها الأهلية الزاخرة بملايين المجلدات ، بل فى الكتب القديمة المفروشة على أرصفة السين ، تعيش باريس كعبة للفكر والثقافة على الدوام ٠

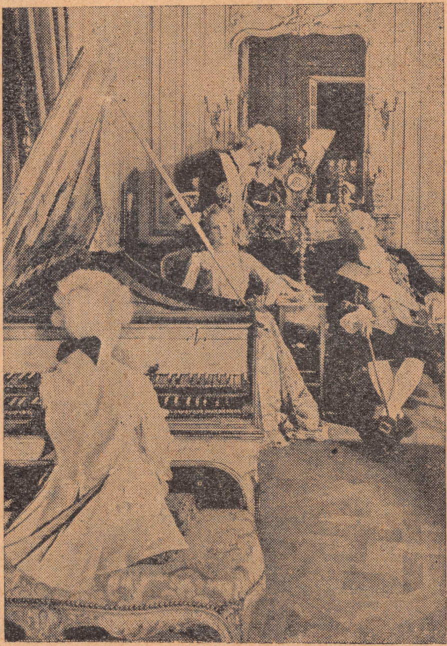
لكن لباريس أيضا جانبها « المادى » ، الى الجانب « المعنوى » ، فهى تشبع المعدة والحواس بقدر ما يشبع جمالها النفس : فيها يتناول هواة الطعام ألذ « أطباق » المأكولات وأشهاها - والمطبخ الفرنسى ذو شهرة عالمية معترف بها - وفيها يعاشر السائح شعبا مرحا ذكيا ودودا ٠٠ وليس أمتع من ان تجلس فى احد مقاهى « الشانزليزيه » أو ميدان الاوبرا ، ذات يوم جميل معتدل الطقس من أيام شهر مايو ، ترقب موكب المارة - القادمين من جميع أقطار العالم يتتابع أمام ناظريك ! ٠٠ وفضلا عن ذلك فهناك مسارح التمثيل التى ما تزال - وستظل - تحتفظ بمجدها ، رغم أنف السينما والتليفزيون !٠٠ وهناك فرق الباليه ، الاوربى والياباني ، تعرض برامجها الكلاسيكية على هذا المسرح أو ذاك ٠٠ وهناك دار الاوبرا العريقة ذات الرواء والبهاء ، تقدم لك أشهر الاوبرات العالمية ، بالفرنسية أو الايطالية ٠٠ وهناك المباريات الرياضية فى مختلف الألعاب ٠٠ الخ ٠٠ الخ

عمر واحد ٠٠ لا يكفى !

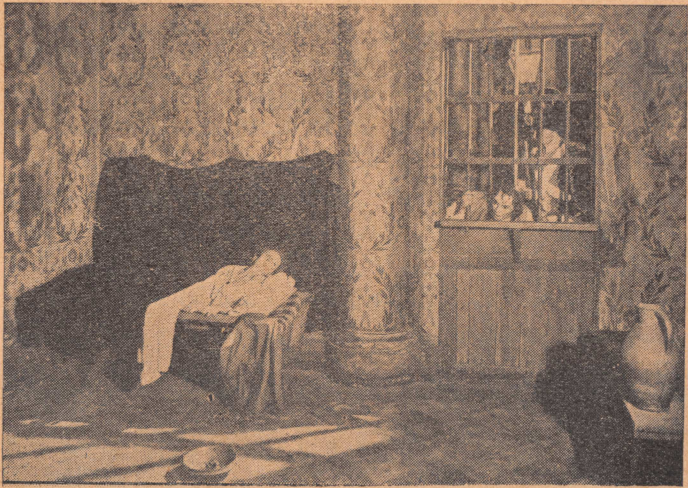
◆ **وقد** تعرضت باريس خلال تاريخها الطويل لكثير من النهضات ، والنكسات ، والانتصارات والهزائم ، والغزوات وجيوش الاحتلال ٠٠ لكن روحها المرحة لم تغلب قط ، بل انها تغالب عوادى الزمن وتزداد جمالا بمرور الأيام ٠٠ ما من جيش تمكن من غزوها غزوا حقيقيا ، ولا من احتلال ترك ظلاله عليها أو على شعبها ٠٠ وخلال حربين عالميتين رهيبتين ، تجنبتها قاذفات القنابل ، خوفا - من جهة - من

غضبة الرأى العام العالمى ، واعترافا ـ من جهـــة أخرى ـ بفضلها « الأموى » على حضارة أوربا وأمريكا جميعا !

أعجبنى قول أحـــد كتابها : « **اننى أغبطك يا من تزور باريس لأول مرة ، فانك اذا كنت ذكيـــا ، مترف المزاج ،**



الملك لويس الخامس عشر مع خليلته المركيزة دى بومبادور ، يصغيان الى عزف الصبى النابغ « موزار » (من تماثيل متحف « جريفـــان » للشـــمع بباريس)



الملك الصبى لويس السابع عشر فى وحدته بسجن « التامبل » ، بعد اعدام والديه (من تابلوهات متحف الشمع)

محبا للمعيشة المرحة ، كانت زيارتك الاولى لها تجربة لن تحس لها مثيلا فى أى مكان آخر من العالم ! ٠٠ ولقد قضيت أنا شطرا كبيرا من حياتى فى باريس ، لكنى ما زلت أعتبر نفسى قادما جديدا اليها ، فان مسراتها لا تنفد ، ولا تكفى لاستنفادها جميعا حياة واحدة ، أو عمر واحد ! »

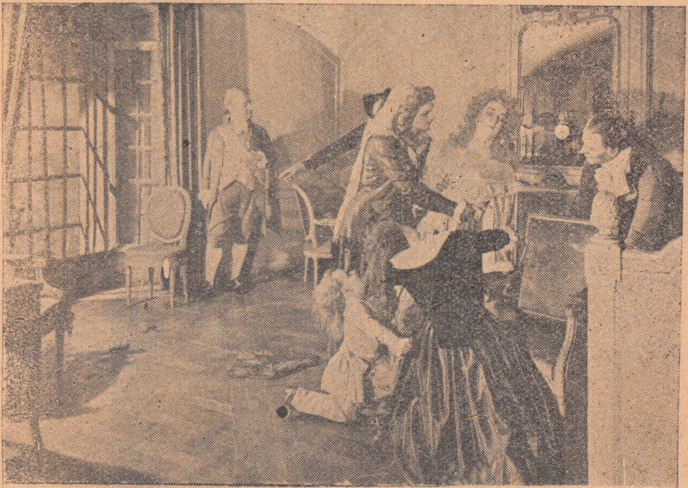
٠٠ واكتشاف تراث باريس ، وكنوزها المدفونة فى باطن الزمن ، يتطلب نفس الاناة ، والصبر ، اللازمين لغواصى البحار ! ٠٠ فزيارتها بسيطة للغاية ، بالنسبة للذين يبحثون عن مظاهرها السطحية فقط ٠٠ لكنها أقل بساطة ، للذين يبتغون الغوص فى دقائقها وأعماقها ٠٠ فهى مدينة ضاحكة

وغامضة ، فى وقت معا ٠٠ عامرة بالحيوية والمرح ، فى قصورها وأكواخها على السواء !٠٠ يختلط فيها الترف والفقر على ضفتى (السين) ، بحيث تتلامس بالمناكب مساكن العمال المتواضعة وحوانيت الاغنياء الخلابة ، وتتبادل التحية !

والفكر فى باريس يتجسم دائما فى حى من أحياء الشباب، الذى يبدو كسولا متواكلا ، فى الوقت الذى يتناظر فيه بالآراء الجديدة ، المعبأة « بالمفرقعات » ! ٠٠ وقد دانت زعامة أحياء باريس زمنا للحى اللاتينى ، ومونمارتر ، ومونبارناس ٠٠ ثم هبطت هالة المجد فى أعقاب الحرب الاخيرة على حى « سان جرمان دى برى » ، ملتقى « الوجوديين » وموطن كهوفهم



محاكمة « مدام رولان » أمام محكمة الثورة الفرنسية (تابلو مجسم بمتحف جريفان للشمع)

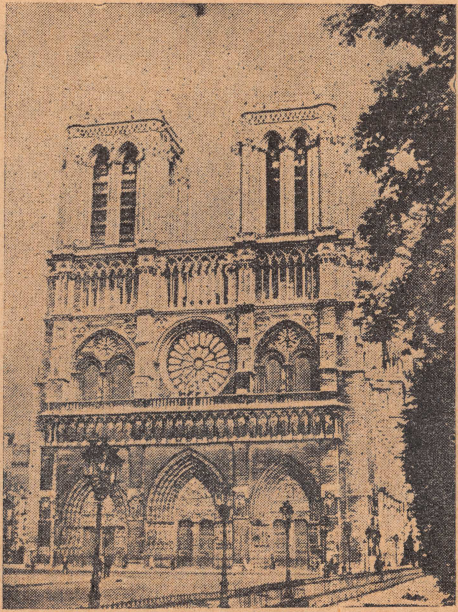


الاسرة المالكة الفرنسية فى سجن « التامبل » ، يوم اعدام الاميرة « دى لامبال » ـ ٣ سبتمبر سنة ١٧٩٢ ـ (منظر مجسم بمتحف جريفان للشمع)

الشبيهة بمقابر الأحياء ! ـ ولهؤلاء حديث آخر فى فصل قادم ـ وفى كل مرة يتغير اسم « حركة » الشباب ، البوهيمية ، الجذابة ، القاسية ٠٠ فهى تارة « سريالية » ، وتارة « وجودية » ٠٠ يتزعمها يوما « بيكاسو » ، ويوما « سارتر » ٠٠ الخ

معالم باريس ٠٠ وليالى باريس

◆ **والحديث** عن باريس ، مدعاة للحيرة ٠٠ فهو جدير بمجلد كامل ، لا ببضع صفحات !٠٠ وهو من السعة والتشعب



واجهة كاتدرائية « نوتردام » ، مفخرة باريس
وموضع اعتزاز شعبها ، كمـــا تبدو عن قرب

بحيث يحار فيه الكاتب ، فلا يدرى من أين يبدأه !٠٠ كيف لا وهو يجد نفسه مضطرا ـ كما قال « جيته » ـ الى ان يقلب ، عند كل منعطف من منعطفات باريس ، صفحة من التاريخ ! ٠٠ أو على حد تعبير « بلزاك » : « ان كل شارع من شوارع باريس ٠٠ عالم كامل ! »

فبأى عالم من هذه العوالم أبدأ ؟

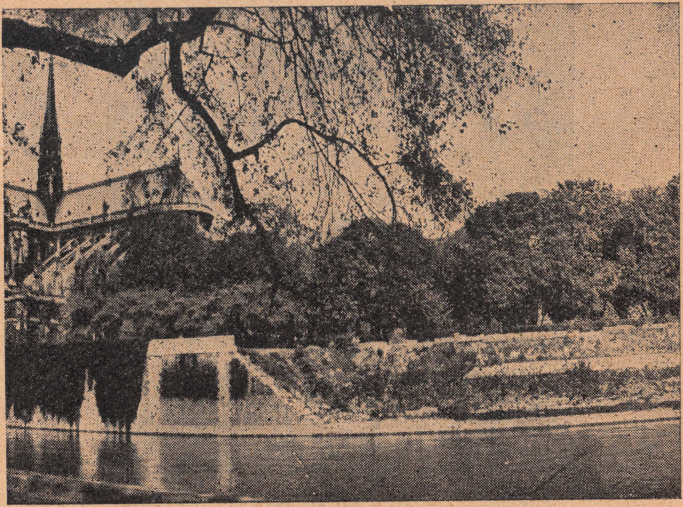
.. بأقدمها ! .. بالشـــارع أو الحى الذى كان بمثابة « الأســاس » الأول لمدينة باريس : حى « الجـــزيرة » L' ILE DE LA CITE .. وهو الحى الذى تتوجه كاتدرائية «نوتردام» ، ويوجد به قصر العدالة ،وسجن«الكونسييرجيرى» ، ويتفرع عنه « الحى اللاتينى » ذو الشهرة العالمية ..

فاذا فرغنا من أعرق أحياء باريس ، مضينا لزيارة متحف



جزء مكبر من أحد الأبواب الضخمة لكاتدرائية « نوتردام » ، وقـد تجلى الفن الرفيـع فى نقوشه البـارزة الدقيقة الصـنع !

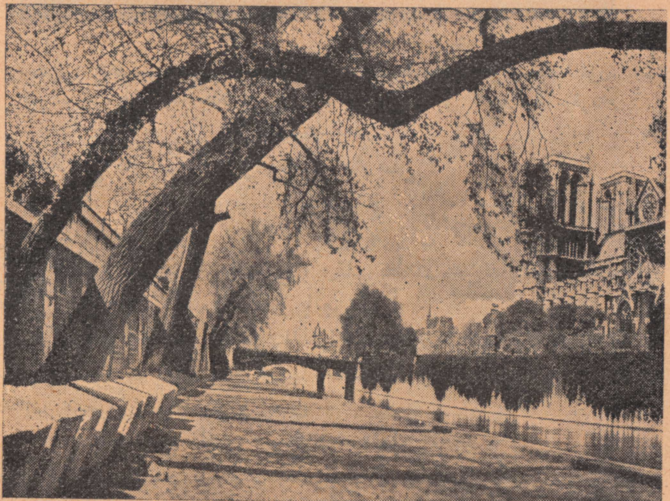
اللوفر ، و « الباليه رويال » ـ أو القصر الملكى ـ ٠٠ ثم قصر وحدائق اللوكسمبرج ٠٠ فحى « سان جرمان » ٠٠ والانفاليد (قبر نابليون) ٠٠ ثم ميدانى « الكونكورد » و « الاتوال » ٠٠ وبرج ايفل وقصر شايو (التروكاديرو) ٠٠ و «باسى» ٠٠ و « اوتوى » ٠٠ وغابة بولونيا ٠٠ ومتنزه « مونسو » ٠٠ ثم نزور قلب المدينة ، فميدان الاوبرا ، و « سان لازار » ، و « مونمارتر » ، ومقابر باريس (« البانثيـــون » ، و « بير لاشيز » ٠٠ الخ) ٠٠ ثم ميدان الباستيل ، وحى « سانت انطوان » ـ الذى اشتعلت فيه أول شرارة للثورة الفرنسية ، وأبدع ديكنز فى وصفه فى قصته الخالدة « قصة مدينتين »



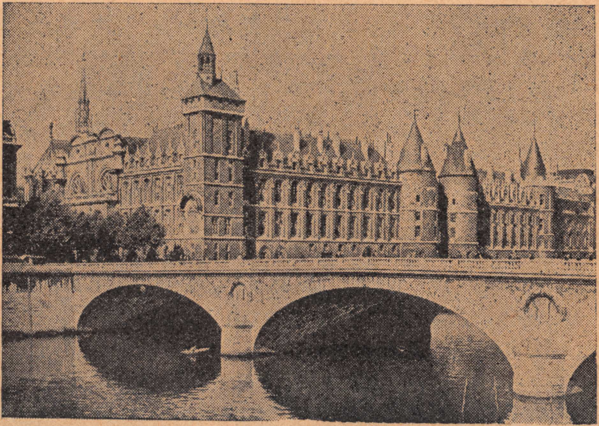
نهر « السين » يشق باريس فى أقدم أحيائها ، وقد اتكأت على صدره

ـ ثم نعرج على « حديقة النباتات » ٠٠ ومونبارناس ٠٠ والمدينة الجامعية ٠٠ والشانزليزيه ٠٠ و « سان جرمان دى برى » ـ بؤرة الوجوديين ! ـ ٠٠ وأخيرا نخرج الى أشهر ضواحى باريس ، وهى : « فرساى » (مقر ملوك اسرة « بوربون ») ، و « فونتنبلو » و « ماليزون » (مقر الامبراطور نابليون) ، ثم « فانسين » ، و « شانتييه » ، و « رامبوييه » ٠٠ الخ

فاذا فرغنا من وصف الحياة في باريس فى وضح النهار ، ومن زيارة أشهر معالمها التاريخية ، والاثرية ، والعصرية ٠٠ خرجنا من الجوهر الى السطح ، فأحدثك عن « ليالى باريس »



كاتدرائية «نوتردام» ، المشيدة على الطراز القوطى منذ القرن الثالث عشر



سجن (الكونسيرجيرى) التاريخى ، احد السجون الرئيسية للثورة الفرنسية ، وقد بدا مطلا على نهر السين بالقرب من كاتدرائية نوتردام

.. وملاهى باريس .. ومواخير باريس !

على انك لكي « تهضم » وتستمتع بكل ما سوف نطوف به من معالم مدينة النور الخالدة ، ينبغى ان تكون لنفسك فكرة عن نشأتها ونموها التدريجى ، وتلم بطرف من تاريخها الطويل الحافل .. وماضيها الشائق العريق !

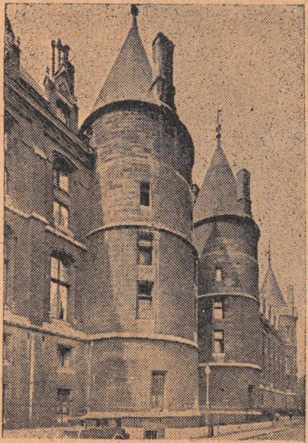
فتعال معى ننبش الماضى الذى عفت عليه أذيال النسيان ، ونقلب صفحات التاريخ تقليبا خاطفا ، يسترجع الى الحياة أحداث عشرين قرنا من الزمان !

الشهيد الذى صبغ دمه العلم الفرنسي !

◆ **يرجع** تاريخ تأسيس باريس الى ما قبل ألفى عام ، فقد أشار « يوليوس قيصر» فى مذكراته الى وصول جحافل الرومان الى بلاد الغال ـ فرنسا ـ وتأسيس مركز لها فى قرية «لوتيتشيا»

الواقعة على ضفاف السين - (وهى نواة مدينة باريس الحالية ، وقد صارت حيا من احيائهـــا يعرف اليوم كما ذكرنا باسم « الجزيرة » ، لوقوعه بين فرعين من فروع السين ، كما فى حى «الجزيرة» بالقاهرة) ٠٠ والأرجح ان القرية أو الجزيرة المذكورة كانت منذ عام ٥٣ قبل الميلاد محطة للبحارة والصيادين يقضون فيها ليلة فى طريقهم بين الجنوب والشمال ، أو بين الشرق والغرب ٠٠ فلما اختارتها الحامية الرومانية معســـكرا لها ، ازدهرت وصارت سوقا للتجارة ، أو شبه عاصمة صــغيرة ، وانشئت فيها الحمامات والمعابد وحلبات المصارعة ٠٠ وباتت تنقل اليها المياه النقية من عيون تبعد عنها نحو عشرة أميال ، كما تنقل اليها الحنطة والنبيذ والتفاح وســـواها بالزوارق الشراعية عبر السين ٠٠

وفى نهاية القرن الأول انتدب مســـيحيو روما القـــديس دنيس - الذى كان قـــد اعتنق المسيحية فى أثينا على يد «بولس» الرســـول - كى يبشر بالدين الجديد فى المدينة الجديدة ، التى سميت فيما بعد (باريس) ، نسبة الى احدى قبائل الغال التى كانت تقطنها ٠٠ لكن لم يلبث أن اعتقل بأمر من الحاكم الرومانى، **واقتيد ذات صباح بارد غائم من أيام اكتوبر الى هضبة (مونمارتر) القريبة ، حيث كان يقوم معبد « جوبيتر » ، كبير الآلهة عند**



أحد أبراج سجن (الكونسيرجيرى)، وتستطيع تكوين فكرة عن ضخامة السجن واتساعه اذا قارنت هــذا البرج بمكانه من الصورة السابقة!



مارى أنطوانيت فى قمة مجدها (عن لوحة للفنانة مدام فيجى لوبران)

الرومان (ويدعوه اليونان « زيوس ») ، وهناك فصل رأسه عن جسده بحد السيف ، مع اثنين من أتباعه !.. وتقول القصة ان الاسقف المذبوح حمل رأسه ذا اللحية البيضاء وغسله فى مياه النافورة ثم سار بضع خطوات ، قبل أن يسقط ميتا فى البقعة

التي شيدت فيها بعد ذلك الكنيسة المعروفة باسمه . وقد كان دمه المسفوك سببا فى ادخال اللون الاحمر بين ألوان العلم الفرنسى الثلاثة ! .. كما سميت « مونمارتر » بهذا الاسم ـ ومعناه « هضبة الشهداء » ـ نتيجة لتلك المذبحة

وفى سنة ٣٥٩ توج الامبراطور الرومانى جوليان فى جزيرته المحبوبة باريس ، واتخذ لنفسه فيها قصرا .. لكن بوادر الانحلال كانت قد بدأت تدب فى أوصال الامبراطورية فى تلك الايام ، فعاشت البلدة الصغيرة فى حالة فزع دائم من خطر غزوات البرابرة من ناحية الشرق .. وحصنها أهلها باستحكامات أقاموها من أحجار المعابد والآثار المهجورة ، ولبثوا ينتظرون واجفين هجوم قبائل « الهاون » التى كانت فظائعها تنتقل من فم الى فم ، وكانت على وشك أن تعبر (الراين) بعد أن قتلت فى مدينة (كولونيا) احدى عشر ألف عذراء ؟!

« جان دارك » الاولى التى أنقذت باريس !

◆ **فى** تلك الأثناء ، كانت راعية غنم فى الخامسة عشرة من عمرها تدعى « جنيفييف » قد هبطت البلدة قادمة من بلدتها القريبة على أثر وفاة والديها ـ حوالى عام ٤٣٨ ـ لتعيش فى كنف احدى قريباتها . ورغم عدم دخولها الدير ، فقد كرست نفسها للدين .. فلما عبر « أتيللا » قائد البرابرة نهر الراين، عام ٤٥١ ، على رأس سبعمائة ألف مقاتل ، واقترب من باريس ، تملك الذعر أهلها فاندفعوا يفرون منها محاولين النجاة بأنفسهم من وجه البرابرة الغزاة .. عندئذ تصدت لهم « جنيفييف » تهدىء من روعهم ، مؤكدة لهم أن العناية الالهية سوف تنقذ البلدة من الغزاة !.. وبالفعل ، لم تكد طلائع « الهاون » تبلغ باريس ، حتى استقبلتها الفتاة الملهمة بصلواتها الحارة وابتهالاتها ، وأفلحت فى اقناع قائدى العربات الحربية بالعودة



مارى انطوانيت فى حضيض مذلتها ، فى سجن (الكونسيرجيرى) ! ٠٠ (عن لوحة للفنان «بريور»)

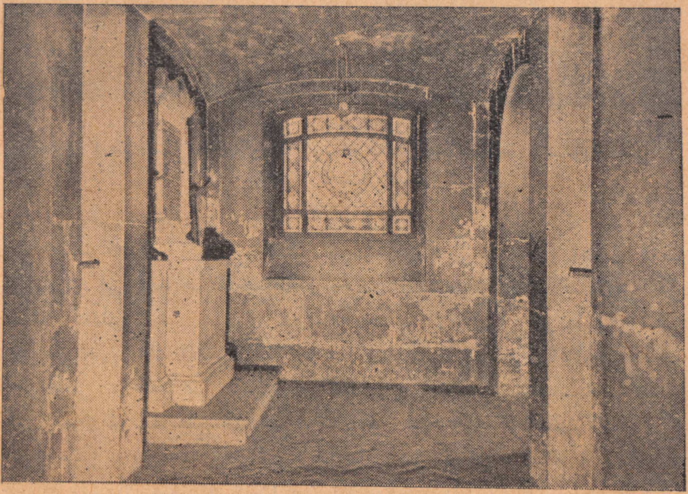
من حيث أتوا ٠٠ فترددوا برهة، ثم استداروا وانطلقوا فى اتجاه (أورليان) ٠ ولم تلبث قواتهم أن شتت شملها ومنيت بشر هزيمة بالقرب من (شالون سورمان)

وتطلع أهل باريس جميعا الى منقذتهم « جنيفييف» باعتبارها قديسة ٠٠ وتكررت المعجزات على يديها ، أينما حلت ٠٠ وبعد نحو عشر سنوات حاصرت قبائل « الفرانك » البلدة ، حتى كاد أهلها يهلكون تحت وطأة المجاعة، فقادت « جنيفييف » احدى عشرة سفينة وتسللت بها خلال خطوط الاعداء الى حيث حملتها بالمؤن والطعام ثم عادت بها الى المدينة دون أن يتنبه لها أحد ، الأمر الذى اعتبر من قبيل المعجزات !

وماتت جنيفييف فى عام ٥١٢ ، فدفنت الى جوار الملك فى المقبرة التى شيدها فوق قمة التل الذى عرف بعد ذلك باسم جبل القديسة جنيفييف ٠٠ واعتبرت القديسة منذ ذلك الحين راعية باريس !٠٠ واليوم ، ترى فى (البانثيون) ـ مقبرة العظماء ، التى كانت فيما مضى « كنيسة القديسة جنيفييف » ـ لوحة تمثلها تشرف من عل على باريس النائمة ، وتسهر على حراستها ٠٠ وفى مستهل كل عام ، يتقاطر الحجاج على قبر « جنيفييف » ليؤدوا تحية الاجلال للقديسة التى أنقذت مدينتهم من الغزو والمجاعة !

نوتردام ٠٠ واللوفر ٠٠ والسوربون !

◆ **وفى** سنة ٨٨٥ ـ وللمرة الخامسة ـ طرق ٣٠ ألفا من الغزاة النورمانديين أبواب المدينة ، بعد أن حملتهم اليها على مياه السين سبعمائة سفينة ! وطالب القائد السكندنافى سلطات المدينة بالسماح لقواته بالمرور كى تهاجم اقليم (بورجونى) ، لكن طلبه قوبل بالرفض ٠٠ فما كان منه الا أن شن هجومه على المدينة ، فصد الهجوم عدة مرات ٠٠ وبعد حصار استمر عدة أشهر ، أخرج النورمانديون سفنهم من الماء وركبوا فيها عجلات خشبية ، ثم واصلوا هجومهم فقهروا المدافعين واستولوا على باريس !



« الزنزانة » التى قضت فيها « مارى انطوانيت » عامها الاخير بسجن الكونسيرجيرى ، قبل اعدامها



مارى انطوانيت كما تصورها الرسام ماثلة أمام محكمة الثـورة التى حاكمتها وقضت باعدامها !

ومنذ القرن الثانى عشر ، خلد سكان باريس تطور فنهم المعمارى فى آثارهم المختلفة ، بحيث نستطيع اليوم تتبع مراحل ذلك التطور عن طريق دراسة هذه الآثار . وبظهور الفن القوطى فى تلك الفترة تغير وجه باريس ، ثم جاء الملك « فيليب أغسطس » فساهم مساهمة فعالة فى تجميل عاصمته — التى كان سكانها قد بلغ عددهم مائة ألف نسمة — فرصف الشوارع الرئيسية ، وأعاد بناء الاستحكامات على نطاق واسع ، كما شيد خارج أسوار المدينة عددا من الضواحى التى منها الحى المعروف اليوم باسم « حى سان جرمان » .. ثم شيد لنفسه قصرا ملكيا ضخما هو الذى يحتل مبانيه اليوم متحف اللوفر .. ونشطت

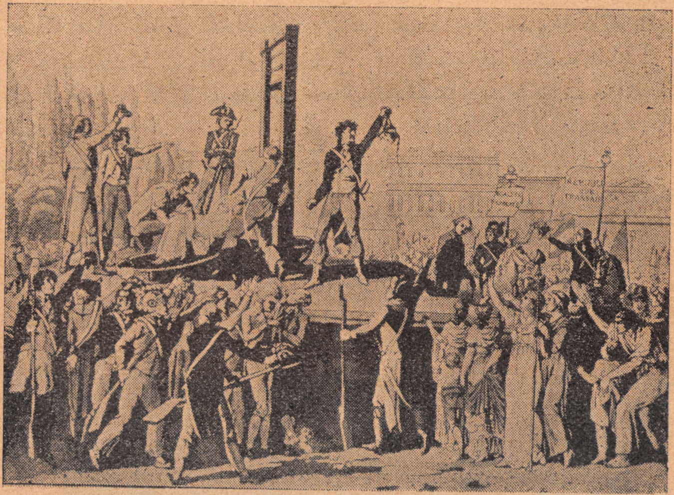
حركة بناء المنازل الخاصة ٠٠ وفى عهده بدأ تشييد كاتدرائية « نوتردام » ذات الطراز القوطى ، ثم كنيسة « سانت شابيل » الرائعة التى لا تدانيها فى جمال نوافذها الزجاجيـــة الملونة كنيسة أخرى فى العالم !٠٠ وفى الفترة ذاتها حوالى عام ١٢٥٧، منح الملك شخصا يدعى « روبرت دى سوربون » قطعة أرض فسيحة كى يبنى عليها جامعة ، وكانت هذه نواة جامعـــة (السوربون) العالمية المشهورة ؟

ملوك فرنسا يهجرون باريس !

◆ **وكان** القرنان الرابع عشر والخامس عشر عصر فوضى وعنف بالنسبة لباريس ، اذ بدأ الصراع السياسى يتركـــز خلالهما فى العاصمة ، وأخذت الخلافات والاحقاد بين الاحزاب



مارى انطوانيت أثناء اقتيادها من السجن الى حيث اعدمت بالمقصلة



الجلاد يرفع رأس « مارى انطوانيت » للجماهير بعد اعدامها فى ميدان الكونكورد بباريس أثناء الثورة الفرنسية

تأخذ مظهر المعارك فى الشوارع والطرقات ! وخلال حرب المائة عام بدأ نفوذ الطبقة الوسطى يتمرد على الملكية المطلقة .. ثم صارت باريس مركزا للصراع بين الفرنسيين والانجليز ، فلما انتهى القتال بينهماعاد الملك شارل السابع الى عاصمته باريس، لكنه لم يقم فيها طويلا ، اذ سرعان مانقل مقر الاسرة المالكة الى قصر شيده فى وادى (اللوار) ، بعد أن أعجبه جمال الطبيعة هناك ، وكان قد ألفه خلال سنوات « النفى » عن العاصمة بسبب الحرب .. ومنذ ذلك الحين صارت الاقامة فى وادى اللوار تقليدا درج عليه الملوك المتتابعون .. حتى جاء « هنرى الرابع » فنقل مقره الى العاصمة من جديد ..

.. ثم عاد خلفاؤه فهجروا باريس الى ضاحيتها الجميلة « فرساى »

ولم تبق من آثار باريس فى تلك العصور الوسطى سوى أبنية معدودة ، منها سجن (الكونسييرجيرى) الذى سنتحدث عنه فيما بعد ، وكان الطراز القوطى قد انتهى عهده وخلفه الطراز الكلاسيكى . ويمكن تكوين فكرة عن شوارع باريس فى تلك العصور بزيارة الأحياء القديمة الباقية فى مدينة (روان) الى اليوم ، من مخلفات القرون الوسطى .

وبلغت باريس أوج جمالها فى عهد شارل الخامس ، حتى لقد زارها امبراطور ألمانيا وطاف بأنحائها معجبا . وكان الملك يقيم وقتئذ فى قصر « اللوفر » ، وأحيانا فى قصر ملحق بقلعة « الباستيل » - وقد هاجمت « جان دارك » أجزاء من القلعتين أثناء محاولتها انتزاع المدينة من الانجليز - وكان الجزآن الشرقى والغربى من باريس وقتئذ ما يزالان تلالا خضراء لم تشيد فيها أبنية (ولم يبق من تلك المساحات الخضراء اليوم سوى بعض الحدائق والمتنزهات والغابات الفسيحة التى تساهم فى تجميل باريس)

وحين عادت الاسرة المالكة الى باريس فى عهد « فرانسس الأول » ، كان همها الأول بناء قصر جديد لها يتفق وطراز ذلك العصر ، عصر النهضة - (ذلك الطراز الذى لم يلبث ان غير وجه باريس كلها ، وكانت من أول الابنية التى استوحى تصميمها منه ، دار البلدية « أوتيل دى فيل ») - ولم يلبث ان تحقق حلم الاسرة المالكة فى صورة قصر فاخر شيد خارج أسوار المدينة ، هو قصر « التوילليرى » ، الذى لم يلبث ان ربط بقصر اللوفر المجاور بجناح من نوع « البواكى » ، بمحاذاة نهر السين . (وقد محى قصر التويلليرى من الوجود بعد ذلك ابان الثورة الفرنسية ، فلم يبق من اثاره اليوم سوى حديقة رائعة مترامية الأطراف)

قصر اللوكسمبرج ٠٠ وميدان الكونكورد

◆ **على** ان باريس العصرية لم تبرز الى الوجود مكان باريس القرون الوسطى الا حين عاد « هنرى الرابع » الى عاصمته ، فقد بدأ أفراد الطبقة الارستقراطية والمتوسطة يتبارون فى تشييد القصور والمنازل وفق طراز العصر - وما زال الكثير من تلك البيوت قائما الى اليوم - وفى ذلك العصر شيدت « مارى دى مديتشى » قصر اللوكسمبرج ، وحديقته المشهورة التى تعتبر من أجمل معالم باريس ٠٠ وأخذت المبانى ذات القباب - كالانفاليد ، والبانثيون - تطغى على المبانى ذات الابراج المدببة ، التى كانت طابع العصور السابقة ٠٠ بينما واصل الملوك « هنرى الرابع » و « لويس الثالث عشر » و « لويس الرابع عشر » تشييد أجنحة جديدة فى « اللوفر » ، ولو ان الأخير لم يلبث ان هجر قصور باريس ليقيم فى قصر فرساى ٠٠

وفى الفـترة بين القرن السابع عشر وتاريخ شبوب الثورة الفرنسية ، ازدهرت أحياء باريس وامتدت من أطرافها الى مسافات جديدة - مثل حى سان جرمان وسانت اونوريه - وانشئت أحياء أخرى على ضفتى السين ٠٠ وبلغ من جمال القصور التى بنيت فى تينك القرنين ان القرن التالى ، التاسع عشر ، لم يفعل أكثر من انه أبقى عليها ٠٠ **وكان أجمـل ما استحدث من ميادين فى القرن الثامن عشر ، ميدان لويس الخامس عشر - (الكونكورد) الآن - الذى نصبت فيـه المقصلة خلال الثورة ، وأعدم فيه لويس السادس عشر ومارى انطوانيت - وما يزال هذا الميدان بواجهات قصـوره ذات المهابة والجلال ، معتبرا من أجمل ميادين العالم !** ٠٠ كما ان من مفاخر ذلك العصر مبنى الاكاديمية الحربية الذى شيد على الضفة اليسرى للسين ، بالقرب من « الانفاليد » ، وهى من



لوحة تمثل منظر تكفين جثة « مارى انطوانيت » قبيل دفنها بمقبرة (المادلين) .. واللوحة من رسم الفنان « مويار »

تصميم المهندس المعمارى العبقرى « جابرييل » ، مصمم مبانى ميدان الكونكورد !

الثورة الفرنسية .. وعصر الامبراطورية

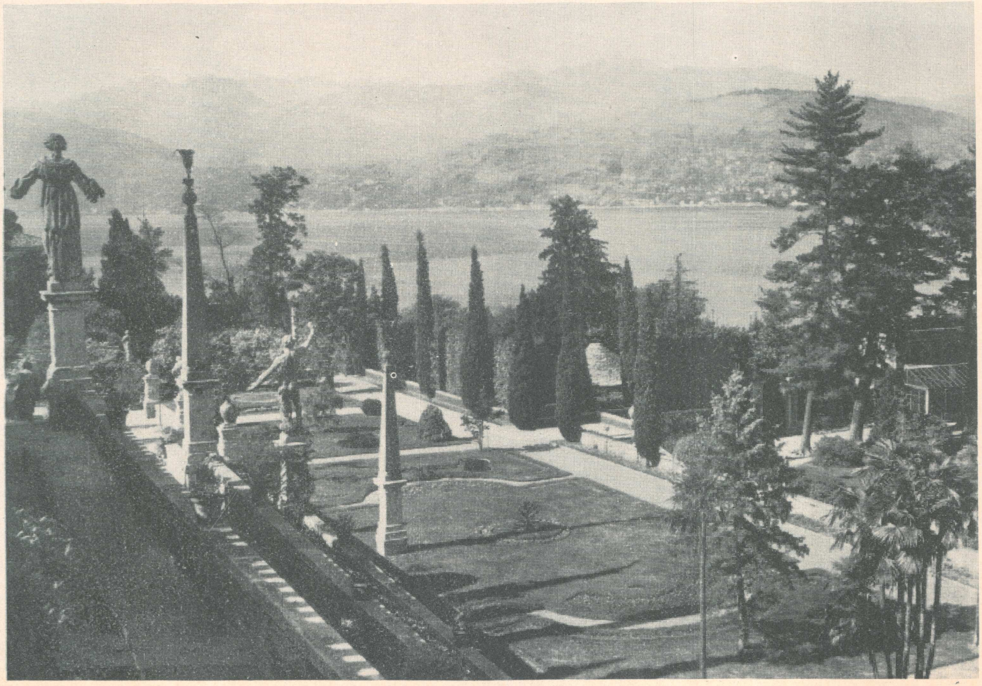
◆ **تلك** كانت باريس التى غدت مسرحا لأحداث الثورة الفرنسية . وجو الثورات والحروب لا يشجع على الانشاء والتعمير ، اللذين يتطلبان استقرارا وطمأنينة . غير ان الثورة خلفت فى باريس طابعا لا ينسى ، فقد هدمت بعض مبانيها ومعالمها - كالباستيل والتويلليرى وغيرهما - كما غيرت طابع البعض الآخر ، كقصر اللوفر الذى جعل متحفا ، وقصور

الاسرة المالكة وكنائسها وأديرتها ، التى أصابتها جميعا أيدى التغيير والتبديل ..

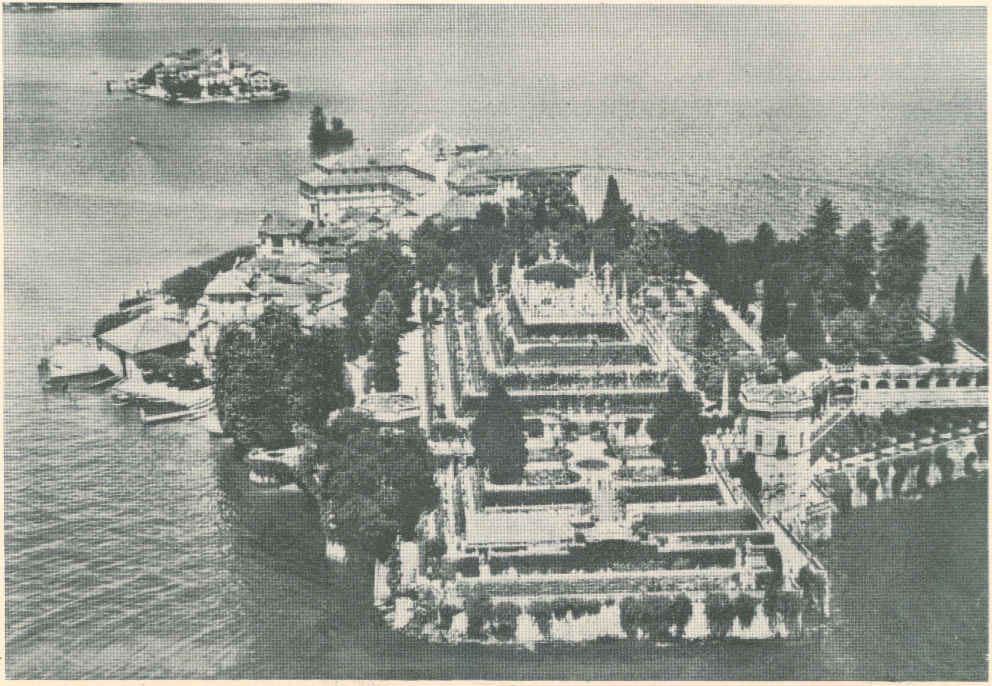
ولم يكن عصر « الامبراطورية » التالى أقل اضطرابا من عصر الثورة ، فقد توالت خلاله الحروب والغزوات التى تتعارض مع التعمير .. ومع ذلك فقد كان حلم نابليون ان يغير وجه باريس تغييرا جوهريا ، وقد نفذ خلفاؤه عددا كبيرا من مشروعاته فى الجزء التالى من القرن التاسع عشر ، ومن هذه المشروعات «قوس النصر» الرائع الذى يزين ميدان «الاتوال» ، ثم قصر التروكاديرو (قصر « شايو » الآن) ، فضلا عن شبكة من الشوارع الفسيحة الطويلة الامتداد التى ربطت أطراف العاصمة البعيدة

وفى سنة ١٨٤١ أظهر تطور الأحداث ان حدود باريس أضعف من ان تصمد لأى هجوم جدى عليها ، فشيد على طول الضواحى المحيطة بها خط تحصينات قوية لم يسبق لها مثيل . واستدعى ذلك ضم تلك الضواحى أو المناطق المحيطة بها الى حدود العاصمة رسميا (وكانت من تلك المناطق ضاحيتا « باسى » و « اوتوى ») .. ثم جاءت ثورة سنة ١٨٤٨ التى قضت على لويس فيليب والنظام الجمهورى ، **وجاءت فى أعقابها الامبراطورية الثانية ، وفى برنامجها ان تخلق باريس خلقا جديدا ، فتمحو من الوجود شوارعها العتيقة الضيقة وتشق بدلا منها شوارع عريضة جميلة التنسيق . وكان مدير البوليس « هوسمان » هو القوة الدافعة لهذه الخطة التى أسفرت عن مولد باريس الحديثة .**

وفى الفصل القادم نبدأ زيارتنا التفصيلية لأحياء باريس ومعالمها وضواحيها ، بعد هذه الالمامة التمهيدية بتاريخها خلال الألفى عام الماضية ، منذ بدأ انشاء نواتها الاولى ..



جزء من حديقة قصر « بوروميو » بالجزيرة الساحرة ـ « ايزولا بيللا » ـ احدى جزر بحيرة (ستريزا)



منظر شامل لحديقة قصر « بوروميو » التى تحتل الجزء الاكبر من « الجزيرة الساحرة »

الشاويش

قصة مصرية بقلم الدكتور حسين مؤنس



- ١ -

٠٠ على بساط المرض والالم التقى رجل القانون والخارج على القانون للمرة الأولى ٠٠ وأمام شباك مقام ولى مجهول توطدت المعرفة ٠٠ ثم توثقت برباط مقدس ٠٠ رباط العاطفة ٠

موكب صغير لم يحفل له أحد ، ولا يمكن أن يحفل له أحد٠٠ شاويش أسمر اللون طويل عريض ، ولكنه متعب ينوء رأسه تحت طربوش مسرف في الطول ، يسير خلف رجل كأنه الحطام، يغطى رأسه بلبدة كابية اللون ، ووجهه يبدو من تحتها بدون ملامح أو مميزات ٠ لقد أزال الدهر ملامح هذا المسكين ، وأصبح كأنه شبح يسير حافيا فى خرق بالية ، وقد ضم يديه قيد حديدى ثقيل ٠ مضى والشاويش من خلفه فى موكب حزين صامت ، يقطع المسافة من قسم السيدة الى محافظة القاهرة ٠٠

هذا الرجل الكهل هو عالم الجريمة كله ، هو ما وراء القانون ٠٠ ومن خلفه سار القانون فى ملابسه البيضاء ، يحاول أن يرفع رأسه ، ولكنه هو الآخر متعب منهوك القوى ، لا تكاد رجلاه تحملانه ٠٠

ومرا بسور خربة طويل ، وكان الوقت وقت القيلولة ، وقد خلا الطريق من السابلة تقريبا ، ولم يبق من دلائل الحياة الا وقع حذاء الشاويش « مجاهد » وطنين زنبور عنيد أصر على ملاحقة ذلك المجرم الذى سار فى القيود ، والرجل يطرده بهز رأسه كأنه حصان يضايقه الذباب ٠ وفى لحظة ماصاح الرجل :

ـ يا شاويش الدبور ح ياكلنى وانت ماشى ٠٠ !

وأفاق الشاويش من شبه النعاس الذى كان قد استولى عليه ، ولبث لحظة حتى وعى ما قاله هذا التعيس ، ثم شعر أن فى هذه الاستغاثة اهانة لمقامه ، فدفع الرجل بيده وقال :

ـ دبور ح ياكلك ؟ طيب ما ياكلك ٠٠ خلينا نرتاح منك ٠٠

وسكت الرجل ·· وانصرف الدبور ، وعاد السلام الى الموكب ··

ووصلا الى نهاية سور الخربة ، ورأى المجرم حجرا ضخما فاستند اليه ، ونظر الى الشاويش بعيونه الغائرة وقال فى لهجة استرحام :

ـ أنا تعبان يا حضرة الشاويش ·· ح أقع من طولى ··

فقال الشاويش فى غير اكتراث :

ـ ما تقع ولا تنحرق ·· امشى يا راجل ما تجيب لناش مصايب ··

ـ حرام عليك ياشاويش ·· استريح شوية بس ·

فقال الشاويش غاضبا :

ـ انت ح تمشى ·· والا أطخ فيك عيار وأخلص الناس منك؟

ونظر الرجل حوله ،ثم تهالك وجلس على الارض وقال :

ـ اعمل اللى انت عاوزه ياشاويش ·· انا ح استريح خمس دقايق مافيش غيرهم ··· استريح انت على الحجر ده ·

وتكوم الرجل على الارض ، ودفن وجهه بين ركبتيه ·

ونظر الشاويش اليه وبدت الحيرة فى وجهه · كان ذلك عصيانا صريحا · الجريمة تتحدى القانون والنظام ! وركل الرجل بقدمه مثنى وثلاث ، ولكن الرجل لم يتحرك · وحار الشاويش مجاهد فى أمره امام هذا التحدى ، وتلفت حواليه فلم ير أحدا ، حتى الدبور كان قد ذهب · كان يستطيع أن يطرق هذا العاصى بكعب البندقية ، ولكنه وجده منهارا عند قدميه ، وكان هو نفسه يشعر بالتعب ، تحركت فيه الشفقة على نفسه ، ونظر الى الحجر المغرى الذى كان يدعوه الى الجلوس، فأخرج منديله الابيض ونشره على الحجر ، وتلفت حواليه ، وجلس ، واعتمد رأسه على كعب البندقية ، ومن بين أجفانه التى جعلت تتلاقى فى نعاس خفيف عابر ، جعل يراعى ذلك المجرم العاصى ··· جعل يرقب دنيا الجريمة ، بعين النظام ·

وفتح المجرم عينيه ، ونظر الى الشاويش ، ومرت بوجهه ابتسامة باهتة كالحة . شعر بالعطف على حارسه ! ثم قال وهو يحك جنبه حكا عنيفا :

– والله انت باين عليك صاحب عيا زيى ياشاويش .

وفتح الشاويش عينيه ، وانقضت لحظات قبل ان يعى ماقاله الرجل ، فلما وعاه شعر أن فيه اهانة له .. كبر عليه أن يلتقى مع هذا المجرم فى أى شىء ، ولكنه لم يجد مايقوله . كان ذهنه مسترخيا تماما فقال :

– مش تفز تقوم بقى .. والا يعنى عايز أكسر دماغك ؟

فقال الرجل فى لهجة لاتخلو من دعابة غليظة :

– ياريت ياشاويش ...انا طايل حديكسر دماغى ويريحنى .

واستراح الشاويش الى هذا الجواب . انه يعطيه فرصة ليستريح بضع دقائق أخرى ، فسكت .. وأخذت عيناه تضيقان من جديد .

وفجأة فتح «الاسير» فمه وأخذ يلهث ، وقد وضع يده على جنبه الايمن ، وفتح الشاويش عينيه فى شىء من الرعب ، ثم قال :



– مالك ... جرى لك ايه ؟

ولم يرد الرجل ، بل تقلص وجهه ، وأخذ يتنفس فى صعوبة ونظر اليه الشاويش وقال :

– الكلام ده مش على يانصاب ... فز قوم .

ونظر الى الرجل . كانت الدموع تجرى على وجهه . لم يكن هناك شك فى انه كان

يعانى ألما حقيقيا ٠٠ فظل يتأمل وجهه القبيح المتقلص ، ثم قال:

ـ مالك ؟ ح تموت ؟ ٠٠

ـ ياريت ياشاويش ٠

وبعد دقائق ، هدأ الرجل ، وانبسط وجهه وزايله التقلص وتصبب العرق عليه ، ونظر الى الشاويش نظرة عرفان وقال :

ـ خلاص ياشاويش ٠٠ الحمد لله ٠٠ الازمة فاتت ٠

ـ أزمة ايه ؟

ـ أصل الكبد بتاعى بعيد عنك فتافيت ٠

فقال «مجاهد» فى احتقار :

ـ كبد ؟ انت بتعيى بالكبد انت راخر ؟ طيب لما انت عيان وعدمان ٠٠ أمال مالك طايح فى الناس ٠٠ ست سوابق ٠٠٠ ولسه مش بتختشى ٠٠ رايح تكسر المحل وتفتح الخزنة ؟

وسكت «برعى» ـ وهذا اسمه ـ فقد كان فى الواقع مجرما عاتيا : ست سوابق منها واحدة اشتراك فى ضرب أفضى الى موت ٠ انه في الثانية والخمسين من عمره اليوم ، وقد قضى من عمره ١٩ سنة فى السجن ، بدأها بستة شهور ، وكان اذ ذاك فى السابعة عشرة !

ونظر الى الشاويش مجاهد وقال :

ـ اعمل ايه ياشاويش ؟ مكتوب عليه ! فتحت عنيه فى السجن ٠٠ أعيش ازاى ؟ لاحرفة ولا شغلة ٠

ـ مش لازم تعيش ٠٠ اللى زيك يرمى نفسه تحت ترمواى ويريح العالم ٠

ـ تصدق بالله ياشاويش : الموت مانيش طايله ! كل مرة أخش خناقه ويبقى الضرب حواليه ، والسكاكين بتلمع ٠ ٠ ٠ ويموتوا ناس ، وانا يمسكنى البوليس ٠٠٠ ده الموت بخت ياشاويش ٠٠ حد طايله ٠٠ ومن يوم ماجانى الكبد ده ٠٠٠

وهنا ضاق ذرع الشاويش مجاهد فقال :

ـ كبد ايه ياواد ٠٠٠ ايش عرفك انت بالحاجات دى ٠٠٠

ـ الحكيم والله ٠٠٠ حكيم المستوصف كشف على ، وقال لى عندك الكبد ٠٠

ـ وبتحس بايه ؟

ـ بعيد عنك بدوخة ، دوخة شديدة تخلينى أغيب عن الدنيا، ومغص شديد يخلينى أتلوى على الارض ٠٠ وينزل عرق شديد٠

فقال الشاويش ، وهو ملتفت بكليته الى الكلب المقعى عند قدميه :

ـ بتقول ايه ؟ عر قشديد ؟ عرق بارد ؟

ـ آه ٠٠ وافضل على كده ساعة ، ساعتين ٠

فتحسس الشاويش جانبه الايمن بيده وقال :

ـ ده تمام زى اللى عندى ٠

فقال المجرم ، وقد شعر ان قيمته زادت بعض الشىء :

ـ انت عندك الكبد زيى ياباش شاويش ؟

فهز الباش شاويش رأسه، واقترب بوجهه من وجه أسيره٠ خيل اليه انه يرى وجهه للمرة الاولى٠لم يلاحظ الاالساعةان لهذا المخلوق وجها٠على بساط المرض والالم المشترك تلاقى الشاويش والمجرم ، القانون وخارج القانون ! أحس الشاويش بالعطف على ذلك المسكين ، فقال ، وكأنه يعاتبه :

ـ طيب لما انت مسكين صاحب عيا ٠٠ ماتبطــل الاجرام ، يمكن ربنا يعتقك ٠

فابتسم برعى وقال :

ـ طيب مانت باش شاويش أهه ، وما بتعملش حاجة ٠ ٠ برضه عيان ! دى أصلها قسم ياشاويش ، كله مكتوب علينا ٠

ودس الشاويش يده فى جيبه ، وأخرج علبة سجائر ، وضع فى فم المجرم واحدة ، وأشعلها ثم أشعل لنفسه واحدة ، فقال اللص :

ـ انت ابن حلال ياباش شاويش ·· انا ماشفتش واحد زيك أبدا ·

وقال الشاويش :

ـ ماقلتليش بتعمل ايه لما تجيلك النوبة دى ·

ـ كنت قبله ماعملش حاجة ·· كانوا يعطونى «بابونج» وغيره ·· من غير فايده ·· وبعدين حكيم المستوصف كتب لى أقراص كويسه قوى ·· لما تيجى النوبة آخذ اتنين ·· وبعد عشر دقايق خلاص ·· وانت بتعمل ايه ؟

ـ باخد شاى بليمون ·

ـ أهو ده اللى مخسر الحكاية وياك ياباش شاويش · · · مافيش اوحش من الشاى والليمون للكبد ·

ـ عندك حق والله ·· انا برضه حاسس بكده ·· طيب والاقراص بتاعتك دى اسمها ايه ؟

ـ والله مانا عارف ياباش شاويش ·· أهى أقراص حمره كده فى قزازه كبيرة ، تعرف تمنها كام ياباش شاويش ؟ ·· مائة وستين قرش ·· أى والله ، حاجة غالية خالص ، لكن فيها الشفا ·· اعمل ايه ؟ من غلبى اشتريتها ·

فقال الشاويش وهو يفكر :

ـ وانا منين ح اشترى حاجة غالية زى دى ·

فنظر المجرم الى الشاويش بعيون ملؤها العطف وقال :

ـ اسمع ياحضرة الباش شاويش ·· انا عندى قزازه بحالها اذا خليت حد يجيبهالى فى السجن أعطيك نصها ·

فابتسم الشاويش وقال :

ـ عندك فين ؟

ـ فى البيت ·

ـ انت لك بيت ؟

ـ أهو حاجة كده على قدالحال ·· عشة صفيح عملتها علشان البنت بنتى ···

ـ ولك بنت ؟

ـ أيوه ٠٠ بنية غلبانة ٠٠ الزمان غلبها ٠٠ تعمل ايه ؟ ٠ قسمتها كده ٠٠ أبوها حرامى ووش لومان ٠٠ لـــكن والله ياشاويش بنت حلال ٠٠ خلفتها قبل ماتنكتب عليه الشقاوه ٠ كنت فاتح صندوق كازوزه وثلج ، وكنت باكسب عال ٠٠ لحد الشيطان ماودانى فى داهيه ٠

فسكت الشاويش لحظة ثم قال :

ـ انا أجيب لك القزازه ٠٠ هيه العشة بتاعتك فين ٠ ؟

ـ فى درب سعادة ٠٠ هناك بيت كبير جديد بتاع « الحاج قرشى» جنب مقام سيدى أبو العينين ٠٠ وراه خرابه فيها العشة ٠٠ اسأل بس على «زكيه»

وبحركة آلية ، أخرج الشاويش ساعته ونظر فيها ثم صرخ:

ـ يانهارك اسود ٠٠ ده احنا رحنا فى داهيه ٠٠ قوم ٠٠قوم دول مستنيينا فى المحافظة ، لازم أسلمك هناك على الســاعة والسركى ٠

ونهض المجرم ،وسار امام الشاويش ، ثم توقف واقترب منه وقال :

ـ اسمع ياشاويش ٠٠ انت راجل ابن حلال ، وانا عــاوز أعطيك أمانة ٠

ـ أمانة ايه ؟ امشى ياراجل ٠٠ امشى ٠

ـ اسمع بس ياشاويش ٠٠ حط ايدك فى عبى ٠

فتردد الشاويش ، فقال برعى وكأنه يأمره :

ـيالله ياشاويش ٠٠ مافيش وقت ٠

ووضع الشاويش يده فى صدر المجرم ، وتحسس حتى عثر على شىء ، فقال المجرم : «أيوه ٠٠ أيوه دى ياشاويش ٠٠ ده كيس فلوسى ٠٠ طلعه ! » واخرجه الشاويش وفتحه وبهت ! كان يضم عددا كبيرا من الاوراق المالية ، وقال اللص :

ـ عدهم ٠٠ عدهم ياشاويش ٠

وعدها الشاويش : اثنان واربعون جنيها وثلاثة وثمانون قرشا ! وبهت الشاويش وقال :

ـ ياخبرك اسود ! كل ده من السرقة ياحرامى ٠

فرفع برعى يديه بقيد الحديد ، وأمسك بذراع الشاويش ، وقال والدموع فى عينيه :

ـ والله ده مال حلال ٠٠ كل مالى حرام الا دول ٠٠ دول اللى فاضلين من ايام الكازوزه والثلج ٠٠ حوشتهم من عرق جبينى علشان الغلبانة بنتى ٠٠ كانوا خمسين جنيه ٠٠ وأدينى صرفت منهم سبعة وزيادة ٠

ثم سكت قليلا وقال :

ـ شوف ياشاويش ٠٠ انا حاسس انى مش ح أخرج من السجن سليم النوبة دى ، جنايتى النوبة دى تقيلة قوى : سرقة وضرب واحراز مخدرات ٠٠ مافيهاش أقل من سبع سنين المرة دى ٠٠ وانا حاسس ان الكبدة حالها وحش قوى ٠ ٠٠ عاوزك تودى دول لزكية بنتى وتجيب لى قزازة الدوا ٠٠ وربنا مايرميكش فى ضيقة أبدا ٠

ـ اوعى تكون سارقهم ٠٠ وبعدين يظهر فى التحقيق ٠ ٠٠ وتقول انك أعطيتهم لى وتودينى فى داهية ٠

ونظر اللص ، فاذا أمامه مقام شيخ ، فقال :

ـ وحياة الشيخ ده اللى انا مانا عارف اسمه ، وحياة مقامه ومقام الست الطاهرة ٠٠ان دول مال حلال ٠٠ مش من السرقة ٠

ودسها الشاويش فى جيبه ، فقال الرجل :

ـ احلف ياشاويش على المقام ده انك توديهم لزكية بنتى ٠

واستنكر الشاويش هذا الطلب ، ولكنه أقسم ٠٠٠ وقرأ الفاتحة ايضا ٠٠ قرأها مع اللص فى صوت واحد !

والتقى القانون وخارج القانون للمرة الثانية عند شباك مقام شيخ مجهول !

ثم سار الركب الحزين نحو المحافظة ٠

- ٢ -

◆ **كانت** الساعة الخامسة والنصف مساء عنـــدما وقف الشاويش مجاهد امام مقام الشيخ أبو العينين ، ووجد عمارة الحاج قرشى الى جانبه ٠٠ وخلف المقام والعمارة وجد الخربة ٠ وفى نهايتها عشة الصفيح ٠

وشعر بأنفة من أن يتجه نحو هذه العشة ، ولكن رغبته فى الحصول على أقراص الكبد دفعته الى السير ٠

ووجد شيئا يشبه أن يكون بابا للعشة ، فضربه بقدمه مرارا ثم سمع صوتا ، وبعد قليل ، فتح الباب ، وبدت منه فتـــاة شاحبة اللون في أسمال بالية ، نظرت الى الشاويش بعيـون فيها الرعب ، وقالت فى صوت خائف مضطرب :

ـ أبويا مش هنا ٠

فقال فى برود :

ـ أنا عارف ٠



فضربت صدرها بيــدها ، وقالت مروعة :

ـ ياخبر اسود ٠٠ انتــم مسكتوه تانى٠٠ ح تفضلواوراه لما تعدموه ؟

وأجهشت فى البكاء ، وقالت وهى تنشج :

ـ دهمظلوم والنبى ياشاويش ٠٠ ده راجل غلبـان وصاحب عيا ٠٠ الله يجازيهم ولاداالحرام٠

ـ بس يابنت بلاش نصب٠٠ مظلوم ازاى اذا كنا قفشنـــاه

بيفتح الخزنة ·· وضرب البواب بالشومة وفلق له دماغه ·
فصرخت مروعة :
ـ قتل قتيل !
فتمهل قليلا ، ثم قال :
ـ لأ ماقتلوش ·· لكن عوره خالص ·
ـ وعملتوا فيه ايه ؟
ـ أهو فى المحافظة ·· مستنى وعده ·· النوبة دى مافيش أقل من سبع سنين ·

وصرخت ولطمت خديها · وجعل يتأمل منظرها فى شعور هو خليط من الاشمئزاز والسرور الخفى ، وانتظر حتى خف عنها مابها ، وقال :
ـ انا جايب لك فلوس من عنده ·

وتوقفت عن البكاء لحظة ، ونظرت اليه كأنما سرى عنها مابها فجأة ، وقالت :
ـ فلوس ايه ؟
ـ عشرين جنيه !
ورددت ، وكأنها لاتصدق سمعها :
ـ عشرين جنيه ؟ وانا ح اعمل ايه بعشرين جنيه ·· الحراميه يسرقوهم منى ·
فابتسم وقال :
ـ أخليهم لك ويايه ·· خدى واحد واحد ·
ـ الله يخليك ياشاويش ·

وكفت عن البكاء ، وصفا وجهها بعض الشىء ، وتأملها الشاويش وهو يدير بصره فى العشة · وجدها ممتلئة البدن ، ولاحظ ان ملامحها لاتخلو من الجمال ، وتأملته هى الاخرى ·· ثم خرجت من العشة ، وبدت فى الضوء فأحس انها مقبولة ! · ونظرت الفتاة الى بعيد وصاحت :
ـ مدبولى ··· واد يامدبولى ···

فقال الشاويش :

ـ مين مدبولى ده ؟

ـ القهوجى ۰۰۰ أصله كان بيجيب لابويا قهوة وتعميرة ۰۰ ح أجيب لك قهوة ۰

وشعر بسرور ، وابتسم وهو يتأملها ۰۰ ثم قال :

ـ فين الدوا بتاع أبوكى ۰۰ الاقراص ۰

ـ بتوع الدوخة ؟ هيه جت له ؟

ـ لأ ۰۰ لكن احتياطى ۰

ودخلت ، ثم عادت بزجاجتين ، فى كل منهما أقراص حمراء وقالت :

ـ مش عارفه دى والا دى ۰

ـ والتانيه دى تبقى ايه ؟

ـ أقراص كنا بندوبهم له فى ميه ونغسل له الجرح لما كان عنده الخراج ، بعيد عنك! أصل ابن خالى تمرجى فى المستوصف وبيجيب لابويا الحاجات دى ۰

ثم نظرت الى الزجاجتين وقالت :

ـ أظن دول بتوع الدوخة ۰۰؟ أيوه همه ۰۰ انا معلمـــه القزازه بالغطا بتاعها ۰۰ أصله مكسور ۰۰ خد أهم ياشاويش ربنا يسترك ۰

ووضع الزجاجة فى جيبه ، وشرب القهوة ، وأعطى البنت جنيها ، ومضى ۰

* * *

◆ **بعد** ظهر اليوم التالى كان الشاويش مجاهد فى القسـم ودخل زميله الشاويش عبد الفتاح وقال :

ـ تعرف الراجل اللى وديته امبارح المحافظة ؟

ـ العجوز العيان ؟

ـ آه ٠٠٠ تعيش انت !

ـ مات ؟

ـ آه ٠٠ جاله مغص شديد قوى بالليل ، وبعد ساعتين طلعت روحه ٠

وصمت الشاويش طويلا ، ثم قال :

ـ غلبان ٠٠ كان عيان قوى ٠

ـ بيقولوا انه أخذ سم ٠٠ انا جاى من القصر العينى دلوقت ٠٠ شرحوا جثته ٠٠ ووجدوا فى معدته سم ٠٠ الحكيم بيقول انه خد حبوب سليمانى ٠

وشعر الشاويش برعدة تتمشى فى بدنه ، وقال فى لهفة :

ـ وبعدين ؟

ـ ولا قبلين ٠٠ هوه موت نفسه قبل مايموت بتلات ساعات بس ، قال للشاويش «أنور» انه عاوز يموت ٠٠ عاوز سم ٠

ـ عجيبه ٠٠ وبعدين ؟

ـ ولا حاجة ٠٠ لقينا فى جيبه بقية الاقراص ، هوه موت نفسه ! النيابة أمرت بدفن الجثة ، رح يحفظوا القضية ٠

وشعر الشاويش مجاهد ان لسانه قد جف ٠٠ وأسرع الى دورة المياه ، وأخرج ورقة فيها أقراص حمراء ٠ كان ذلك نصف الزجاجة ٠ لقد اقتسمها مع اللص ٠٠ وألقى بها فى الدورة ، وأخرج منديلا وجفف عرقه ٠

وبعد يومين جاءت زكية تسأل عن أبيها ٠٠ ورآها وهى تبكى وتولول ، فأمر بطردها ٠

وانقضى أسبوعان ، واندرجت الحكاية فى ألفاف النسيان !

ـ ٣ ـ

◆ وفى ذات يوم خرج الشاويش مجاهد من القسم وسار نحو بيته ٠

وفى الطريق سمع صوتا ينادى :

ـ ياشاويش ٠٠ ياحضرة الشاويش ٠
والتفت ٠٠ فرأى زكية ، وجدها تبتسم ، وقالت :
ـ عاوزه جنيه من فلوس أبويا ٠
ولم يكن معه منها شيء !
واخرج منديله ومسح عرقه ٠٠ ثم تأملها جيدا ، كان وجهها مشرقا بعض الاشراق ، لايدرى لماذا ٠٠ وقال :
ـ انا ح اتجوزك يازكية ٠
وبهتت الفتاة ٠٠ واستطرد الشاويش يقول :
ـ تعالى دلوقت معايه ٠٠ أمى فى البيت ٠٠ح أخليها تحميكى وتعمل لك جلابية ٠٠ وبكرة اكتب كتابى عليكى ٠٠ ماتقوليش لحد أبوكى كان الراجل ده ٠٠ قولى انه تاجر كازوزه وتلج ٠٠ فاهمه ؟

ولم ينتظر الرد ٠ رآها تبتسم ٠٠ وسار وهى خلفه ٠٠ ٠ كان الموكب هذه المرة أسعد من الموكب الماضى !



ترجمة : فرج جبران

سلاح جديد .. للمرأة ،

• كان سلاح المرأة للايقاع بالرجل ، منذ أقدم العصـــور ، هو : الاغراء . ولقد كان من العدل أن تمنح الطبيعة المرأة هذا السلاح ، اذ كان ينبغى أن يظل العالم فى حياة ، ونمو ، واطراد ! . . وقد تراءى للكاتب المسرحى الفرنسى ، الساخر ، «بروفانس» أن يقدم للمرأة سلاحا جديدا لدك الحصون التى يلوذ بها الرجال..والاستيلاء على قلبه ، وعقله ، وجسمه .. وماله !.. وليس على المرأة ، عند استخدام هذا السلاح ، الا ان تنفخ فى غرور الرجل ، وتذكى فى ناره - حتى ولو كان تافها ، مغمورا - فلا يلبث الرجل ان يتحول الى طفل وديع ، أطـوع لها من بنانها !.. أما هى ، فتكون بالطبع قد تحولت الى زوجة .. وربة بيت.. وأم لاطفاله !

فتعالوا معى نقضى وقتا طيبا مع المسرحية الساخرة «هاوية الادب» .. أو بالاحرى .. «كيف نقع فى حبائلهن» !

الشيطان .. والارستقراطية !

◆ نحن فى منزل البارونة « ليفنيا » حيث تقام حفلة عشاء كل أسبوع ، يختلط فيها الحابل بالنابل !.. أما البارونة فهى عجوز شمطاء تحاول اخفاء تجعدات وجهها بالمساحيق وعقود الماس واللؤلؤ ..!

وقد اجتمع بمنزلها فى هذا المساء خليط من الارستقراطيين ، ورجال الاعمال ، والكتاب ، وأعضاء الاكاديمية ، والماليين ، والنساء المشتغلات بالادب ، ونساء اللهو الراقى اللاتى يذهبن الى كل مكان !

وبعد تناول العشاء تفرق الجميع فى الصالونات المختلفة وأخـذوا يتحدثون فى جماعات صغيرة .. فأنت تسمع هنا وهناك ضحكات ،وترى ابتسامات ، وتشم رائحة العطور الممتازة ..

وفى ركن من الاركان المنعزلة جلست اثنتان : احداهما « جيلبرت دى ريس » ، وهى زوجة رجل غنى فتحت له الثروة جميـع الابواب .. والاخرى صديقتها « ليليان » التى طلقت حديثا فى الريف ، فحضرت من الاقاليم منذ شهر تقريبا لتجرب حظها فى باريس .. وهى تعمل طبقا للمبدأ المعروف فى هذه الاوســـاط : « ساعد نفسك ، يساعدك الشيطان ! »

- ١ -

الصديقتان : « جيلبرت » و « ليليان »

ليليان : ولكن ٠٠ ماكل هؤلاء القوم ؟ والى أين جئت بى اليوم ؟

جيلبرت : ياعزيزتي ٠٠ اننى أقودك كل ليلة الى عالم مختلف عن عالم الليلة السابقة ٠٠ وانك لتلاقين نجاحا كبيرا فى كل مكان !

ليليان : نعم ٠٠ ولكنه نجاح الغانيات فقط ! وليس هذا ماأطمع فيه !

جيلبرت : صبرا ياعزيزتى ٠٠ اننى أعرف انك تطمعين فى اصطياد زوج من الأزواج ، ولكن لكى تحققى هذا الغرض يجب أن تعثرى على رجل متوسط الذكاء ، قصير النظر !٠٠ ولهذا جئت بك اليوم الى هنا !

ليليان (تنظر الى رجل فى الحفلة وتشير اليـه) : ترى من يكون هذا الرجل المتكىء بيده الى المائدة ؟

جيلبرت : انه «بول هافين» ، الكاتب المشهور ! انه يعتقد فى نفسه العبقرية وان كنت أعتقد أنها براء منه !٠٠وهو يدعى انه صاحب نظـرية جديدة فى علم النفس



ليليان (باهتمام) : وما هى الكتب التى ألفها ؟

جيلبرت : انه كتب عـــددا كبيرا من الكتب لم يقرأهـــا أحد !

ليليان : هو فقير اذا ؟

جيلبرت : لا ! أبدا ٠٠ انهم

يقولون أنه غنى جدا ، ولولا هذا لما نال شهرة قط ..

ليليان : وهل هو أعزب ؟

جيلبرت : لا تهتمى به .. فانهم يقولون عنه انه يحب نفسه الى درجة لا تسمح له بأن يحب شخصا آخر !

ليليان : ربما كان السبب فى ذلك ان النساء لم يعرفن كيف يحسن التصرف معه !

جيلبرت (باندهاش) : حقا .. هل تفكرين فى ..؟

ليليان : وأية غرابة فى هذا .. ان المرأة لا تتخذ لها زوجا للتفكهة .. انها تتخذه للحاجة القصوى .. ألا تذكرين أسماء بعض مؤلفاته المطبوعة ؟

جيلبرت (تتذكر) : آه ! الاسماء .. كم أنا ضعيفة فى حفظها .. ومع ذلك .. انتظرى .. آه ! : « الروح الحائر » و « الافكار البنفسجية » و « الغرام اليائس » و ..

ليليان : كفى ! كفى .. تعالى الآن ... لنرى المؤلف الكبير !

- ٢ -

الصديقتان والمؤلف

◆ **وتذهب السيدتان للاختلاط بالجمع .. وتقتربان من « بول هافين » المؤلف ، حتى يشعر بهما الرجل فيدير اليهما وجهه وكأنه استيقظ من حلم !**

ليليان (تخاطب جيلبرت بصوت مرتفع) : ان كتاب «الروح الحائر » هو أجمل كتاب قرأته حتى اليوم دون نزاع **(تبدو كأنها فى نقاش مع زميلتها)** لا ! لا ! لا يمكن أن أجد كتابا حديثا أو قديما يمكن أن أقارنه به . لقد تأثرت بعد قراءته تأثرا شديدا جدا

(يرفع بول هافين رأسه وينظر اليها باهتمام)

جيلبرت (بصوت منخفض) : سوف يعتقد انك تسخرين منه ..

ليليان : انك لا تعرفين عقلية المغفلين !.. انك كلما زدت الواحد منهم مديحا كلما زاده ذلك غرورا .. **(ثم ترفع صوتها)**

فيكتور هيجو ٠٠؟! لا ياصديقتى ! لست أعرف بين مؤلفات هيجو مايعادل « الروح الحائر » !

(يتقدم بول هافين الى السيدتين ، وقد ملأه المديح غرورا بالفعل ، ويزداد غرورا عندما يكتشف أن المديح قد خرج من فم تلك المرأة الجميلة !)

هافين : اسمحى لى ياسيدتى ان أوجه اليك الحديث ، ولو أن أحدا لم يقدمنى اليك بعد ! ٠٠ ولكن عبارة واحدة خرجت من فمك هى التى شجعتنى على ذلك ٠٠ فقد سمعتك تتحدثين عن « الروح الحائر » !

ليليان (تقاطعه) : اننى أجهل رأيك فى هذا الكتاب يا سيدى ٠٠ ولكننى أحب أن أنبهك مقدما اننى لا أسمح لك بتاتا بأن توجه أى نقد الى أكبر كاتب فى عصرنا هذا دون منازع ٠٠ فاننى ٠٠

هافين (يقاطعها هو الآخر وقد أشرق وجهه من هذه المفاجأة السعيدة !) : اننى ياسيدتى ٠٠٠ اننى ٠٠٠ اننى « بول ٠٠ هافين » !

ليليان (تمثل الذهول فى أصدق مظاهره) : أنت ؟ ٠٠أنت! انت ٠٠ هافين؟ مستحيل ! أنت حقا يا أستاذ ؟ آه ٠٠ أرجو أن تلتمس لى العذر ٠٠ فهذه أول مرة أجىء فيها الى هنا ، ولو كنت أعرف لما تحدثت أو قلت ٠٠

هافين : ولكنك تحدثت بكل خير ٠٠ ياسيدتى ٠٠ وبكل صدق واخلاص !

ليليان : ولكن ماقلت أقل بكثير مما أعتقد ٠٠ فانى أجهل طريقة التعبير السليم ٠٠ والآن ، وأنا فى حضرتك ٠٠ **(يبدو عليها الاضطراب)** اننى مضطربة ٠٠ اننى مشلولة !ان السعادة التى صادفتنى الليلة فوق ماكنت أنتظر ٠٠

هافين (يمسك بيدها) : هدئى من روعك يابنيتى !

ليليان (تصطنع الرعشـــة) : آه ياربى ٠٠ ! اننى أراك وأسمعك ٠٠ وأمسك بهذه اليد التى تكتب !

(يبدو عليها الدوار وتتظاهر بأنها ستقع مغشيا عليها)

جيلبرت : ماذا أصابك ياليليان ؟

هافين : انها تشعر بالتعب والدوار ٠٠ انها فى حاجة الى هواء نقى ٠٠

ليليان (بصوت منخفض) : نعم ! الهواء ٠٠ هواء ٠٠ اخرجوا بى من هنا !

يتساقط رأسها على كتف جيلبرت فتساعدها هذه من جانب ، ويساعدها بول هافين من جانب آخر ، وينزل الثلاثة فتدلف ليليان الى سيارة مدام دى ريس ، ويعود الكاتب الكبير الى الصالون ليهنأ بانتصاره !

- ٣ -

ليليان وجيلبرت وحدهما فى السيارة

ليليان (مقهقهة بالضحك) : ترى ، هل نجحت « النمرة »!؟

جيلبرت : يالك من ماكرة !

ليليان : لم تمض على مدة طويلة منذ وصولى من الريف ٠ ولكن عندما تطول اقامتى فى باريس سوف تظهر مواهبى ٠٠ لقد سمعته يسألك عن عنوانى ؟

جيلبرت : نعم ! وسيذهب اليك صباح الغد ليسأل عن صحتك !

ليليان : لا ! لن أستقبله غدا ٠٠ انه يحتاج الى ثمانية أيام أخرى حتى يمتلىء فيها الغرور ويتشبع الى الدرجة القصوى ٠٠ وبعد ذلك سأذهب اليه أنا بنفسى !!

- ٤ -

بول هافين وليليان

٠٠ ومر أسبوع كامل ، ذهبت ليليان فى نهايته وهى فى كامل زينتها الى منزل الاديب ٠ ودخلت الى حجرة مجاورة لحجرة مكتبه فوجدت فيها تمثالا نصفيا للكاتب ، اقتربت منه وأخذت تنظر اليه وهى تتظاهر بالاعجاب ٠ وعندما تشعر بحركة فى مكتب الرجل تدل على وشك دخوله الغرفة تنحنى على التمثال فتطبع قبلة على رأسه !٠٠ وفى نفس اللحظة يدخل الكاتب الى الحجرة فيشاهد هذه السيدة الجميلة وهى تقبل تمثاله ٠٠ فيمتلىء فرحا وسرورا !



هافين : ابقى فى مكانك ٠٠ أيتها الروح الحبيبة ! انه لمنظر رائع !

ليليان (باخلاص حماسى) : لم أتمكن من قمع هـذه الرغبة فى نفسى ، تماما كما لم أتمكن من منع قدمى من المجىء بى الى هذا المنزل ٠٠ ومع ذلك فقـد ناضلت يا أستاذ ٠٠!

هافين : ناضلت ٠٠ لماذا ؟

ليليان : نعم! ناضلت بأقصى قوتى ٠٠ ولمـا حضرت لزيارتى رفضت أن أسـتقبلك ، فان مجرد حضورك الى منزلى بعث الاضطراب الى نفسى ، من فرط ما تمنيت رؤياك ، فقد كان يتملكنى شعور بأننى أسيرة عبقريتك ونبوغك ٠٠

هافين (يمسك بيدها) : يا للقلب العزيز !

ليليان (تناجى نفسها): ولكن وأسفاه ! هل كان من الممكن بعد أن جمعتنى الاقدار بك أن أبعد نفسى عنك ؟! لا ! فقد كان هذا أشد مما يمكن أن أحتمل ٠٠ تصور يا أستاذ اننى معجبة بك منذ ستة أعوام !

هافين : حقا ؟! منذ صدر كتابى الاول « ألوان العاطفة » ؟

ليليان : نعم ! الالوان ٠٠ تلك القصيدة العصماء ٠٠

هافين (مقاطعا) : ولكن الألوان صيغت نثرا لا شعرا ٠٠؟

ليليان : اننى أقول « القصيدة » لأن نثرك – أكثر من شعرك – ملىء بالألوان العاطفية ! منذ ذلك اليوم دخلت فى عداد مريديك وتلاميذ مدرستك الى درجة قوضت صرح حياتى العائلية !

هافين : حياتك العائلية ؟ هل هذا ممكن ٠٠ ؟

ليليان : نعم يا سيدى ٠٠ فان زوجى ، وقد كان مادى الطبيعة ، قد حز فى نفسه وشعر بحسد شديد لأننى انسقت اليك بتأثير مؤلفاتك وكلماتك ٠٠

هافين : أيتها الشريكة الفاتنة ! أيتها الصورة الخالدة ٠٠

ليليان : ولذلك فقد طلب زوجى الطلاق ٠٠ وقد قبلته فى الحال ، كى أحصل على حريتى ٠٠ حرية استنشاق الهواء الذى تستنشقه أنت ! وكان أول ما فعلت بعد ذلك اننى حضرت الى باريس ٠ وكان قد مضى على فيها ثمانية أيام حين دعتنى صديقتى « مدام دى ريس » الى حفلة البارونة « ليفنيا » ٠٠ وأنت تعرف باقى القصة ٠٠ فان الماضى بسره وغموضه جعلنى أسيرة أدبك ٠٠ وهأنذا !

هافين : لا تأسفى على شىء ٠٠ فان روحين قد خلق كل منهما للآخر لا بد أن يجتمعا معا فى نهاية الأمر ، مهما تفرق بينهما المسافات ٠٠ مثلهما فى ذلك مثل أى شعاعين يلتقيان من مسافة بعيدة لكى يكونا معا لونا جديدا من ألوان الطيف ٠٠

ليليان : ما أحلى كلماتك ٠٠ أيها الاستاذ ٠٠ حدثنى أيضا ، حدثنى كثيرا ٠٠

هافين : كان لا بد أن نلتقى ، وكان لا بد أن يتعرف كل منا الى الآخر ٠٠ بل ان فى وسعى أن أقول اننى كنت فى انتظارك ! كنت أنتظر هذا المخلوق الذكى حتى أستلهم منه مثلا جديدة لقلبى ، هذا القلب الذى لم يعثر حتى اليوم على قلب آخر جدير به ٠٠ انه كان فى انتظارك ٠٠

ليليان : تكلم ! تكلم !

هافين : ان السيطرة على الكلمات لم تنقصنى فى يوم من الايام ٠ اننى فى كل مكان أشعر باحساس الاعجاب الذى ينظر به الناس الى ، ولكن لم يسبق لأحد أن أوضح لى ما يخالجه ، وذلك لأن الجماهير لا تفهم الكاتب ولا تعرفه على

حقيقته ٠٠ أنت وحدك قد جئت الى مدفوعة بوجدانك وعاطفتك ٠٠ اننى لأتمثل فيك قطعة صافية من المعدن النفيس الشفاف يخطف بريقها الابصار !

ليليان (تحدث نفسها) : يا لها من مهزلة !! **(ثم تقول بصوت عال) :** تكلم ! تكلم يا صديقى ! جميل جدا أن اسمع من شفتيك هذه الألفـــاظ التى تسجلها فى كتبك ٠ اننى أستمتع بكل ثانية من هـــذا اللقاء الروحى ٠٠ اننى أشعر كأننى فى عالم آخر ! ٠٠ وأسفاه ، ترى أين أكون فى الغد ؟

هافين : الغـــد !؟ تتساءلين عن الغد ؟! سوف تكونين الى جانبى ٠٠ دائما الى جانبى ٠٠ ألم يخلق كل منا للآخر ؟!٠٠

ليليان : نعم ٠٠ روحا وقلبا !

هافين (وقد أثرت فيه محاسن ليليان فهبطت به الى عالم المادة) : بل وجسما أيضا ! فان الأرواح لا تتم سعادتها بدون الأجسام !

ليليان (فى ذعر مصطنع) : تريد أن تتخذ منى خليلة ؟٠٠ لا ! لا ! اننى افضل الفراق ٠٠ والموت !

هافين : بربك ! لا تتحدثى عن الموت ٠٠ تحدثى عن الحياة ٠٠ عن السعادة ٠٠ عن الضياء ! اننى اذا كنت أريدك لنفسى فاننى أبغى اتحادا شريفا ٠٠

ليليان (وكأن السعادة قد جرفتها) : أنا ٠٠ زوجتك ؟ أنا ٠٠٠ زوجتك ؟!

هافين : نعم ! زوجتى ٠٠ رفيقة حياتى المعبودة ! المرأة التى تضىء منزلى وفكرى ، وتبعث الى بالافكار الجميلة !

ليليان : أى حلم ! أى حلم هذا أن أصبح ملهمتك المطيعة ، وان اشاركك أفراحك وآلامك ، وأخفف مما تعانى فى الحياة ٠٠

هافين : اعانى ؟! ومم اعانى ؟٠٠ ان ايرادى السنوى لا يقل عن عشرة آلاف جنيه ٠٠

ليليان (تتظاهر بالدهشة) : غنى أنت ؟! أنت غنى ؟! آه ياربى ! اذا فقد انتهى الأمر ! انتهى !

هافين : ماذا تقولين ؟

ليليان : لا يمكن ٠٠ ! أنا فقيرة ٠٠ هذه هى العقبة ٠٠ هذه هى الهوة التى تفصل بيننا ٠٠ كلا ، اننى لا أقبل ٠٠

هافين : ومن ذا الذى يجرؤ على اتهامك ما دمت لا تعرفين ؟! انك كنت تجهلين كل شىء عنى أو عن ثروتى ٠٠ بل وماذا يهم كل ذلك ؟ **(يضمها الى صدره)** اننى أريدك ! ان الرجل هو الذى يجب أن يكون غنيا لا المرأة ! سوف تتصرفين فى هذه الثروة ٠٠ سوف تكون لك كل الحرية فى التغيير والاضافة واضفاء الروح الفنية على هذا المنزل ٠٠ آه ، يا ليليان ! اننى أريد أن تطبعى على فمى تلك القبلة التى نالها منك تمثالى وانا على عتبة الباب !

ليليان : (تغمض عينيها ، وتتظاهر بأنها تحلم ، ثم تعانقه وتقبله وهى تقول) سوف أكون خادمتك !

.. ..

.. ..

الخاتمة

(تخرج ليليان من منزل هافين ، وتمر على مكتب البريد لتكتب خطابا سريعا الى صديقتها جيلبرت تقول فيه) :

« يا صديقتى

« لقد أفلحت الشباك فى الصيد ٠٠ اننى أتزوج « بول هافين » ٠٠ لقد كان صيدا سهلا !

« اننى أقبلك يا صديقتى وأشكرك ٠٠ فالفضل لك أولا وآخرا ! »



ملكات ونساء - ٧

للكاتب الفرنسي الكبير هنري بوردو

ماري باشكرتسيف

الفتاة التي كتبت عن الحب وهي طفلة !

ضيفة ثقيلة .. على الحياة !

• تستقبل الحياة بين حين وآخر ، « ضيفا » تبدو غير راغبة فيه .. لسبب يعجز العقل الانسانى عن الاهتداء اليه ! .. فهى تغار منه ، وتخشى على نفسها من عنفوان عبقريته ، وجموح مواهبه ، ومن ثم ترصد نفسها ، وأعوانا لها من البشر ، للقضاء عليه ، والتخلص منه ! .. ويسقط «الضيف» صريعا فى الميدان .. ولما يخطو بعد أولى خطواته على الارض !

.. هكذا استقبلت الحياة « مارى باشكر تسيف » .. وهكذا عاملت تلك الفتاة الصغيرة ، الجميلة ، التى نبغت فى الرسم ، والموسيقى ، والنحت ، وألوان كثيرة من الفنون .. وقلدتها نساء فرنسا ، فيما كانت تبتكره من أزياء ... كل هذا ، ولما تبلغ الثالثة عشرة من عمرها !

ثم تأمل معى فتاة فى مثل تلك السن الوردية ، تحب ، ثم تسجل آراءها فى الحب ، فتقول : « ان مجرد فكرة واحدة عابرة ، أو نظرة واحدة عابرة ، الى امرأة أخرى غير تلك التى يحبها الرجل ، لدليل على أنه لم يعد يحب المرأة التى بين يديه ! »

ألست ترى معى قسوة تلك القيود التى أرادت «مارى باشكر تسيف» أن تقيد بها قلب الرجل وعينه ؟!.. ولا عجب ، فقد ظلت عشر سنوات تبحث عبثا عن الحب المثالى .. وأخيرا .. وجدته .. ولكنها كانت فى طريقها الى الرحيل !

« هل هناك أهول من أن ينتهى الانسان ، ولديه من العبقرية مايكفيه لان يعيش الى الابد ! »

تلك كانت آخر كلمات خطتها يد تلك العبقرية الانسانية .. التى تقرأ سيرتها اليوم !

عاشقة الحقيقة .. والجمال !

• **كان** شعار تلك الفتاة «الغريبة» فى هذا العالم .. هو : حب الحقيقة .. والجمال !

ولدت « مارى باشكر تسيف » فى ١١ نوفمبر سنة ١٨٦٠ بروسيا البيضاء . وكانت أمها امرأة بارعة الجمال ، هادئة الطبع ، رخوة ، مترهلة الارادة ! .. أما أبوها فكان رجلا

مستهترا ، لا يعنيه فى الحياة شىء ، ولا يستهويه منها شىء . تقوم الدنيا وتقعد ، وتندك الصروح على بعد أشبار منه وهو جالس أو سائر ، لا يرى ولا يسمع كأنه أعمى أصم !

ولم تدم حياة الزوجين معا أكثر من عامين أو ثلاثة أنجبا خلالها « مارى » ، ثم انفصل أحدهما عن الآخر بغير طلاق .. فذهب الوالد فى طريق وذهبت الام فى طريق آخر . وصحبت مارى أمها ، لتجد نفسها بين أسرة جديدة مكونة من الام ، وجدها المريض ، وطبيبه الخاص الذى يلازمه كظله ، ومن العمة « رومانوف » ذات الثراء الواسع ، ومن « دوريا » ابنة عمها وموضع سرها

وكانت الهواية المفضلة لهذه المجموعة الصغيرة من النساء هى التجول فى البلاد ، والتنقل من دولة الى أخرى . فاذا حللن فى بلد ما ، انصرف همهن الى شراء عدد من كلابه ، أخذ يزداد كلما غادرن بلدا ليطفن ببلد جديد !

وكانت مارى فى العاشرة من عمرها عند ما ألقت أسرتها عصا الترحال فى « فيينا » ، التى كانت بالنسبة لفتاتنا الصغيرة الطموح ، كشفها الاول للحياة !.. وفى مدينة النبيذ و «الفالس» والغناء ، بدأت الطفلة تعبد الطريق لنفسها لتحتل مكانها فى المجتمع ، وهى ما تزال بعد فى تلك السن اليافعة !

أليس هذا عجيبا ؟! .. أليس من المذهل أن تكون حياة المجتمع كل شىء عند هذه الصبية .. تعيش له وبه ؟! .. ولا غرو ، فقد كتبت فيما بعد تصفه بقولها : « **.. هو حياتى .. فهو ينادينى ، وينتظرنى . واننى لأود أن أعدو اليه .. ان سنى لا تسمح لى بعد بالقاء نفسى فى أحضانه ، وفى معمعانه .. تلك السن التى أتحرق شوقا الى بلوغها ، لا لأننى راغبة فى الزواج ، بل لانها هى التى ستمكننى من الحياة فى المجتمع ! .. وليس مجتمع (نيس) الصغير هو الذى يستهوينى ، بل مجتمعات بيترسبورج ، ولندن ، وباريس ،**

الصاخبة ٠٠ اذ فيها وحدها أستطيع أن أتنفس ملء رئتى ، لاننى أجد فى تلك المجتمعات الحياة الحرة التى أتحرك فى جوها كما أريد » !

وأخيرا ، وقع اختيار الاسرة المتجولة على باريس لتكون مستقرا لها ،من بين جميع عواصم العالم ٠٠ وكادت مارى تجن من فرط سعادتها بحياة باريس ، فكتبت تصفها فى مذكراتها : « باريس هى الحياة ! ٠٠ ان قلبى ليخفق فى باريس ٠٠ لكم أرغب فى الوصول الى الحياة ٠٠ سريعا ٠ سريعا ! »

فلتة من فلتات الطبيعة !

◆ كانت « مارى باشكر تسيف » مجموعة عجيبة من العبقريات الفذة ، المختلفة ، التى قل أن تتركز فى مخلوق واحد من بنى البشر ٠ فاذا كان التاريخ حافلا بالعباقرة والافذاذ ، الا انه عودنا « التخصص » فيها ٠٠ فقد تركزت عبقرية « موزار » و « شوبان » فى الموسيقى مثلا ٠٠ كما تركزت عبقرية رافائيل فى الرسم ، و « شكسبير » فى الشعر ٠ ٠ اما ان نجد انسانا يبرز فى الموسيقى ، والرسم ، والشعر ، والنحت ، وكثيرا من الفنون الاخرى فى آن واحد فهذا هو العجب ! ٠٠ ومن هنا كانت « مارى باشكر تسيف » فلتة من فلتات الطبيعة التى لم نعهد لها مثيلا فى سجل عبقريات التاريخ ٠٠ فقد كان صوتها فى الغناء رائعا ، وكانت لها قدرة خارقة على تعلم اللغات المختلفة ، المتنافرة ، واجادتها فى أقصر وقت ممكن ! ٠٠ واذا رقصت ، بهرت الاعين ، وخلبت الالباب ٠٠ واذا امتطت صهوة الجياد العاتية ، لوت أعنتها ، وأذلتها !٠٠ أما فى شتى نواحى الفنون فهى فذة لا تضارع ! ٠٠ ففى تلك السن المبكرة برعت فى الرسم ، وأجادت القراءة ، واطلعت على نفائس الكتب ! ٠٠ فاذا ارتدت الى طبيعة الانثى التى تولع بالمظاهر ، كانت معجزة فى اختيارها ٠٠ فانتقاؤها لملابسها مثلا كان يذهل كل من يراها ويبهره ٠ فلقد كانت تبتكر الازياء ولما تزل فى العشرين من عمرها ، فتقلدها أرقى نساء باريس ، وينسجن على منوالها !٠٠ تعشقت البذخ ، وأحبت الحياة الصاخبة ، فعبت منها عبا ، وعاشت فيها بكل وجودها وكيانها ٠٠ كما أحبت حياة العزلة الهادئة ، وعاشت فيها بكل مشاعرها وجوارحها !٠٠ فاذا ضحكت ملأت بالضحك رئتيها ، واذا بكت قرح الدمع مقلتيها ! ٠٠ وهى سعيدة فى الصيف سعادتها فى الربيع ، وفى الشتاء ، وفى الخريف ٠٠ فاذا أشرقت الشمس، خيل اليك أنها تسبح فى أشعتهاالنورانية، واذا أمطرت السماء خيل اليك انها تسبح فى مياهها الهامية !٠٠ تحب كل شىء

جميل ، وتتذوقه بنفس المتعة ، ونفس القـوة ، ونفس الوعى ، وتتغلغل الى أعماقه بنفس البصيرة ، ولو تضاربت تلك الاشياء ، وبعـدت الشـقة بينها ، واختلفت أوجه الجمال فيها كل اختلاف !

كتبت فى مذكراتها تقول : « اننى أريد أن أرى كل شىء ، وأن أحصل على كل شىء ، وأن ألثم كل شىء ، وأمزج حياتى بكل مقومات الحياة وعنـاصرها ٠٠ ثم أموت بعد ذلك ٠٠ ويستوى عندى أن أموت بعد عامين أو بعد ثلاثين عاما ٠٠ فاذا مت ، فاننى أود أن أفعل وأنا أتذوق طعم الموت فى نهم ٠٠ ذلك الموت الذى هو نهاية كل شىء ، وبداية حياة أخرى مقدسة ليس لها نهـاية !٠٠ اننى أريد كل شىء ، ولا أقنع بالحصول على بعض الاشياء ! فكل شىء يروقنى ٠٠ واذا بحثت عن السعادة وعز على منالها ، فاننى أستشعرها حتى فى الشقاء !٠٠ ان جسـدى يبكى ، ويصيح ، ويتألم ٠٠ ولكننى أشعر بأن بين أضلعى شيئا أسمى من الجسد ٠٠ شيئا يستعذب الحياة رغم ما فيها من عذاب وآلام ! »

القدر ٠٠ يترصد النوابغ !

◆ وبعد ، فهل نالت تلك العبقـرية الانسـانية ما اشتاقت الى نيله من الحياة ؟! ٠٠ ان الحياة لا تنقاد منصاعة طيعة للانسان ٠٠ فليس من اليسـير أن يروضها ويخضعها ، ولو انه من اليسير أن تروضه هى وتخضعه ٠ وفى قسوته وجبروته ، لايفرق القدر بين الغث والسمين من بنى البشر ، فلا يخص برعاية خاصة الممتازين المتفوقين ، والافذاذ النادرين ، بل ان ما نراه يبدو على النقيض ، فهو يترصد النوابغ ، وينكل بالعباقرة ، كما لو كانوا أعداءه الالداء !٠٠وهكذا فعل القدر مع «مارى باشكرتسيف»

فماذا نالت فتاتنا الفذة من دنياها ؟! ٠٠ ان أول صعوبة صادفتها كانت فى عقر دارها ٠ وكانت صعوبة من نوع يتفق فى غرابته مع غرابة شخصيتها ٠٠ هذه الصعوبة هى « السلبية المطلقة » التى تلقاها من أمها وأهل بيتها جميعا ٠ فالعمة « رومانوف » امرأة واسعة الثراء ، تنفق عن سعة ، ولا ترد لها طلبا ٠٠ ثم ان أحدا لا يسألها الى أين أنت ذاهبـة ، ولا من أين أنت قادمة ، ولا ماذا صنعت أمس ، أو ماذا تصنعين اليوم أو غدا ! ٠٠ شخصيات سلبية تحيط بها ، وارادات رخوة عرجاء ، وبيت لا نظام فيه ، تسوده الفوضى من كل جانب !

واذا طلبت الفتاة نقودا ـ وما أكثر ما كانت تطلب من المال لفرط امعانهـا فى التبذير والاسراف ـ أجيبت الى ما تطلب ٠٠ فاذا لم يكن المال متيسرا عند الطلب ، فان العمة « رومانوف » لا تتوانى عن بيع جزء من أملاكها أو قطـع من مجوهراتها ، للحصول على القدر الذى يرضى مارى !

وبتأثير ذلك الجو ، كتبت مارى تقول فى وصف بيت عمتها ، وعمتها نفسها : « اننى أحس بأنى وحيدة فى هذا المنزل ٠ فاذا انهار المنزل عـلى ساكنيه فان

عمتى لاتحرك ساكنا .. واذا انقلب أثاث المنزل ، وانتقلت حجرةالطعام الى حجرة النوم ، فان ذلك لا يسترعى التفاتها .. واذا يبست أشجار الحديقة ، وجفت ورودها ، فهى لاتأبه لشىء ولا تبالى بشىء .. ان هذا يحزننى ، وينغص على حياتى .. فما أجمل أن ترى نفسك فى بيت جميل التنسيق ، مريح .. أننى أحب الجمال ، والراحة ، والنظام .. فاذا رأيت تلك الفوضى القبيحة ، والارادات الكسيحة التى تحيط بى ، أحسست بتعاسة لا حد لها ! »

وليس معنى ذلك ان مارى كانت تشكو من سوء معاملة أسرتها لها ، بل العكس هو الصحيح ، لان كل شىء كان طوع بنانها . فقد كانت المحور الذى يدور المنزل حوله ، والعامود الفقرى الذى يشد ظهره ! .. ولكنها ، وهى التى ألهمت حب الجمال والابداع فى شتى مناحى الفنون ، كانت تتعطش الى رؤية نفسها فى منزل يضم لمسات من هذه الفنون وذلك الجمال ..

وشعرت مارى ان الناس بدأوا ينظرون شذرا الى تلك المجموعة من النساء .. والكلاب ! التى تحيا بلا رجل يسندها ، وتعيش فى خضم الحياة بغير سلاح يحميها ، اللهم الا سلاح الثروة والمال .. فعمدت الى البحث عن والدها ، واعادته الى المنزل ، ومصالحته مع أمها . وبالفعل ، عاد الوالد ، ولكن ليزيد من عدد تلك الانفس المشلولة ، السلبية ، واحدا !

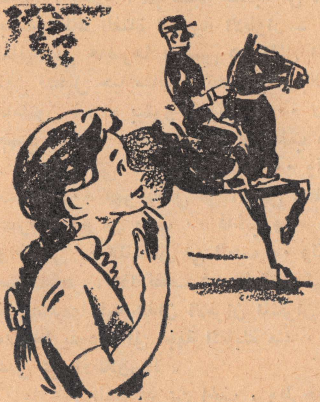
واستقر بالعائلة المقام فى باريس فى وضعها الجديد .. ولكن شيئا واحدا فى مدينة النور لم يستطع أن يحرك دبيب الحياة فى تلك الانفس الراكدة ، الآسنة .. وكل ماهنالك، هو ذلك الحنان الاشعث الذى تحيط الاسرة به فتاتنا مارى.. فلا صلات تعقد ، ولا صداقات توطد ، ولا أحد يزور الاسرة .. لا شىء غير السلبية الخانقة ، والجمود العقلى ، والنفسى ، الذى يسيطر على الجميع !..

أوليس من الشاق على مارى أن تخلق فى هذه النفوس الميتة احساسا بالحياة!؟.. أوليس من العسير عليها أن تهز تلك العقول لتفيق من سباتها ؟!.. أو ليس من المحزن لفتاة تزخر روحها بالحياة ، وتنبض عروقها بحب الحياة ، عند ما ترى نفسها تحيا فى مقبرة تضم أمواتا يتنفسون ؟!

حب .. فى الثانية عشرة !

◆ وبلغت مارى الخامسة عشرة من عمرها ، فأحست بأن الوقت قد حان لتحصل على الشهرة التى تؤهلها لمكان الصدارة فى المجتمع !.. ماذا ؟ أهى فى الخامسة عشرة من عمرها ، ولا يعرفها العالم ، أو يتحدث عنها الناس ؟!.. لقد تأخرت كثيرا ! فلتبحث اذن عن الشهرة .. أولا ، وعن الحب .. ثانيا . فهذان هما المطلبان الرئيسيان اللذان يستهويانها فى الحياة

ولكن ، ماذا عساها أن تفهم من الحب ، وهى لم تزل صبية ، فى الخامسة عشرة من عمرها !؟ .. ان مارى لم تكن فتاة عادية لتجهل الحب فى تلك السن



المبكرة .. فلكى تستكمل أسباب النبوغ والعبقرية ، كتبت عن تلك العاطفة التى فهمتها كما لم يفهمها الشيوخ المحنكون ، أو النساء اللواتى خبرنهـا ، واكتوين بنـارها ، وشابت نواصـيهن من أهوالها !

اسمعوها وهى تصف الحب بقولها : « ان مجرد فكرة واحدة عابرة فى امرأة أخرى ، غير تلك التى تحبها .. أو نظرة واحدة عابرة الى امرأة أخرى غير تلك التى تحبها ، لدليل على انك لم تعد تحب المرأة التى بين يديك ! »

وحتى تتم لها أسباب غرابة الاطوار .. ولكى لا ينقصها من مقومات الخوارق الانسانية شىء ، أراد القدر لمارى أن تحب لأول مرة « دوق هاملتـون » الشاب ، ولما تزل بعد فى الثانية عشرة من عمرها !! .. أحبته لا حب الصبية والاطفال ، بل حب النساء الناضجات ، المجربات ! .. لقد رأته فى الشارع ، وفى بعض اماكن أخرى من مدينة (باد) ، مرات عابرة لا تتجاوز العشر . ولم تبادله أى حديث ، ولا عرف هو عنها شيئا .. اذ كيف تريده أن يتصور ان فتـاة فى الثانية عشرة أو الثالثة عشرة من عمرها تعرف كيف تحب ، وتعشق الى حـد الجنون ؟! .. لقد راقها قوامه ، ووسامته ، فأحبته حبا أرقها وأقض مضجعها .. وذلك دون أن يعرفها أو تعرفه ! .. ثم سمعت بعـد ذلك أنه تزوج فأكلت الغيرة قلبها ، وكادت تذهب بصوابها .. وأحست بأن زواجه ضربة مصوبة الى قلبها ، فكتبت فى مذكراتها تصف هذا الزواج بقولها : « انه لم يتزوج .. لقد زوجوه ! »

وكأنما ثابت مارى الى رشدها ، وأدهشها أن ترى نفسها تتعذب لزواج الدوق الشاب الذى لم تعرفه قط ، ولم يعرفها قط ، فكتبت تصف نفسها بقولها : « كل هذا العذاب .. أقاسيه من أجل رجل رأيته فى الشارع مـرات عابرة لا تزيد على العشر ؟! .. رجل لم أعرفه قط ، ولا هو يعرف أننى أحيا فى هـذا الوجود ! »

وما كادت مارى تبرأ من حبها الاول ، حتى وقعت فى غرام جديد ، دهمها بعد أن تقدمت بها السن .. كثيرا .. اذ كانت قد بلغت السادسة عشرة من عمرها ! .. وكان ذلك عند ما التقت فى روما ، لاول مرة ، بشاب ايطالى رائع الجمال ، هو

« بيترو انتونللى » ابن الكردينال « انتونللى » مدير الفاتيكان . وكان حبها له طاهرا ، عذريا ، لم تشبه شائبة من دنس .. الا أن احساسا دفينا كان يستبد بنفس تلك الفتاة الغريبة الاطوار - كلما أعجبت برجل - وهو ان حبها الذى تعانيه فى حاضرها ، ليس هو المثل الاعلى للحب الذى تصبو اليه وتتمناه .. فهى تتخيل حبا مثاليا ، تخص به رجلا من طراز آخر ، يختلف عن طراز «الدوق هاملتون » و « بيترو انتونللى » .. لانها لا ترى فى الحب الرأى الذى يراه فيه جميع الناس .ففى حديثها عن الحب مرة الى ابنة عمها « دوريا » قالت تصفه : « ان الحب شىء مقدس فى ذاته .. وأريد أن أقول ان القداسة تحوطه ما دام مستمرا .. فهو يجعل من الرجل مخلوقا كاملا ، فى كل ما يصدر عنه من تصرفات مع من يحب .. فالحب وفاء ، وحنان ، وعاطفة مشبوبة ، وثبات ، واخلاص .. فلنتعمق فى الحب .. ولكن حذارمن أن نتعمق فى الرجل ! فالرجل مثل الجحر ، اذا نفذت فيه المرأة ، لم تجد سوى الرطوبة ، والقذارة !.. فاذا لم يصدمها فيه هذان الامران المنفران ، فانها لا محالة واجدة فى قاعه بابا مفتوحا يقودها الى الجهة المقابلة منه .. الامر الذى يدل على أنه ليس لهذا الجحر عمق على الاطلاق !! »

ما هذه الفلسفة عن الحب ، والرجال ، وأنت ما تزالين بعد فى السادسة عشرة من عمرك.. يا آنسة ؟!.. أهو حبك لانتونللى الذى أصابك بخيبة الامل؟ لعل الامر كذلك .. فقد كان « انتونللى » فى الحق جحرا رطبا ، قذرا .. اذ كان شكلا جميلا فقط .. ولم يستطع أن يرتفع بعقليته وروحانيته الى مستواك الرفيع !

.. أم هو حبك لدوق هاملتون .. هذا الحب الذى كان بمثابة الصدمة الاولى لقلبك الشفاف ؟!.. لعل الامر كذلك أيضا ! فقد كتبت فى مذكراتك عنه فيما بعد تقولين : « اننى لم أحب بيترو قط .. فهو لم يزد عن أن يكون نتيجة خيالات عاطفية ، جاشت بقلبى على أثر حب مضى وانقضى ! »

.. وراء الحب المثالى .. عبثا !

▼ وحين بلغت مارى السابعة عشرة من عمرها ، أحبها شاب روسى من أبناء عمومتها حبا جارفا ، عارما .. ولكنها لم تبادله الحب . وقد كتب اليها مرة يستعطفها بقوله : « ان العذاب الذى ألقاه فى حبك هو منبع سعادتى » .. فعلقت على قوله بتلك العبارة الاخاذة : « لشد ما أحسده على هذه القوة التى يستشعرها فى حبه ! .. متى يا ترى سأعرف ذلك الحب الذى طالما تحدث الناس عنه ؟! »

ثم توالت الغزوات العاطفية على ذلك القلب الصغير الكبير .. ولكنها فى كل مرة ، وبعد كل غزوة ، كانت تتكشف لها جوانب نفسها على حقيقتها .. فتكتب فى مذكراتها تلك العبارة المتكررة : « اننى لم أحبه قط ! »

انه الحب المثالى ، الخيالى ، الذى لا وجود له فى هذه الدنيا ·· هو الذى كانت تبحث عنه « مارى باشكر تسيف » ·· فما من مرة أعجبت برجل ، وأحبته ذلك الحب العذرى - اذ كان حبها عذريا دائما - الا وعزفت عنه وزهدت فيه ، بعد أن تجده « جحرا رطبا قذرا ! »

لقد كانت الفتاة ظامئة الى حب رجل يستطيع أن يعرفها على حقيقتها ، ويقدر ما فيها من مواهب فذة ! ·· وكانت هى تعلم انها ليست كسائر الفتيات اللواتى فى سنها ، وانها تتميز بعبقرية خارقة ·· ولذلك لم يكن التواضع من صفاتها ، بل كان الغرور أهم تلك الصفات ! ·· فمن ذا الذى يستحق أن يستحوذ عليها ويستأثر بها ؟! ·· لقد تطلعت ذات مرة الى نفسها فى المرآة ، وأخذت تتأمل مفاتن جسدها بشىء غير قليل من الاعجاب والغرور ، ثم كتبت بعد ذلك فى مذكراتها تقول : « هذا الجسم الذى يشبه أجسام الآلهة القدماء ·· وهذان الردفان المتسقان كأجمل ما يكون الاتساق ·· وهذان الثديان الصغيران ، المستديران ، البديعان ·· والقدمان ·· واليدان ·· والرأس الصغير ·· ما قيمة كل هذا ·· ما دام لا يحبنى رجل أبادله حبه ؟! »

ان مارى تعجب بالجمال كجوهر حر ، قائم بذاته · فهى لا تفرق فى اعجابها بين جمال تراه فى الطبيعة المحيطة بها ، أو المخلوقات القريبة منها ، او الاشياء التى تمر بها ، وبين الجمال الذى تراه فى نفسها !·· وانها لتتذوق الاخير بنفس النشوة التى تتذوق بها كل شىء جميل ، وأينما وجد ·· فالجمال فى رأيها - كما قلنا - جوهر حر ، ويستوى عندها أن يكون مفردا ، منفصلا ، ووحدة قائمة بذاتها ، أو يكون متعلقا بكائن من الكائنات ·

فقد كتبت عن نفسها مرة أخرى تقول : « فى هذه الليلة ، وبعد ان استحممت كعادتى كل ليلة ، رأيت نفسى وقد أمسيت جميلة فجأة ، الى حد اننى لم أتمالك نفسى من الوقوف أمام المرآة عشرين دقيقة كاملة ، أتأمل مفاتنى فيها ·· واننى لواثقة من انه لو رآنى أحد فى تلك الليلة لاخذ بجمالى ، وفتن بى ! فقد كان لون بشرتى زاهيا ، رقيقا ·· وبشرتى ناعمة أخاذة ·· وكان خداى متوردين قليلا ·· اننى أتوسل اليكم أن لاتظنونى عمياء ·· فلو كنت دميمة لرأيت دمامتى واعترفت بها ·· حقا ، انه من الاشياء المرذولة فى حياتنا هذه، أن يذبل ما فيها من مفاتن ، ويموت فى يوم من الايام !! »

وبعد برهة قصيرة اقتربت ثانية من المرآة ، وأمعنت فيها النظر قليلا ، ثم اضافت الى ما كتبته العبارة الآتية : « ·· ان الدموع اذا انسكبت من عينى حبات صغيرة ، أضفت على غير قليل من الجمال ! »

وليس من شك فى ان مارى كانت ذات جمال ساحر ، فريد فى نوعه ··

فالذين عاصروها ،وزاملوها فى فن الرسم - مثل «لويز برسلو» - وصفوها بأنها كانت فاتنة لا عيب يشوب سمات وجهها أو تقاطيع جسمها، وأن جمالها كان من طراز غريب يختلف عن أى نوع من الجمال الذى تعود الناس رؤيته فى النساء ، وذلك لكى تتم لها الغرابة فى كل شىء ، وتتميز عن الفتيات وبنات حواء جميعا ٠٠ فى كل شىء !

عزيزة المنال ٠٠ على الرجال !

◆ وكان من أبرز صفات مارى ولعها بزينتها ٠٠ هذا الولع الذى كان يضارع حبها للمجتمعات الصاخبة ٠ ولكن حبها للفن الاصيل ، وفى جميع صوره ، كان أعظم وأعمق ٠٠ فلم تكن بالفتاة السطحية التى لاتعنى الا بالقشور فحسب ، بل كان لباب الحياة يملك عليها مشاعرها ، اذ كانت الحياة عندها فنا جميلا ، وجوهرا أصيلا ٠

ومن العجيب ان فتاة بتلك الاوصاف ، نرى فيها آخر صفة يتوقع الانسان ان تكون من بين صفاتها ، وهى صفة «التزمت» الصارم الى أبعد الحدود ٠ فلم يحدث أن فرطت فى نفسها ، أو سمحت لاحد بالدنو منها والعبث بمقدسات جسدها ٠٠ فقد كانت طاهرة الجسد والروح ٠٠ بل انها ظلت تلوم نفسها سنوات كثيرة على تلك القبلة التى طبعتها مرة على جبين «انتونللى» فى روما ٠٠ وكانت تلك القبلة تلاحقها ، سنة بعد أخرى ، كما لو كانت وزرا ارتكبته وليس الى غفرانه من سبيل :

«يا الهى ! كيف تجرأت على تقبيله فى وجهه ؟! ٠٠ وكيف بادأته أنا بهذه القبلة ؟! ٠٠ اننى لمخلوقة مجنونة ، بشعة ! ان فرائصى لترتعد كلما تذكرت تلك القبلة ، فلا أتمالك نفسى من البكاء ! ٠٠ فمن يدرى ٠٠ لعله ظن ان تلك القبلة لم تكن الاولى التى أمنحها فى حياتى لرجل، بل هى واحدة من قبلات عديدات منحتها لسواه ٠٠ اننى أكاد أختنق من الغضب والخجل معا ! »

وعلى الرغم من هذا التحفظ ، والتزمت فى علاقاتها بالناس ، بل وبمن أحبت، كانت متحررة كل التحرر فى مطالعاتها ٠٠ فلم تفرق بين كتاب تليق قراءته او لاتليق ، بفتاة فى سنها !

ومن الطبيعى أن تستتبع كل هذه الصفات المتجمعة فى شخصية واحدة ، صفة أخرى لاغناء عنها ، وهى : الاعتداد بالنفس ٠ فقد بلغ من اعتدادها بنفسها انها دعيت ذات مرة ، وهى فى ايطاليا ، الى حفلة كبرى كان يرأسها الملك « فيكتور عمانويل » ملك ايطاليا فى ذلك الحين ، فاذا بفتاتنا الصغيرة تدنو منه وتبادئه بالحديث ! ٠٠ واستولى الذهول على الحاضرين من تلك الجرأة ، وذلك الخرق لقواعد البروتوكول ، وزاد من ذهولهم أن الملك لم يتردد في ابداء اعجابه بها ،

بل تلطف معها وقال لها بصوت مسموع : « انك بارعة الجمال يافتاتى » !

... لقد كانت مارى فتاة فوق مستوى قريناتها ، فكان من الطبيعى أن تهوى العظمة ، والعظماء ، ولا تحفل بأى رجل مجرد من الصفات الممتازة ، او لايمتاز عن غيره بأعمال مجيدة تسمو عن مستوى الناس !

الحسد يترصد العباقرة !

◆ والآن .. كيف كان الناس ينظرون الى «مارى باشكرتسيف» وأسرتها الثرية المتجولة ؟ .. وبماذا كانوا يحكمون عليها وعلى تصرفاتها غير المألوفة ؟

من الطبيعى ان تكون سيرة فتاة غريبة الاطوار من هذا الطراز على كل لسان ، ومن الطبيعى ان تكون تصرفاتها محلا للتأويل والاقاويل ! فمن العسير ان يدرك الناس العبقرية فور بزوغها .. واذا أدركها ذوو البصيرة ، فان العاديين من الناس يفهمونها على أنها نشاذ وشذوذ معيبان !

والحسد .. هل نسيتم الحسد ، وكيف يطلق ألسنة السوء من عقالها ، ويجعلها تسعى كالافاعى ؟ ومن ذا الذى لم يحسد تلك الفتاة الخارقة ؟.. لقد كانت موضع حسد الرجال لانها سمت عليهم عقلا وذكاء! .. وحسدتها النساء لانها فاقتهن فى صفات الانوثة ، جملة وتفصيلا ! .. ومن هنا بدأت حملة التشهير بها ، والنيل من سمعتها ، وهى التى مافرطت فى طرف من ثوب عفتها بل كانت مغالية كل المغالاة فى المحافظة على عصمتها !

وكما بدأت عبقرية فتاتنا مبكرة ، فقد بدأت حملة التشهير بها مبكرة ايضا . ففى الرابعة عشرة من عمرها كتبت فى مذكراتها تقول : «اننى لم أسىء الى أحد قط ، ورغم ذلك فان الناس لايتورعون عن التشهير بى ، والتقول عنى بكل سوء ! .. »

ولعل هذا هو الذى حدا بها الى العودة لروسيا ، بحثا عن أبيها لرده الى الاسرة ، حتى يكون وجوده بجانبها عاصما لها من ألسنة السوء . ورغم عودة الوالد ، فان ألسنة الناس لم تخرس ، بل استمرت تنهش فى عرضها نهشا !

.. والسل يفتك بهم !

◆ وما ان بلغت «مارى باشكرتسيف» الثانية والعشرين من عمرها ، حتى دهمها ذلك الداء الوبيل .. داء العباقرة والافذاذ من بنى البشر .. داء السل !.. وكانت قد أحست بأعراضه قبل ذلك بعامين . وكانت مارى من دقة الوعى بحيث أدركت حقيقة مرضها ، وعرفت انها راحلة لامحالة ، فبدأت ترسم لوحتها الاخيرة الخالدة لتختم بها حياتها الفنية المترامية ، المتشعبة الاطراف .

ولكن .. هل يرحم الناس ذلك الشباب الذاهب ، وتكف ألسنتهم عن الولوغ فيه ؟!.. كلا ! فبينما هى تحترق لتنجز لوحتها الاخيرة ، اذا بالشائعات

الحقيرة تملأ الآفاق عنها !٠٠ وقد كتبت فى مذكراتها تصف المها الشديد من تلك الشائعات بقولها : «فى الوقت الذى أعمل فيه من ثمانى الى عشر ساعات يوميا ، اذا بالتهم تكال لى جزافا ، وأنياب الناس تمزقنى ، وترمينى السنتهم بكل مسبة ونقيصة ، مع اننى لم ارتكب فى حياتى عملا واحدا يتنافى مع الخلق السوى !٠٠ ما أتعسنى ! انهناك أياما سوداء تمر بالانسان، يحس فيها بالحزن، واليأس ٠٠ هذه الأيام السوداء تمر بى الآن ٠٠ اننى لم أسىء الى نفسى قط ، كما لم أسىء الى غيرى ، وبالرغم من ذلك ، فان حملات التشهير بى لاتقف عند حد ٠٠ اننى أحس فى بعض الايام بأننى أعيش فى ظلام دامس ، واننى كمصباح انطفأ ٠٠ نعم ٠٠ لقد خبا نور حياتى ! »

وأحست مارى بأن رصيدها المتبقى من الايام بات قليلا فأخذت تعدو وتجرى لتنجز مهمتها وتتم رسالتها ، وذلك بأن تكمل لوحتها الاخيرة ٠

وقد كان الرسم من أكثر الفنون التى ملكت على مارى شغاف قلبها ، فقد تعشقته الى حد العبادة ، وكثيرا ماوقفت الساعات الطوال فى متاحف روما ونابلى وباريس واسبانيا ، خاشعة امام اللوحات الخالدة التى تضمها تلك المتاحف : «لشد ما أحب الصمت المطلق حولى ، وأنا أتطلع الى تلك اللوحات ، فان الكلام فى تلك اللحظات مؤلم كطعنة السكين !٠٠ اننى أرى الآن ما لم أكن قادرة على رؤيته من قبل ٠ ان عينى تتفتحان ٠٠ واننى لأرتفع على أطراف أصابع قدمى ، حابسة أنفاسى مخافة أن تعكر ذلك السحر الخالد ٠٠ اننى لأكاد ألمس أحلامى بيدى امام تلك الآثار الحية الباقية على الدهور » !

وظلت العلة تسرى فى بدنها فى غير ماهوادة ولا رحمة ، فنصحها طبيبها بالراحة ، والرحيل الى بلاد الجزائر ، ولكنها أبت ٠٠ فان لوحتها الاخيرة لم تكن قد تمت بعد !

٠٠ ولم تكن لوحات «مارى باشكرتسيف» من نسج الخيال ، بل كانت صورا حية للحياة الواقعية كما هى ٠٠ ولا غرو ، فقد كانت عاشقة لاثنين : الجمال والحقيقة ، ولذلك كانت تستيقظ مع الفجر ، وتخرج الى شوارع باريس تذرعها، لترسم بعض الصور الحية ،مما تراه فى مدينة النور اليقظى النائمة ، فى تلك الساعة : فمن أطفال مشردين استلقوا على احدى الارائك فى الشارع٠٠ الى عشاق انتحوا مكانا قصيا فى تلك الساعة الهادئة التى تتوسط ليلا يدبر ونهارا يقبل٠٠ الى غلمان يافعين متجمعين تحت مصباح الغاز يتآمرون ويدبرون الخطط ٠٠ الخ

واخيرا ، أتمت لوحتها ، فى السنة الاخيرة من حياتها، وأسمتها «اللقاء»، وهى تمثل ستة من الصبية الصغار ، متجمعين فى أحد الشوارع ينصتون الى مايمليه عليهم رئيس هذه العصابة الصغيرة من أوامر !٠٠ وقد لاقت تلك اللوحة نجاحا منقطع النظير ، واحتلت مكانها بين معروضات متحف (لوكسمبورج) ، فكان فى هذا عزاء للقلب الجريح ، وهو يعبر آخر جسر من جسور الحياة !



وكأنما أراد القدر أن يعكر عليها صفوة فرحتها الاخيرة ٠٠ فالبرغم من اعجاب الناس بلوحتها ، وتدفقهم لرؤيتها ، فان المحكمين لم يوافقوا على منحها الجائزة الاولى ٠ وكانت طعنة نجلاء فى صدر مارى المتهدم ، الدامى !٠٠ ولو قد علم أولئك المحكمون انها كانت ترسم تلك اللوحة وشبح الموت واقف أمامها بالمرصاد ، لأنصفوا ، وخففوا من غلوائهم ٠ فقد كان يبلغ بها الاعياء أثناء الرسم حدا لا تقوى معه على الحركة ، فتلقى بريشتها جانبا ، لاهثة ، مكروبة الانفاس وترفع عينيها الى السماء ، ضارعة الى الله الذى طالما تضرعت اليه : « دعنى أتم عملى يا الهى ، ولا تقف فى طريقى ٠٠ فهذا كل ما أطلبه منك ! »

حب أخير ٠٠ قبل النهاية !

◆ **حين** بلغت « مارى باشكر تسيف » الثانية والعشرين من عمرها ، بدأت تحس بالمرض الوبيل يدب فى أوصالها ، فاستشارت طبيبا أخفت اسمها عنه ، لتعرف منه الحقيقة كاملة ٠ وأنبأها الطبيب بالخبر الفاجع ، فعادت الى منزلها لتكتب فى مذكراتها - بحروف بارزة فى هذه المرة - تلك العبارة : « لن أشفى ! »

وكان ذلك فى ١٦ نوفمبر سنة ١٨٨٢

وبعد ذلك بقليل كتبت تقول : « لقد حلمت بأن نعشا قد وضع على سريرى ٠ وسمعت أحدا يقول ان فتاة صغيرة ترقد فى هذا النعش ، وان وهجا ساطعا كالنور المنبعث من مادة الفوسفور ، يشع من ذلك النعش ! ٠٠ لقد انتهى كل شىء ! لقد انتهى كل شىء ! ٠٠ ما أهول أن ينتهى الانسان ولديه من العبقرية ما يكفيه لان يعيش الى الابد ! »

وأخيرا ، رضخت مارى لنصيحة طبيبها ، وسافرت الى (الجزائر) . ولكنها عادت وقد ساءت حالتها الى حد كبير

ولكى تنتهى حياتها الغريبة ، نهاية تليق بعبقريتها ، شاء لها القدر أن تتعرف فى أخريات أيامها بالرسام المشهور « باستيان ليبارج » .. وكان ليبارج مريضا مثلها ، وبالداء نفسه ! .. كما كان موهوبا مثلها ، ولا يقل عنها ذكاء .. فكان لابد لنفحة الفن العلوية أن تجمع ما بين هذين القلبين الداميين ، والجسدين المحطمين !

وكان « باستيان ليبارج » شديد الاعجاب بها ، وكثيرا ما صارحها بتقديره لنبوغها ، واجلاله لمواهبها .. وما كان أحوج مارى الى فنان يفهمها ، ولا يبخسها قدرها !

وقد كان مجردا من كل مايستهوى النساء ، اذ كان قميئا ، دميما . ولكن مارى أعجبت به لفنه ، فقد عرفته أولا عن طريق لوحاته ، وراعتها لمساته الفنية الى حد قادها الى التعرف به . وزاد اعجابها به ، بعد أن اكتشفت نبل خلقه وكريم سجاياه. ولكنها قاومت عواطفها نحوه ، وأبت عليها أن تتخطى حدود الصداقة المنزهة ، العفيفة !

وأخذت العلة الوبيلة تلح على الاثنين ، فاذا بكل منهما يود لو استطاع أن يغذى الآخر بما تبقى فى حياته من حطام !.. فاذا عز الفداء ، فلا أقل من أن يتمنى كل منهما أن يكون السابق الى الرحيل عن هذا العالم . وكانت كل الدلائل تنبىء بأن مارى ستسبقه الى الابدية .. فراحت تبذل من ذات نفسها وقوتها ، مجهودات جبارة لتذهب الى لقائه كل يوم .. دون أن تنسى أناقتها ، حتى فى تلك اللحظات المظلمة القاتمة !.. فكانت تلبس أفخر ثيابها ، وتتجمل ما استطاعت ، لعلها تدخل السرور على قلب ذلك الذى زاملها فى الفن .. وسيزاملها فى الموت !

وظلت على هذه الحال حتى أول اكتوبر سنة ١٨٨٣ ، حيث

كان الاعياء قد بلغ بها مبلغا أقعدها عن الحركة . فطلب « باستيان ليبارج » ان يحمل اليها كل يوم .. حتى آخر يوم من حياتها .. اذ انطفأ ذلك النور الوهاج فى ليلة « عيد جميع القديسين » ، وفاضت روح «مارى باشكر تسيف» الى البارىء الاعلى تشكو ظلم الناس .. وقسوة القدر !

أما التعس « باستيان ليبارج » ، فقد تبعها فى ١١ ديسمبر من العام نفسه

لقد أحب كل منهما الآخر .. ولكن أحدا منهما لم ينبس للآخر ببنت شفة عن حبه .. ولم تزد العلاقات بين هذين القلبين الجريحين ، والجسدين الممزقين ، على أكثر من المصافحة وشد الايدى !

وكانت آخر عبارة خطتها « مارى باشكرتسيف » فى مذكراتها هى : « **اننى أموت طاهرة القلب ، والروح ، والجسد .. منزهة عن الافكار الدنسة ، التى أشهد أمام الله ، بأنها لم تعلق بذهنى قط ، فى أية لحظة من لحظات حياتى** » !

ان «مارى باشكر تسيف» لم تكن تبحث عن المجد والشهرة فحسب ، بل كانت تبحث دائما عن الحقيقة التى طالما وجدتها ، وصورتها على لوحاتها الخالدة . أما الحب الذى لم تسعد به فى حياتها القصيرة الخاطفة ، فانه يتدفق الآن هاميا هتونا ، من قلوب الشبان الذين يحجون الى قبرها فى « باسى » كل يوم !

ما أقسى الحياة .. اننا يجب أن نوسد فى قبورنا كى يعرف الناس أقدارنا .. فما دام الانسان حيا ، فان أنياب الشر تظل تلاحقه نهشا ، وتقطيعا !.. فشكرا للموت الذى يقف حائلا بين الأموات والأئمة من الاحياء .. فلن يستطيع أحد من هؤلاء قبل أولئك شيئا .. فهو اما أن ينساهم .. أو يحبهم .. فيما بعد .. بعد أن يكون الاوان قد فات !

حوافز الحياة



النفس والجنس .. والمجتمع ..

عزيزى القارىء ..

فى هذا الباب قدمت لك فى الأعداد الماضية من كتابى ، الكتب الآتية على التوالى : « كيف تصارح أولادك وبناتك بالحقائق الجنسية » ثم « طريق السعادة الزوجية » و « مركب النقص » و «حواء الجديدة» و «كيف تقهر الخجل» و « كيف تقهر القلق وتستمتع بالحياة »

ثم قدمت لك بعد ذلك من « فنون الحياة» التى شرحها المفكر العالمى «أندريه موروا » : فن الحب ، فن الزواج ، فن الحياة العائلية ، فن الصداقة ، فن العمل ، فن الزعامة ، فن التفكير ، وأخيرا فن الاستمتاع بالشيخوخة ..

ثم قرأت معى فى هذا الباب فصول كتاب « غزو السعادة » لبرتراند رسل .. فكتاب فرويد المشهور « التحليل النفسى »

ثم « الجنس الآخر » ، و « عش حياة ايجابية » ، و « أبواب الحب المغلقة » ، و « فن الحب » ، للشاعر الرومانى أوفيد .. ثم « الانتصار على الخوف » ، للاخصائى المعروف « جيمس بندر » .. و «عش بحكمة تعش سليما» للاخصائى الالمانى « برنارد ديتمار » ثم : « كيف تتجنب متاعب الاعصاب المرهقة » لويلفريد نورثفيلد .. و «كيف تفسر احلامك » لهربرت هيسبرو .. و « كن متفائلا » .. ثم « تاريخ الغزل » .. و « كيف تعيش ٣٦٥ يوما فى السنة »

واليوم ، أقدم لك كتابا جديدا يساعدك على الشفاء من جراحك النفسية !



أتح لِعقلك حياة جديدة!

للعالمين النفسانيين هارى وبونارو أوڤرستريت

لا تخف .. من ثورة النفس !

♦ عندما تشعر بالحاجة الى ان تشد شعرك ، وان تصرخ ، وان تضرب الأرض ، وتحطم ما حولك ، وتبكى ، وتضحك .. فلا تجزع ، ولا تخش ان تكون مقدما على الجنون ، وانما استفد من ثورتك هذه ، لأنك تتخلص بها من صورة زائفة تتوهم نفسك عليها ، وتقترب من شخصيتك الحقيقية ، ومن مستوى الوسط الواقعى المحيط بك .. ومن ثم ترد لعقلك حيويته ، وتبدأ فى تدبر الموقف الذى تعانيه تدبرا ناجعا!

ان مؤلفى الكتاب الذى أقدمه اليك اليوم ، من علماء النفس المبرزين . وقد تعرضا فى كتابهما هذا للعقبات التى تشل عقلك عن التفكير الصحيح المجدى ، وللقيود التى تعرقل شخصيتك عن استكمال نموها الصحيح السليم .. وهما يتطرقان الى بحث العلاقات الانسانية، فيجردان كثيرا من مشاكلك من غموضها ، بحيث تتبين لك واضحة ، فتستطيع ان ترى سر المتاعب ، وسبل العلاج ...

ولكن .. لندع المقدمات .. وتعال نقرأ الكتاب معا !

الجراح التي لا تندمل !

♦ لحيوية العقل البشرى مظهر واحد نستطيع أن نقول انه يتكشف للعين بوضوح وسهولة . ومع اننا قد لا نكون اعتبرناه فى يوم ما ، مفتاحا للقوة والصحة العاطفية ، الا ان معظمنا اعتادوا ان يشعروا بوجوده أو غيابه لدى كثير من الناس ، وان لم يدركوا كنهه !.. ولكى نتبينه يحسن ان نتخذ من ميدان الطب مثالا .. وليكن هذا المثال رجلا فى عيادة طبيب ، وقد جاء للمرة الثانية ، يشكو مما بدا فى زيارة سابقة انه جرح فى أصبع ، لا يخشى منه كثير ضرر ..

ويقول المريض للطبيب فى لهفة : « أرى أن تلقى نظرة ثانية على الجرح ياسيدى الطبيب ، فانه يأبى أن يندمل »

وينظر الرجل الى الاصبع فى عبوس .. ولكن الطبيب يرى ان الأمر لا يقتصر على الأصبع وحدها ، فهو يدرك أن الأصبع ليست سوى جزء من كيان الرجل .. فلماذا لايندمل الجرح؟.. أهناك قوى تحول دون شفائه .. كمرض السكر ، أو كنقص

الفيتامينات فى جسم المريض ؟٠٠ اذا كانت الاصبع هى المريضة، فان على الجسم بأكمله أن يفسر اصرار الألم على البقاء ؟٠٠

اننا ـ من وجهة النظر الطبية ، ومن حيث تركيبنا البدنى ـ خليقون بأن نقاوم المرض ونعيش ، لأن لكل جسد آدمى قوة تعوضه عما يفقد ، وترد اليه صحته ٠٠ ولا يرجع استمرار الحياة فى الجسد الى تفادى الخطر ، وانما الى المضى فى علاج ما يصيب أى عضو من خلل ٠٠ الى عملية التعويض والتجديد المستمرين ٠ ومن ثم ، فأى فشل غير عادى يمنى به الجسد فى محاولته لشفاء نفسه ، يجب أن يكون ظاهرة تستحق الاهتمام الجدى ، اذ تنم عن خلل فى وظائف الجسم ٠٠ خلل لا يرجع الى مجرد أذى أصاب جزءا منه !

وفى رأى علم النفس أن القوى الشافية للآلام النفسية لاتقل أهمية عن القوى العلاجية للآلام البدنية ٠ ٠ فان بنيان الشخصية ، كبنيان الجسد ، كلاهما يعيش فى دنيا تقع فيها الأحداث الضارة ٠ فالصحة العقلية أو العاطفية لاتصان بمجرد تفادى أى ضرر ـ مهما يكن تافها ـ وانما بالشفاء من جميع الجراح التى تنشأ عن « وخزات الحظ وطعناته » !

وتوفر القوى العاملة على الشفاء ، فينا ، يعتبر جوازا ٠٠ أو هو بالأحرى رخصة تبيح لنا الاشتراك فى الحياة على مافى هذا الاشتراك من ارتياد لعملية محفوفة بالخطر ، هى عملية الحياة ذاتها !٠٠ فاذا مافارقتنا هذه القوى ، بدت لنا أتفه عقبات الحياة محيرة ، مضنية ٠٠ حتى ان الخدش البسيط ـ سواء أصاب أصبعا ، أو أصاب الشعور بالرغبة فى الحياة ـ يصبح مشكلة كبرى ٠ فاذا منينا بجرح يأبى ان يبرأ ـ جسديا كان هذا الجرح أو نفسيا ـ فان هذه الظاهرة تنم عن علة تمتد الى أبعد من نطاق الجرح ٠

الرجل الذى لايصفح ٠٠ عليل !

◆ **ونتناول** هنا ناحية من نواحى الكشف عن الصحة أو

المرض العاطفى . تلك هى قيام قوانا المعوضة والمجددة بمهمتها أو تعطلها عنها . ففى الشخصية الشديدة الاضطراب ، تكون هذه القوى معطلة ، ومن ثم فان أتفه ضرر يصيب الشعور بالرغبة فى الحياة ، خليق بأن يعتبر من العوامل الهدامة . ولا يعنى هذا ان صاحب الشخصية السليمة محصن ضدالاضرار ، وانما يعنى ان قواه المعوضة المجددة تعمل بانتظام ، وكماينبغى لها ان تعمل . وما أن ندرك هذا ونفهمه حتى نصبح قادرين على أن نلمس ماوراء كثير من « تصرفاتنا المضطربة » من اهتزازات فى شخصيتنا ، فنعمل على مقاومة الضعف ، وعلى ان نعالج هذه التصرفات كمشكلات مستقلة قائمة بذاتها .

ومثل هذه التصرفات نراها حولنا فى حياتنا اليومية . **فالشخص الذى يكن فى نفسه الضغائن ، ويظل يذكرها أمدا طويلا ، ويحس كلما تذكرها بعين المشاعر والانفعالات التى انتابته عند حدوثها ، شخص عليل، مريض .. ذلك لأن جرحه لا يبرأ ، ودليل عدم البرء هو العجز عن الصفح عن الشخص الذى تسبب فى الاضرار به عمدا أو عفوا !**

وهناك أمثلة أخرى .. الشخص الذى ينفض يديه من مشروع ما ، بمجرد أن يصادف أول عقبة أو أول فشل .. والشخص الذى يعزف عن المجتمع لان الناس لم يستجيبوا لمحاولته الاولى للتقرب اليهم .. بل ان الأسى « المشروع » ، اذا تجاوز أمدا معينا فى البقاء ، صار دليلا على عطل فى وظائف القوى المجددة لنسيج الشخصية وكيانها ..

ان لب المرونة التى تدل على سلامة « حيوية العقل الكاملة » يتمثل فيما يحسن ان نطلق عليه « الايمان » .. ولسنا نقصد « الايمان » بالمعنى الدينى الدقيق ، وانما نقصد اتجاه الشخصية بأكملها الى الايقان بأن للحياة ، فى نطاقها الكامل وبكل مواردها غير المحدودة ، قيمة ومغزى .. وان على الفرد ان يعتقد أعمق الاعتقاد بهذا المغزى وبتلك القيمة ، حتى يستطيع أن يتقبل

الحياة ، فى أشد ضائقاتها ، وأن يعمل على القيام بمطالبها ٠٠

مثل هذا الايمان قد لاتقوى الكلمات على شرحه ، ولكنه ـ مع ذلك ـ يكفل للشخص الذى يعتنقه شجاعة تكفيه لخوض غمار الحياة والتشبث بالبقاء فيها ، كما يمنحه مرونة كافية لتمكينه من أن يبرأ من الأضرار التى قد يجلبها عليه خوض الحياة، والحساسية المرهفة ٠ فهو ـ بهذا المعنى ـ القوة التى تحيل الاطلال الى جمال ، والحزن الى عطر الفرح ، والهم الذى يرين على النفس الى غلالة من الثناء والمديح !

كل مكان ٠٠ صالح للحياة فيه !

• **ونمضى** خطوة أخرى ، فنقول ان القوى المجـــددة لدى الانسان السليم تصبح قوة لا تتجزأ من كيانه وتركيبه ٠ فهى لا تحشد عند حدوث طارىء معين ، وانما هى دائما موجودة ، ومتأهبة لتندفع ، اذا مادعيت لمقابلة هذا الطارىء عندحدوثه ٠ وهى ـ أيضا ـ جديرة بأن تعبر عن النفس وأن تستخدمها بأكملها ٠٠ أى بشقيها : الجسم والعقل ٠٠ ومن ثم فلنا أن نقول بحق ان من علامات الصحة العاطفية ، أن تتوفر لدينا المقدرة على أن ندع الجسد يؤدى عمله ٠٠ ولن ندرك هذا بجلاء ، الا اذا تصورنا شخصين استفزهما عدوان ثالث الى درجة الغضب الجائح ٠٠ مثل هذين الشخصين قد يكبحا نفسيهما عن الرد فورا على خصمهما ، ولكنا لا نملك سوى ان نلاحظ فارقا واضحا بينهما : فبينما يكون الكبح لدى أحدهما مجرد سيطرة على الغضب وارجاء لانفجاره ، نجده لدى الآخر فرصة لتهـدئة أعصابه ، ولتجديد القوى ٠٠ فهو بذلك يتيح لنفسه وقتا كى يفيق من تأثير التحرش ، ويتأمل الأمر من جميع نواحيه ، بل وليتصور وجهة نظر الخصم وتفكيره٠٠ ومن ثم فان الجرح الذى أصاب شعوره النفسى خليق بأن يبرأ بأسرع وأسهل مما يبرأ به جرح صاحبه الذى يتأهب للانفجار ٠٠ اذ ان هذا يميل

الى أن يرعى غيظه ويغذيه ، فاذا لم يستطع أن يصب سخطه على خصمه ، فانه يصبه فيما بعد على ضحية بريئة ٠٠ وهو غالبا مايتسبب بمسلكه فى أن يخلق فى نفسه بعض ظواهر بدنية كالصداع ، أو سوء الهضم ، أو الأرق ، أو التعب المضنى !

واذا كانت القدرة على الانتظار وتمكين عوامل الشفاء من أن تحدث أثرها ، مظهرا من مظاهر المرونة العاطفية ، وبالتالى من مظاهر الصحة النفسية والعقلية ٠٠ فان الرغبة النشطة فى استعراض وكشف الاحتمالات التى ينطوى عليها أى موقف — ولو كان موقفا سيئا — تعتبر مظهرا آخر ٠٠ **ولقد كان « روبرت لويس ستيفنسون » — الروائى الانجليزى الخالد — ضعيف البنية ، حتى ان اعتلال جسمه كان يضطره الى مفارقة الأماكن التى طالما أحبها ، ليعيش فى بقاع نائية ، منعزلة ٠٠ ومع ذلك ، فانه كتب مقالا طويلا بعنوان : « الاستمتاع بالاماكن التى لا تسر النفس » ٠٠ ولم تكن الغاية التى انتهى اليها فى مقاله ، وهى ان أى مكان جدير بأن يكون صالحا للعيش فيه » ٠٠ لم تكن هذه الغاية سوى مظهر رائع لما أوتى من قوة على التجدد والانتعاش النفسى والعقلى ٠٠ فهو فى ابتعاده عن الاماكن التى ألفها والأشخاص الذين أحبهم ، لم يستسلم للحنين الدائم أو الرثاء للنفس ، وانما تحول — بقدر ما مكنته قواه الواهنة — الى كشف محاسن وامكانيات الاماكن التى كان يضطر الى الاقامة فيها ٠٠**

مثل هذه المرونة نجدها أيضا لدى بعض الأفراد الذين يضيق نطاق اختيارهم ، بحكم حادث يشل حراكهم ، أو بسبب الاكتمال ٠ فان هؤلاء الأشخاص لايكادون يتغلبون على الصدمة ، حتى يشرعوا — فى بطء ولكن فى عزم — فى تبين مايمكنهم أن يفعلوه ، وكثيرا مايرسمون — لهذا السبب — حياة نافعة لأنفسهم ٠

موتى ٠٠ على قيد الحياة !

◆ **على** أن كثيرا من الأفراد يفقدون الرغبة فى الحياة ، والغرض الذى يعيشون من أجله ، والمرونة النفسية ، قبل أن تستسلم أجسادهم للموت بأمد طويل ٠ ذلك لأن تعطل قواهم المجددة ومقدرتهم على الشفاء ، تجعل أتفه الأضرار التى تصيب شعورهم وكيانهم النفسى عاصية على أن تشفى تماما ٠ ومثل هؤلاء الأشخاص كثيرا مايقيمون فى كيانهم الشخصى خططا وأساليب عديدة للدفاع عن النفس ٠٠ فهم قد يمضون بين الناس فى حذر ، متوقعين أن يصابوا بضرر ، متحفزين للصراع ٠٠ أو للفرار ! ٠٠ أو هم قد يستسلمون للرثاء لأنفسهم ، وللاعتماد على الغير فى تذمر وشكوى !٠٠ أو هم قد يعيشون كالآلات ، متجنبين أى شىء يخرج على المألوف !٠٠وقديكتسبون أعراضا بدنية تعبر عن خيبتهم العاطفية٠٠ أو يختارون لأنفسهم من الأحاسيس البشرية العادية النصيب الذى يضم الضيق ، والملل ، والاكتئاب ، والتقاعس ، والفتور !

واذا شئنا أن نحدد صفة مشتركة تميز جميع أولئك «المأزومين» على اختلاف مشكلاتهم، والذين هم فى حاجة الى علاج، فان لنا أن نقول انهم جميعا «**أفراد لم يوفقوا فى العودة الى حالتهم الطبيعية بعد واحد أو أكثر من الجروح النفسية** » ٠ ولا يعنى هذا انهم جميعا يكنون أحقادا وسخائم ، أو أنهم يقفون على استعداد لأن يناصبوا الحياة العداء ٠٠ ولا يعنى أنهم جميعا مختلو الأعصاب ، وانما هو يعنى أن فشلهم الماضى لا يزال يؤثر فى نظرتهم الى كل ما يرون ، وفى شعورهم نحو كل مايصادفهم، عندما يقدمون على مواقف وأوضاع جديدة ، ومن ثم فهم لا يرون الجانب المشرق من الأمور ، وانما يرون فى كل موقف صورة منعكسة من موقف سابق ساءهم ، وآبوا منه بالخيبة !

وعلى العكس من ذلك ، لو بحثنا عن صفة تميز جميع الذين يعيشون راضين عن الحياة ، لوجدنا ـ دون مجانبة للصواب ـ

انهم جميعا يمتازون بقدر من مرونة العواطف والمشاعر والانفعالات ، ومن ثم فان القوى المجددةالمعوضة عندهم تعمل بانتظام ، مما يمكنهم من البقاء فى الحياة ٠٠ بل من المضى فى الحياة باقدام ، متقبلين أخطارها فى سبيل الاحتمالات التى قد تكون وراء هذه المخاطر ٠

★ ★ ★

● لكل اضطراب عاطفى ـ موقوتا كان أو مزمنا ـ أثر فى الكلام الذى يصدر عن صاحبه ٠٠ فهو يؤثر فيما يقول وفى الطريقة التى يتبعها فى القول ! ٠٠ ولعلنا جميعا ندرك هذا بالتجربة ، اذ نشعر أن من الواجب علينا أن نزن ما يصدر عنا من حديث فى حالة الخوف أو الانفعال أو الغضب المفاجىء ٠٠ بل ان الكلمات قد تخوننا مهما يكن حذرنا ٠ ومن ثم فالرابطة بين الشعور والكلام جد وثيقة ٠

وهذه الحقيقة أكثر انطباقا وظهورا ، فى حالة الشخص « المأزوم » ٠٠ ولنتخذ هذا الوصف لذى العلة النفسية ، أو الذى يعانى أزمة نفسية ٠ فهو قد يكون من الاضطراب بحيث يعجز عن الافصاح عما يحاول التعبير عنه ، فاما أن تنطلق العبارات من فمه فى سرعة وارتباك عصبيين ، محملة بفيض من الانفعالات ٠٠ أو هو قد يلتزم الحذر المفرط الذى يجعله يميل الى التحذلق والى العناية بمظاهر الكلمات أكثر منه بمعانيها ، وبهذا يجرد كلماته من كل معنى حى ، فتغدو أحجارا جوفاء تقيم سياجا بينه وبين ما للحياة من نشاط وعنفوان وما تتطلبه من تحمس واقبال !

وكيفما كان الستار الذى يلتف حول الكلام فيخفى معانيه الحقيقية ، فان هذا الستار لا يوجد الا حيث يوجد الاضطراب فى المشاعر ٠٠ فهو دليل يشى به ويدل على وجوده ٠ واذا ما تبينا مدى الارتباط بين المشاعر وبين الكلام ، لم نعد نرى وجها للعجب فى اهتمام المحللين والاطباء النفسيين باستدراج المريض الى أن « يفضى بكل ما فى نفسه » ٠٠ أو بالاحرى ، باغرائه على الكلام ، كيفما كان هذا الكلام ، وأن يقول كل مايخطر بباله ، الى أن ينتبه الى المشكلات العاطفية التى لم يكن فى وسعه تعيينها وادراك كنهها ، فيأخذ فى صوغها بأسلوبه العادى ٠٠

ولعل أسلوبا من أساليب العلاج النفسى لم يتعرض للنقد مثل هذا الاسلوب ٠٠ « الاستدراج الى الفضفضة بما فى النفس » ٠٠ فلقد انتقده علماء الاخلاق ، وزعموا أنه يبيح للناس أن يستمرئوا مباذلهم ! ٠٠ ونظر اليه كثير من رجال الدين فى توجس ٠٠ وهز الافراد العاديون رؤوسهم ، لان هذا الاسلوب يفرض

قيودا على ما كانوا يرتاحون اليه من رثاء لأنفسهم ، أو تمجيد لها ، فى حياتهم العادية ٠٠ أما ذوو الميول العملية الحادة ، فقد ضاقوا بهذا الاسلوب الذى يدعو الى نبش الماضى ، والتنقيب بين مخلفاته عن العلة المتوارية !

على أن هذه الانتقادات المبنية على سوء فهم ، لم تمنع هذا الاسلوب من أن يبقى ويطبق ٠٠ ولو أننا تأملنا كيف يقوم بدوره ومهمته ، وتحرينا سر أدائه لهذه المهمة ، فاننا لانكتسب القدرة على التغلغل فى كشف الظروف المحيطة بالمرض العاطفى فحسب ، وانما نزداد تعرفا أيضا ببعض مميزات الشخصية السليمة ٠٠

ذلكأن هدفالطبيب النفسى هو أنيخلقللمريض جوا مناسبا كى يكشف ما غاب عن ذاكرته من أحداث مرت به وتركت آثارا ترهقه بسيطرتها عليه ٠٠ وهذا الجو يجب أن يكون متحررا طليقا من كل رقابة ، أو تقييد ، أو حذر ، أو لوم ٠٠ فلا يجب أن يحس المريض بالحرج من أن يكشف عن كل ما فى نفسه ، لأن الكشف عنه كشف - فى الوقت ذاته - عن موطن الداء ٠٠ وشعور المريض بالحرج يجعله يلزم جانب الحذر والدفاع عن نفسه ، بدلا من اماطة اللثام عما يتوارى فى جنبات هذه النفس ٠ كذلك يجب أن يخلو هذا الجو من أى ايحاء بما يريد الطبيب النفسى من مريضه أن يقول ، أو يحس ، أو يفعل ، لأن ميل المريض الى ارضاء الطبيب قد يحمله على أن يخدع نفسه أو أن يموه مشاعره ٠٠ أو على الاقل يجعله يشعر بالاستياء اذا لم يصدر عنه ما يترقبه الطبيب ويتوقعه ٠٠ وبالتالى ، يجب أن يخلو هذا الجو من النصيحة التى تنطوى على أمر ، لأن هذه النصيحة قد تغرى المريض بأن يكف عن بذل الجهد فى ان يستقل بشخصية ناضجة !

وفوق هذا كله ، يجب أن يكون الجو خاليا من أى تعجل للمريض ، أو حث له على الكلام والافضاء ٠٠ ذلك لأن الحادث التائه عن الذاكرة ، لا يمكن العثور عليه واستدراجه الى العقل الواعى ، الا كمجرد شىء يأتى فى سياق الحديث دون ما تنبؤ أو تكهن سابق بقيمته ٠٠ كما أنه لا يمكن أن يستغل لمصلحة العلاج اذا هو وصل الى العقل الواعى قبل أن ينضج وينتقل من تلقاء نفسه ٠٠ لأنه يفقد نفعه اذا ظهر نتيجة ايحاء أو اقتراح من الطبيب النفسى ٠٠ أو اذا لم تكن مشاعر المريض ذاته مهيأة له ٠٠ ذلك لأن المريض ، فى حالة «الفضفضة» ، يصوغ - فى كلمات - جزءا من حياته ذا مغزى خاص متغلغل فى نفسه ، لم يحاول من قبل أن يصوره ، سواء لنفسه أو لسواه ٠٠ فاذا ما صوره وهو يتحدث فى انطلاق ودون قيود ، وانتبه - أو نبهه الطبيب النفسى المعالج - الى أنه مبعث التضارب العاطفى القائم فى نفسه ، أخذ ينظر الى مشكلته ، والى

نفسه ، فى ضوء ذلك ، ثم شرع يعيش وفق ما يرى ٠٠ فيخرج من عالم الهواجس والمخاوف ، الى دنيا الحقيقة ٠٠

وهذا كفيل بأن يرينا العلاقة بين قوة تصوير التجارب بالكلمات ـ أى وصفها والتعبير عنها ـ وبين صحة العقل ٠٠ كما أنه كفيل بأن يعلمنا أن العواطف والانفعالات التى تكبت فى حالات الالم والخوف ، انما تعيش فى أعماقنا وتحيينا فى ألم ، وخوف أطول أمدا وأشد وطأة ، ولكنها تخف وتتبدد اذا ما استطعنا ان « نفضفض » عن صدورنا فنصفها بالكلمات التى تصورها أصح تصوير ٠٠ ذلك لان وصفها يرد الشعور التائه الذى صحبها الى نطاق الوعى حيث نستعرضها ونحللها

ولعل أهم ما نتعلمه من هذا ، هو أن ليس لأى شخص ـ حتى من الناحية النفسية ـ أن يخشى أفكاره ومشاعره ، فيحاول أن يتخلص منها بأن يكبتها ٠٠ ولا أن يخاف من حوله من الناس ، ومن لهم عليه سلطان ، بحيث لا يجرؤ على أن يجهر بما فى قرارة ذهنه ٠٠ فان فى كبت الافكار والمشاعر حرمانا للنفس من فرصة التفكير فيها ، وتحليلها فى أضواء العقل والمنطق !

توثيق علاقات الانسان مع الحياة !

◆ ان تمتع الانسان بالقدرة الصحيحة على الافصاح عما فى نفسه ، أداة لا غنى عنها لفهم النفس ، والرضى عنها ، ولتوثيق صلاتنا بالحياة والعالم المحيط بنا ٠٠ ومن ثم يجب أن يكون من الاهداف الأولى للتربية ، مساعدة المرء على توثيق علاقات سعيدة مع الحياة ، عن طريق التمكن من استخدام الكلمات فى وصف ما بنفسه والتعبير عما يخالجه ٠٠ فان لهذه المقدرة أثرها الكبير فى تمكين المرء من أن يشق سبيله فى الحياة ، سواء كان هذا المرء طفلا غير منسجم مع أهله ـ وبالتالى مع نفسه ـ أو عاملا فى مصنع يطوى صدره على تذمر أو سخط ، أو كان مواطنا تقلقه المسائل السياسية العامة أو هو يهتم بها ويجد فى معالجتها متعة ٠٠ أو كان مندوب احدى الدول ، يحمل وجهة نظر معينة يريد أن يشرحها ويقنع بها مندوبى الدول الأخرى !

ومن كل هذا نرى أن أسلوب العلاج النفسى الذى يرمى الى استدراج المرء الى الكلام ، يؤثر فى أعمق أغوار حياتنا العقلية والعاطفية ٠ فالكلمات دواء ناجع ، اذا ما كانت هى الكلمات الصحيحة التى تصف الشىء المراد وصفه ، للغرض الصحيح المقصود من هذا الوصف ٠

لا تخاصم نفسك ٠٠ ولا الآخرين !

◆ ومن الأمور التى يحسن أن نتعلم كيف نهتم بها : مسلك الفرد نحو

نفسه . فالشخص السليم لا يعيش دائما فى خصام مع نفسه أو مع الآخرين .. انه لا يضيع من وقته ونشاطه الا القليل فى الرثاء لنفسه ، والتماس الاعذار لها ، والدفاع عنها ، والتحدى فى سبيل تقديرها ، أو انتهاج السبل العدوانية من أجل تفخيمها .. وهو بهذا يفعل ما يسميه الطبيب النفسى ب «قبول النفس» أو «الرضى عن النفس» . فهو مرتاح الى نفسه ، حتى أنه يستطيع ـ من الناحية العاطفية ـ أن يعرف قواه وامكانياته وحدود استطاعته ، ومن ثم فهو يجعل من العمل الذى يؤديه حياة رضية لنفسه ..

ان ما يميل الفرد الى أن يقوله عن نفسه ، كثيرا ما يكون وسيلة عملية لمعرفة حاله : سيئة كانت أو طيبة .. اننا قد نسمع شخصا يقول : « أرانى أحيانا أذهب فى السخاء الى حد لا يتفق وصالحى » .. أو : « اننى شخص أومن بالصراحة » .. أو : « اننى شخص حر ، مستقل .. ولو حاول انسان أن يسوقنى الى عمل لا أرضاه فاننى أعرف كيف أوقفه عند حده » .. ولا يمكن للشخص ذى الدراية بالنفوس أن يقتنع بصدق أى من هذه الأقوال ، بل انها كثيرا ما تجعلنا نتساءل عن الباعث الذى دفعه الى أن يقولها . ذلك لأن هذه الكلمات ليست فى الغالب من وحى قائلها ، وانما هى دليل على أن المعاملة التى يلقاها من كبار الشخصيات فى الوسط الذى يعيش فيه ، هى التى استدرجته الى أن يرى فى نفسه ويقول عنها ذلك .. وما أكثر ما يهفو بعواطفنا ، مبالغة من يحيطون بنا ـ كالأهل والأصدقاء والمدرسين والرؤساء والمرؤوسين ـ فى تقديرنا !.. وكيفما كان الأمر ، فان هذا التقدير غير الصادق يقف فى وجه المرء دون حل كثير من المواقف التى تكون سهلة ، ميسورة العلاج .. اذ أنه يشوه توقعاتنا ، واستجاباتنا لهذه التوقعات .. وليس فى امكان المرء أن يشعر بموقفه من الحياة وان يعالج أحداثها بكل امكانياته ، الا اذا كان تقديره لنفسه أقرب ما يكون الى الحقيقة .

اعرف قدر نفسك !

◆ ومن الأمثلة على ما يؤديه زيف تصوير المرء لنفسه من عرقلة للنمو الطبيعى لشخصيته ، هذه القصة التى رواها لى صديق قديم قابلته أخيرا .. قال ان أباه كان قد عقد العزم على أن يجعل منه بطلا فى لعبة كرة القدم . ومع أنه لم يكن شديد الميل لهذه اللعبة ، الا أنه توهم أنه يريد أن يصبح بطلا فعلا .. أو أنه على الأقل لا يعارض رغبة أبيه . على أنه حين بلغ مرحلة الدراسة العليا ، وجد نفسه ازاء حقيقة مؤلمة ، ولكنها واضحة .. فعلى الرغم من أنه أوتى كل المؤهلات البدنية ، الا أنه لم يحسن اللعب قط .. وكان كلما ازداد جهدا فى اتقانه ، ازداد سوءا فى لعبه .. وازدراء لنفسه !

ومضى يقول : « وفى عصر ذات يوم ، عدت من التدريب وأنا أشد شعرى حنقا على نفسى . وفجأة ، انبثق ضوء أوضح لى المهزلة ، فوقفت وقلت لنفسى : « انك خائب .. ولكن خيبتك لا ترجع الى اخفاقك فى لعب الكرة ، بقدر ما ترجع الى تظاهرك بأنك راغب فى اللعب .. انك لا تهوى هذه الرياضة » .. ولعلنى لم أرفع صوتى بهذه الكلمات ، الا أننى سمعتها ترن فى أذنى .. وأبصرت بجلاء ما ينبغى أن أفعل .. وفى الأسبوع التالى شرحت لوالدى كيف أننى كففت عن خداع نفسى ، وانه خليق بأن يحذو حذوى .. » !

فلو أننا تأملنا هذا الحادث من الوجهة النفسية ، لرأينا ان الفتى كان أسير الصورة التى رسمها أبوه له - صورة بطل الكرة - فلما عجز ، تصور نفسه فاشلا .. بيد أن الموقف كله تغير ، حين حمل النزاع والتضارب الذى كان يدور فى نفسه ، الى نطاق الفكر والعقل ، اذ قال لنفسه : « انك خائب .. ولكن خيبتك لا ترجع الى اخفاقك فى اللعب بقدر ما ترجع الى تظاهرك بأنك راغب فى اللعب » ..

والمهم هو ما حدث نتيجة لذلك . فقد كف عن ازدراء نفسه .. وبمعنى آخر ، بمجرد أن تلاشت الصورة الزائفة التى كان مسوقا الى أن يرى نفسه عليها ، تلاشت صورة الفشل أيضا ..

حذار من استخدام الغير .. لتحقيق أغراضك !

◆ والمرء الذى تكون حياته سلسلة طويلة من الجهود ليجعل من نفسه ما لا يمكن أن يكونه ، لا يستطيع قط أن يكون عادلا فى حكمه على الغير وفى معاملته لهم .. اذ أن الحاجة تشتد به دائما الى أن يتخذهم وسائل لبلوغ أغراضه، ومن ثم يدفعهم الى اداء أدوار من اختياره هو .. كما يفعل المرء اذ يرى فى شخص آخر عدوا له - لأنه وقف فى طريق رغباته ، ولو عن حق - أو كما يكره الغريم غريمه الذى تفوق عليه فى منافسة حرة ، نظيفة .. ومثل هذه الأحكام الجائرة ، كثيرة فى حياة الفرد اليومية، وجديرة بأن تكتشف وان تتعرض للمقاومة .

ومن أبرز ظواهر العلاج فى هذه الحال ، أن المريض يجب أن يستدرج لكى يفعل كل ما يشاء ، فيقول ما يشاء ، ويصب سخطه وحنقه على أشياء ومواد يفثأ فيها سخائمه .. ويبكى ويصرخ ، ويلوذ بالصمت ، ويثرثر .. كما يحلو له ! .. فان لجوءه الى هذا السلوك ، يقرب نفسه المكبوتة من الواقع الذى يجب أن يعيه - كما فعل صديقنا الذى كان يشد شعره لفشله فى لعب الكرة - فلا يلبث أن يعرف نفسه ، ويتبين ان الصورة التى كان يراها لنفسه زائفة ، ليست من صنعه ، وانما هى من ايحاء الغير ، أو هى من صنعه ولكن من ايحاء مخاوفه وشعوره بالذنب وخوفه من اللوم !

وما أن يتخلص المرء من الشعور بازدرائه لنفسه ، حتى يبدأ فى الاعتراف بما لها من حسنات وصفات حقيقية ، كما فعل زميلنا ، اذ تبين ان اخفاقه فى لعب الكرة ليس معناه أنه خليق بالفشل فى سواه ..

وبتقريب المرء بين الصورة التى يرسمها لنفسه وبين الواقع ، يكون قد عاد الى الوضع الذى بدأ منه ، ولا يلبث ان يجد فى وسعه ان يصل الى حل لمشكلته ، اذ يرى ان فى استطاعته ان يجرب هذا العلاج أو ذاك ، دون ان يصدر فى اختيار الأساليب عن املاء غيره ، وانما يفعل ذلك كأى انسان يدرك قيمة دنياه ، ويتدبر موقفه ، ويدرس دقائقه ، ويرسم خططه فى هذه الأضواء ! .. وهذا الارتباط بالحياة الواقعة هو الذى يجعله يبدو أكثر حيوية من ذى قبل .. وهذا يفسر لنا « حيوية العقل » ، فهى الحالة التى يعمل فيها العقل ، بوازع من نفسه ، على بناء علاقات مثمرة مع دنياه ..

بهذا يستقل الانسان بشخصيته . ومع ازدياد رغبته فى الاستقلال ، يحدث تطوران كبيران فى علاقاته ببيئته : أولهما ، تراجع الشعور بالرغبة فى الانطواء ، والعزلة ، والاختباء . فنحن عادة اذا شعرنا بالخيبة أو الفشل ، نحس بالرغبة فى ان نختفى عن الأنظار وعن الوسط الذى نعيش فيه .. عن الدنيا التى خيل الينا انها حافلة بالمشكلات والصعاب .. وكثيرا ماتعتورنا هذه الرغبة فى فترات عابرة ، فاذا كانت لدينا ثقة كافية فى أنفسنا ، واهتمام بالحياة ، فاننا لا نلبث ان نخرج من مخابئنا وعزلتنا ، وان نمسح جراحنا ونضمدها .. أما الذين تعوزهم الثقة ، ويعانون من الاضطرابات النفسية ، فانهم يتوقعون الفشل ، أو ان يضحك الناس لخيبتهم .. وحتى اذا وفق الواحد منهم فى عمل ما ، فانه يعجز عن ان يستمد من توفيقه هذا شيئا من الطمأنينة ، بل يرى ان النجاح جاءه مصادفة .. ومن ثم فهو يزداد رغبة فى الانطواء والاختفاء !

أما التطور الثانى ، فهو نمو رغبته فى الاستقلال بشخصيته . فبعد ان كان ينظر الى كل ما يحيط به فى ضوء ما قد يكون هناك من نذر تجرح شعوره ، نراه ينظر الى كل شىء فى ضوء ما قد يكون هناك من احتمالات تساعده على المضى فى الحياة . وبعد ان كانت استجابته للوسط المحيط به متزمتة ، نلاحظ انها تصبح مرنة ، قابلة للتشكيل والتعديل .. ومن ثم نراه يشرع فى تعزيز الروابط الحيوية بينه وبين بيئته كما يفعل الطفل اذ يبدأ يعى ما حوله ..

ذلك ، لان الشخص الذى تعوزه الثقة فى نفسه ، يميل عادة الى التزام « الروتين » فى الحياة .. فهو يخشى ان يقدم على أى تصرف لم يألفه من قبل فيمنى بالفشل أو يصاب بضرر .. وهكذا يحصر نفسه رويدا فى « روتين »

الحياة ، حتى يتأصل فيه التزمت ٠٠ على العكس من صاحب الشخصية المستقلة ، فان ثقته فى نفسه ، تجعله يقدم على الأساليب التى يراها كفيلة بأن تدنيه من غرضه ، ولو كانت على غير ما ألف فى الوسط الذى يعيش فيه ٠٠ بل انه يجد لذة فى المغامرة بتجربة ما لم يألف !

ومن ثم فالمريض النفسى أثناء العلاج ، يتعلم تدريجا على ان يقبل نفسه على علاتها ، وفى حدود امكانياتها ومواهبها ، وان يولى العالم المحيط به قدرا من اهتمامه ، فيبدأ فى رؤية ما ينبغى ان يرى ، باهتمام ، وشعور يقظ لما ينبغى أن يفعل وما ينبغى أن يرى ٠٠ ومن ثم تتجلى له الدنيا التى كان يتوارى عنها ، بما فيها من تنوع وتلون ، ونواح عديدة ، وفرص وفيرة ٠٠ وبمعنى آخر ، فانه « يولد من جديد » ، فيشرع فى ارتياد الدنيا القائمة خارج نطاق نفسه وفى اكتشاف مجاهلها ، وفى تنمية مقدرته ومؤهلاته بالنسبة لهذه الدنيا ٠٠ تماما كما يفعل الطفل وهو يتنقل فى مدارج العمر ٠٠

الاسفاف فى الغضب !

◆ قالت سيدة من معارفنا ـ تنعم بالسعادة ، وبشخصية رزينة سليمة ـ انها تشعر بأنها تشبه فى صميمها كل فرد آخر ، ولكنها تختلف عن غيرها فى « الحواشى » ! ٠٠ وقد أرادت بهذا ان تعبر عن انها « انسان » ، و « فرد مستقل الشخصية » معا ٠٠ وان الصفات التى تشترك فيها مع غيرها من بنى الانسان ، عميقة ، متغلغلة ، متأصلة ٠٠ وأبعد غورا من الصفات التى تميزها عنهم ٠ والواقع انه من أسوأ ما يصيب الشخص الذى يعانى اضطرابا نفسيا ، ان يشعر دائما بأنه يختلف عن غيره فى كل شىء ! ٠٠

اننا جميعا عرضة لتغيرات تعتور مظاهرنا ، وقد لا تكون لها قيمة ما دمنا نشعر بشخصية كاملة ، يعتد بها ٠٠ أما المريض المضطرب الأعصاب ، فعلى النقيض من ذلك ٠٠ فهو يحاول أن يبدو فى مظهره جامدا ، ثابتا ، لا يتغير ٠٠ أما خلف المظهر ، فانه يعانى تغيرات قد تصل الى شخصيته وتؤثر فيها ٠٠ ومن ثم يلاحظ الذين يعيشون حوله ان طباعه كثيرة التقلب ، دون ان يكون ثمة ما يمكنهم من التكهن بتقلباتها مقدما ٠٠ وفى الوقت ذاته ، نراه يحكم على الناس بمقاييس غير التى يحس ان على الناس ان يحكموا عليه بمقتضاها ٠٠ وانه ليغرى معارفه على ان يدبروا الامور وفق رغباته ، ثم يغير هذه الرغبات اذا ما تمت التدابير ٠٠ وانه ليميل الى بعض الناس يوما ، ثم ينقلب عليهم فى اليوم التالى !

كذلك يمتاز مثل هذا المريض بحساسية تمنعه من أن يوثق علاقاته بالناس

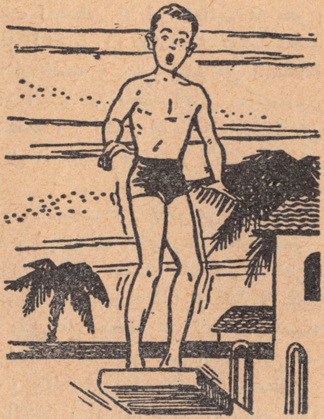
٠٠ اذ يغلب عليه الشعور بأن فى تصرفات المحيطين به أو أقوالهم ما يحرج احساسه وكرامته ، فهـــو دائما متحفز للدفاع ٠٠ واذا ما تولاه غضب مفاجىء ، عمد الى تضخيم الباعث الذى أثار غضبه ، حتى يبلغ من الضخامة درجة تبرر مغالاته فى الشعور ازاءه ٠٠ أو انه ـ من ناحية أخرى ـ يهـــون على نفسه تصرفه ازاء ما حدث ، فيقول لنفسه : « لعلنى فعــلا أسففت فى الغضب ، ولكن ٠٠ ماذا فى ذلك ؟ ٠٠ كل انسان عرضـــة لأن يسف فى الغضب ! » ٠٠

وثمة صفة أخرى فى المريض باضطراب الأعصاب ٠٠ تلك هى جنوحه الى الشعور العدائى ٠٠ فكلنا معرض لأن يقذع فى انتقاد الغير والسخط عليهم ، حين يكون على غير وئام مع نفسه ٠٠ ولكن انتهاج هــذا المسلك باستمرار يعتبر مظهرا لعدم رضاء المرء عن نفسه ، سواء كان مدركا هذا أو كان لا يفطن اليه ٠٠ ومن ثم فتحامل المرء على غيره ، دليل على سخطه على نفسه أو ضيقه بها ، وبالتالى على اختلال نفسه واضطراب أعصابه ٠٠ وعلى قدر اقذاعه فى هذا المسلك ، يكون مرضه وحاجته الى العلاج ٠٠ وكلما أخذ السخط فى التضاؤل ، كان ذلك بشيرا باطراد تقدم المريض نحو الشفاء ، اذ يشرع فى الاهتمام بغيره من الناس اهتماما مجردا عن الهوى والحاجة !

ومن الناس من نؤمن بسلامتهم النفسية ، ومع ذلك فاننا نحار فى وصفهم اذا ما اضطررنا الى ذلك الوصف ٠٠ انهم يبدون وكأنهم اوتوا حاســة سادسة ترشدهم الى ما يحتاج اليه الموقف الذى يتعرضون له ٠٠ وليس معنى ذلك ان لديهم دائما حلا لكل مشكلة ، وانما الذى يأخذنا منهم مرارا وتكرارا ، هو صواب تصرفهم ! ٠٠ وسر هذه الهبة التى تبدو حاسة سادسة ، هو المرونة العاطفية ٠٠ مرونة المشاعر النفسية ٠ وتوفر هــذه المرونة فى شخص دليل على ان صاحبها اوتى فى نفسه من موارد المشاعر والعواطف أكثر مما هو فى حاجة اليه للمضى فى الحياة ٠٠ فهو يملك ان يســتغل اهتمامه ، ونشاطه ، وعواطفه فى الدنيا المحيطة به ٠٠ ولقد يمنى بصد هنا ، أو فشل هناك ، ولكنه مع ذلك يجد فى نفسه من الموارد ما يجعله يعاود الكرة ٠٠ فهو ـ لذلك ـ يملك منفذا لا يتــاح للشخص المفتقر الى العواطف والمشاعر ٠٠ منفذا يمكنه من الوصول الى كنوز التجارب البشرية ٠٠ وهو بقدرته على تحمل الفشل يجلو موارده ويضيف اليها باستمرار

حامل هموم البشر !

◆ والشخص السليم النفس ليس بالشخص السعيد دائما ، بل انه قد يكون جم الهموم ، فان يقظة وعيه تجعله يحس بما لا سبيل الى اشباعه من حاجاته ، وتجعله فى الوقت ذاته يحس بما لا سبيل للانسانية الى اشباعه



من رغبات ٠ وكما قال « يوريبيدس » فى قديم الزمان : « اننا نعانى من الآلام بقدر ما يداخلنا من اشفاق » ٠٠ فالشخص السليم النفس والعاطفة ، يحمل هموم قسوة الانسان على أخيه الانسان ٠٠ وهو لوفرة عواطفه يجد نفسه مقحما فى العالم القائم خارج نطاق نفسه ٠٠ فهو يشعر ، ويعرف ، ويفكر ، ويهتم ٠٠ مثله فى ذلك مثل الصبى الذى حمل نفسه على ان يعتلى مكان القفز فوق حوض للسباحة لم يرتده من قبل ٠٠ فهو اذ حمل نفسه على اعتلاء هذا المكان ، يجد فى نفسه القدرة على القفز والغوص فى الحوض !

واذا كان الاهتمام بالغير مثار كثير من المتاعب ، فانه كذلك عظيم الجزاء ٠٠ ذلك لأن الشخص الذى ينشىء مع دنياه علاقات وثيقة ، متينة ، هو وحده الذى يستطيع أن يغدو قويا ، متينا ، جم الموارد ، بحيث يكون مستعدا لكل ما يحدث ، وبحيث يتمكن من ان يكون حازما ، مجددا ، واسع الحيلة فى خوضه غمار التجارب ٠٠

وللقدرة على الاهتمام بالغير رباط ذو خمس شعب يربطها بتكوين الشخصية الفردية للانسان :

واولى الشعب الخمس ، ان هذا الاهتمام هو أصدق مفتاح لنعرف صدق الصورة التى نرسمها لأنفسنا أو زيفها ٠٠ وثانيتها ، انه يمكننا من ان ننمى فى أنفسنا عادة الابصار ٠٠ ولعل حياة المسيح هى اسمى مثال فى هذا الصدد ، فقد كان مشبوب الاهتمام بالغير فوق ما كان مألوفا فى عصره ، ومن ثم رأى ما لم يره الآخرون ٠٠ رأى فى بعض الصيادين مثلا ، متحدثين جرئين ، جسورين ، يستطيعون ان يكونوا خير رسل للتبشير برسالته ٠٠ ونظر الى الخاطئة ، والى الأعمى ، والى الفقير ، فرأى انهم لا يقلون أهمية فى انسانيتهم الفردية عن سواهم ٠٠ ونظر الى الغنى فى اشفاق ، فرأى انه ليس بالشخص الذى يغبط ، وانما هو - بسبب ثروته ونفوذه - يمر بأعصب الأوقات ، وهو يتعلم كيف يقدم الأهم على المهم من أمور دنياه وثروته !

والشعبة الثالثة ، تتمثل فى ان اهتمام المرء بسواه ، هو الذى يحدد نطاق رغبته فى ترويض نفسه ٠٠ فان من علامات النمو الصحيح للنفس ، ان

يتحول المرء عن التدرب على النظام الخارجى ، الى ترويض نفسه ، فى داخل كيانه .. أما الشعبة الرابعة ، فهى ان مدى اهتمام الانسان بسواه ، وقوة هذا الاهتمام ، يحددان المضايقات والمتاعب التى يقدم على التعرض لها ، كما يحددان الاخطار التى يبادر الى الفرار منها .. فان قبوله بمحض اختياره أية علاقة ايجابية بالحياة ، يتضمن قبولا لأخطارها ومتاعبها وعقباتها .. ولو ان « البرت شفايتزر » ـ الذى نال جائزة « نوبل » هذا العام لتضحيته بكل مجد براق ليعيش فى مجاهل أفريقيا ويعنى بأهالى أحراشها ـ لم يؤت اهتماما ضافيا بزملائه فى الانسانية ، ما عنى بمستشفاه فى جوف الأدغال ، ولا حرص على بقائه عاما بعد عام ..

أما الشعبة الخامسة والاخيرة ، فهى ان مدى اهتمام المرء بالناس أو بالأشياء ، ووفائه لهذا الاهتمام ، يحدد موارد فرحه ، وقوته .. فان الرضى الذى يستشعره المرء فى خدمة عمل محبوب ، أو قضية محبوبة ، مبعث غبطة وقوة لا حدود لهما .. ومن الأمثلة على ذلك ، تفانى الوطنيين فى خدمة قضاياهم الوطنية مهما يكن العناء الذى يتجشمونه .. فهذا هو « الشقاء الهنىء » !

لنتعلم كيف نعيش فى حدودنا !

◆ **يكون** المريض ذو الأعصاب المضطربة ، فى الغالب ، عبدا لعواطفه ومشاعره المهزوزة !.. لذلك فلا قيمة لأى علاج مالم تهدف الخطوة الأولى فيه الى تعريفه بنفسه ، واقناعه بقبولها على حقيقتها ، أى بأن يكف عن محاولة أن يكون غير ماهو حقيقة .. فاذا ما عرف نفسه كما هى ، بدأ يعرف ما هو خلق الشخصية الفردية ، وما هو طعم الحرية والاستقلال ؟!

وادراك المرء لفشله ، ولحدوده وامكانياته ، قد يشجع أو لا يشجع النمو الصحيح لشخصيته .. اذ انه قد يقربه من الواقع ، أو ينأى به عنه .. وغالبا مايكون العامل الذى يحدد ذلك ، هو الطريقة التى يعالج بها الناس المحيطون به ـ لاسيما أولئك الذين يعولون عليه ـ مظاهر الضعف والفشل عنده .. وكم منهم يحمل عنه أعباءه ، ويشاطره اياها !

ولننتقل الآن الى سؤال وثيق الصلة بتنمية النشاط العقلى ،

ذلك هو : كيف يمكن أن يساعد أحدنا الآخر ، حتى نعيش مدركين مواطن النقص فى نفوسنا ، ونحتملها ، ونغالبهاواحدة بعد أخرى ٠٠ وبحيث لا يحملنا ادراكها على الفرار من الواقع، وعلى أن نلوذ بالاعتماد على الغير ، والاغراق فى الأحلام التى تعوضنا عما نلمسه من نقص ٠٠ وحتى لا نتعود عدم تقدير النفس ، ولا نلجأ الى ازدرائها ، ولا ننزلق الى المرض النفسى والاضطراب العصبى ، مما قد يؤدى الى ٠٠ الانتحار ؟!

٠٠ والرد على هذا السؤال يتمثل فى عبارة واحدة : **أن نتعلم كيف نعيش فى حدودنا ٠٠ حدود** امكانياتنا ، **ومواهبنا، ومقدرتنا !**

ان من أقسى الأمور على أنفسنا أن نعترف بالجهل ٠ وبالرغم من أن أحدا لا يستطيع أن يزعم أنه أوتى ، أو ان سواه اوتى معرفة كاملة ٠٠ فان القليلين منـــا من يستطيعون أن يعترفوا بجهلهم بأمانة وصراحة !٠٠ ونقص الأمانة والصراحة فى هذا الصدد ، يهدد تقدير الفرد لنفسه ٠٠ فما الذى يفعله كل منا للآخر حتى نخفف من خوفنا من جهلنا ٠٠ أو على الأقل حتى نجعله أقل من خوفنا من أن نظهر هذا الجهل أمام الغير ؟٠٠

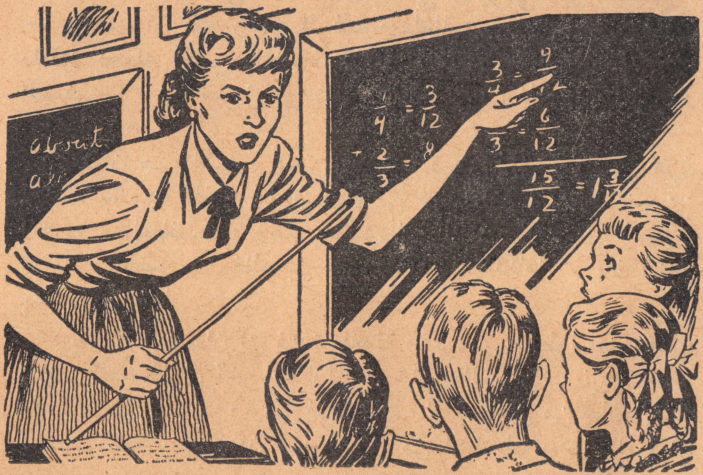
لنستعرض بعض الأمثلة :

اننا عادة نكره الأسئلة التى توجه الينا ـ لاسيما من الأطفال ـ ونسىء الافادة منها ٠٠ فنحولها الى مادة للفكاهة ، أو نضيق بها ونجعل صاحبها ـ لا سيما اذا كان طفلا ـ يشعر بأنه أقدر على كسب ودنا اذا هو خفف من اهتمامه وفضوله ورغبته فى المعرفة ٠٠ أو بمعنى أصح ، اذا صار أقل ذكاء ، وأقل نشاطا ذهنيا ٠٠ وأكثر مايلاحظ هذا ، اذا كانت الاسئلة تدور حول مسائل جنسية !

ولو اننا تحرينا شيئا من الحرص ، لوجدنا اننا بذلك نخلق للطفل حدودا لن يقدر له أن ينتزع نفسه من نطاقها ، كما انه قد لا يقدر له قط أن يفطن الى انه أسير بينها ٠٠ **فنحن اذ نصر**

بتصرفاتنا على أن لا يتعلم الا ما نريده على أن يتعلمه ، نثبط من تحمسه لتعلم ما يريد هو ان يتعلمه • وقبل أن يتمكن من تكوين شخصيته ، نكون قد عودناه على ان « ما يستحق ان يعرف » هو مايشاء غيره ـ لا مايريد هو ـ أن يتعلمه • ومن ثم نرى ان تلاميذ المدارس نادرا مايفطنون الى ان أساتذتهم اشخاص يطلبون ـ طواعية ومهما تكن اعمارهم ـ العلم باستمرار ٠٠ وانما هم يرونهم نتاجا كاملا لبعض عمليات تعليم سابقة !٠٠ وعلى هذا فمهما نقل للطلبة ان على المرء أن يواصل طلب العلم مابقى فى الحياة ، فانهم يميلون الى ان يعتبروا طلب العلم اجبارا يتطلعون الى الخلاص منه اذا ماكبروا !

وللمدرس بحكم مكانته فى الفصل سلطتان ٠٠ الأولى : التعليم ٠٠ والثانية : ان يدمغ الطالب الذى يخفق فى واجب أو اختبار ، بالفشل ٠٠ فهو يحكم عليه بأنه فاشل ، امام نفسه وأمام زملائه !



اننا جميعا عرضة لأن نخطىء ، ومالم يكن من المباح لنا ان أن نرتكب نصيبنا من الأخطاء دون أن نساق الى الشعور بعدم الثقة والاعتداد بأنفسنا ، فأننا نفقد القوة على الاقدام ، والابتكار ، والجدل ، والبحث !

التضامن الاجتماعى .. بالحنان والصبر !

◆ **بقي** شعور رئيسى واحد لا غنى عنه لكى نستكمل شخصيتنا وحالتنا الآدمية ـ ومع ذلك فان علماء وظائف الأعضاء ، وعلماء النفس على السواء ، لا يعطونه حقه من التقدير ـ ذلك هو اننا جنس من المخلوقات لا غنى له عن التربية والتغذية .. وبمعنى آخر ، لاغنى له عن الرعاية . **فلا سبيل لنا الى البقاء مالم يرع الناضج من لم يستكمل نضوجه ، ومالم يعن القوى بالضعيف .. وبمعنى آخر ، لا بقاء لنا الا اذا كانت لدى الناضج رغبة في ان يرعى غير الناضج ! .. ويجب أن تكون هذه الرغبة متغلغلة فى نفس الكبير منا ، تغلغلا يجعله يحس باغتباط فى أداء واجبات الرعاية نحو الصغير .. ولا سبيل الى ذلك الا اذا عمرت نفوسنا بالشعور بالحنان ..**

والحنان هو الشعور الذى يجعل القوى يذلل قواه فى عون أعضاء جنسنا الذين ما يزالون فى طور الضعف ، والنمو.. انه دفء العطف .. وهو ينطوى فى الوقت ذاته على طول الأناة والصبر .. فالصبر هو الاقتناع ـ الكامل ـ بأن النمو يستغرق وقتا

ويحتاج الانسان الى فترة طفولة وفترةصبى أطول ممايحتاج اليهما أى مخلوق آخر .. ولطول هاتين الفترتين ، نراه يتعود الاعتماد على سواه . وهو فى الغالب لا يتخلص من هذه العادة تخلصا تاما .. اذ ان ثمة نوعين من الاعتماد يحب دائما أن

يحتفظ بهما ٠٠ وأول النوعين ، يتمثل فى الحاجة لمعرفة الى من يمت بالصلات ، وعلى من يستطيع أن يعول ، مطمئنا ، اذا احتاج للعون ٠٠ اما الثانى ، فيتمثل فى ان الانسان يميل الى أن يهرب من كبره ونضوجه ـ من آن الى آخر ـ ليدع غيره يقوم بدلا منه بدور « القوى » ٠ فاذا لم تسنح له الفرص السليمة المأمونة لذلك ، عمد الى الفـــرص غير المشروعة ولا المأمونة ٠٠ فترى الرجل يحب ـ من آن الى آخر ـ أن يستمرىء الضعف فى الحب مثلا ، فاذا لم يجـد من ترضى هذه النزوة بطريقة مشروعة ، عمد الى الطرق غير المشروعة !

وهناك ناحية أخرى يظل الانسان بين رحابها طفـلا طوال عمره ٠٠ فهو يظـل ماعاش حائرا في شأن نفسه ٠ ومن ثم فانه لا يستغنى قط عن الحاجة الى شخص يلجأ اليه فى تعرف ماليس فى وسعه أن يعرفه عن نفسه ٠ وهو فى كبره ونضوجه قد يلجأ الى زوجته يتعرف عن طريقها الى ناحية من نواحى نفسه تثير فضوله ٠٠ أو الى زميل فى العمل أكثر منه خبرة ٠٠ ففى جميع مراحل حياتنا ، نحس بنوع من النقص خبرناه لأول مرة فى الطفولة ٠ فالطفل يحتاج دائما الى أن يعرف ما عليه من واجبات ، وما يجب أن يتبعه من قواعد ، وما يصادف بالقبول من أعماله ، وما ينبغى هو أن يتقبله ٠٠ او بالأحرى ، ماتتطلبه منه البيئة التى يعيش فيها ٠ ونحن لا نتخلى قط عن الحاجة الى تعرف ما تتطلبه البيئة منا ، اذ أن البيئة الاجتماعية فى تطور وتغير دائمين

وفى كل هذه الحاجات ، نرى ان الحنان عامل لا غنى عنه فى سبيل اشباعها ٠٠ حنان من نعول عليه عند الحاجة ٠ وبسط الحنان أمر ضرورى لاقامة الحالة الوحيدة التى يمكن أن يستمر فيها النمو بيننا ، والتى لا يمكن فيها ان يتجه ادراكنا ، لقصور امكانياتنا ، وحدودنا ، الى صراع نفسى داخلى مدمر ٠٠ **فحيثما شح الحنان ، نجد ان نمو الشخصية يتوقف ، لأن العراقيل**

والأخطار التى تحف به تتزايد ٠٠ ومن هذه العراقيل الخوف ، وخشية الخطأ ، والصراع العاطفى ، والشعور بالذنب ،والشعور بالعداء !

بقى للحنان دور آخر ، ينشأ عن شعورنا برابطة النوع كآدميين ٠٠ اذ اننا لا بد أن ندرك اننا وجميع البشر نعانى مشكلات واحدة فى معيشتنا ، واننا جميعا نخفق فى حل هذه المشكلات الى حد ما ، واننا جميعا نخضع لظروف كثيرة فوق طاقتنا وفوق سيطرتنا ، وان تفاوت درجات نجاحنا ، ومكاناتنا ، لا يحتفظ بأهمية ثابتة على طول الزمن ٠٠

الحنان ٠٠ فى الحياة الزوجية

◆ **وهناك** ناحية أخرى تتعلق بالحنان ٠٠ **ان الفكرة التى تغلغلت لدينا على مر العصور عن « الذكور » هى انهم يجب أن يكونوا أقوياء ٠٠ أن يكونوا « الجنس الخشن » ٠٠ حتى ان الصغار يلامون ـ حتى في طفولتهم ـ على أى لين ، ولا يفتأون يتلقون دروسا بأن « يخشوشنوا » ٠٠ وفى الوقت ذاته ، نشأت « الاناث » على النفور من كل الذكور الذين لا تنطبق عليهم هذه الصورة المرسومة من القوة والخشونة !٠٠** ولذلك كثيرا ما نجد كلا من الزوجين عاجز عن أن يولى الآخر من الحنان ما يعينه على المضى فى أداء رسالته وواجباته ٠ فالزوج كثيرا ما يخشى أن يبدى الحنان والحب ، لأنه نشأ على الشعور بأن فى ذلك لونا من الضعف ٠٠ ومن ثم نجده عاجزا عن أن ينشىء العلاقة الصحيحة التى يكون فيها الزوجان مجرد انسانين ناضجين ، يعامل كل منهما الآخر فى معظم الأوقات كند وزميل مؤهل مثله للحياة ، وكند وزميل يحتاج مثله الى فترات يهرب فيها من نضوجه وكبره ، لينعم بالحنان والتدليل !

كذلك نجد الزوجات كثيرا ما يحرن فى تعرف ما يبغين من

الزوج .. فهن فى حاجة الى الحنان ، ولكنهن نشأن على أن الرجل الذى يبسط مايحتجن من حنان لا يعتبر قويا .. أو « حمشا » بالمعنى الدارج .. **فاذا ما اكتشفن بطول العشرة ، الطفل الكامن فى نفس كل رجل ، اتجهن الى احد اتجاهين : اما ان تجزع الزوجة وتشعر ان زوجها ليس بالذكر القوى الذى تعتمدعليه .. أو تنحرف عن دورها كزوجة لتقوم نحوه بدور الام !.. وفى الحالة الاولى تغدو زوجة مشاكسة « مناكفة » .. بينما هى فى الحالة الثانية تزعزع احترامه لنفسه ، وتغريه بأن يعود الى حالة الطفولة التى فقدها !**

نحن مقبلون على عصر الحنان !

◆ **على** أن ثمة ظواهر توحى بالأمل فى اننا مقبلون على تعلم ألوان جديدة من الحنان تلائم عصرنا .. فنحن نرى الصبية الذكور فى المدارس يلقون التشجيع على تعلم الموسيقى والفنون ، بل والطهى أيضا !.. ولم يعد الآباء الشبان يرون أى عيب فى ان يعاونوا زوجاتهم فى بعض الأعباء ، كأن يعنوا بالأطفال .. بل وان ينظفوا الأطباق !.. **وكل هذا يجعلنا نقول ــ دون مغالاة ــ ان حضارتنا الصناعية بلغت نقطة بدأت عندها تشجع على الحنان بدلا من الاستخفاف وعدم الاكتراث ، حتى اننا نرى ان أصحاب العمل والعمال بدأوا ينشئون علاقاتهم على أسس من فهم كل فريق لمشكلات الفريق الآخر**



وهناك ناحية أخرى ٠٠ تلك هى أن ضخامة آلام البشر تبعث اليوم مظاهر للحنان واسعة النطاق ٠٠ فنحن نستنكر اليوم أى تهاون فى الاهتمام بمشكلة المشردين ، ونطرى كل معونة تقدم للمنكوبين خارج نطاق بلادنا ٠٠

ان الحنان عنصر لا غنى عنه فى أى جو عاطفى يجب أن يتم فيه النمو ٠٠ وان علم العلاج النفسى ليدرك اننا لايمكن أن نشيد الصحة النفسية السليمة - فى دورنا أو فى وطننا - اذا ماكنا خائفين من علاقاتنا بالحياة التى نعبر عنها بجلاء ، فنقول اننا نوع من المخلوقات لا غنى له عن الرعاية !٠٠ وسواء كنا نحاول أن نساعد فتى مراهقا على أن يكيف نفسه وفقا لنمو جسمه وتطوره ، أو كنا نحاول أن نساعد شعبا على أن يجتاز فترة الانتقال الى الاستقلال والحرية ، فان الباعث فى الحالين يجب أن يكون : الحنان !

أمثلة من الغرب ٠٠

- كثيرون يكدون ليكسبوا رغيفا ٠٠ بينما شريحة تكفى !
- الفضول الزائد ٠٠ قد يملأ مصيدة الفئران !
- عندما تذهب الى الفراش ٠٠ اترك همومك فى ملابسك ٠٠
- من يعطنى ٠٠ يعلمنى العطاء !!
- فى أرض الميعاد ٠٠ قد يموت المرء من الجوع !
- سعيد من يملك أذنين تستطيعان ان تنفتحا وان تنغلقا ٠٠
- ساعة الصباح ٠٠ فمها مملوء بالذهب !
- من يكتب خطابات الغرام ، ينحل جسده ٠٠ ومن يحملها يسمن !!
- يسير الكسل ببطء لدرجة تجعل الفقر يسبقه ٠٠
- يبيع الرب المعرفة بالعمل ٠٠ والشرف بالمخاطرة !

الجريمة.. والعقاب



المحاكمات الكبرى

في الماضي والحاضر

عزيزى القارىء ..

قدمت لك فى الأعداد السابقة من كتابى ، طائفة من القضايا والمحاكمات الهامة ، هى على التوالى : محاكمة « جورجيت هودو » ملكة الجمال الباريسية .. فمحاكمة السفاحين « بيرك » و « هير » .. ثم محاكمة فيلسوف اليونان العظيم « سقراط » .. ومحاكمة « آن بولين » ملكة انجلترا فى عهد هنرى الثامن ، فمحاكمة «دريفوس» .. ومحاكمة « ستافسكى » .. ثم محاكمة « مرجريت فهمى » .. ومحاكمة ملك انجلترا « شارل الأول » واعدامه .. ومحاكمة قاتل راسبوتين .. ثم محاكمة ملك فرنسا لويس السادس عشر .. ومحاكمة قاتل عشيق زوجته (من محاكمات أثينا القديمة) .. و « جريمة درب العشاق » .. ثم « جريمة حارة التونى » .. وأخيرا « مؤامرة اغتيال رمسيس الثالث »

واليوم ، أقدم لك فيما يلى هذه المحاكمة الجديدة ، ملخصة عن كتاب صدر حديثا بعنوان : « أشهر الأحكام المشكوك فى عدالتها » !

وفى الأعداد القادمة ، تقرأ معى باذن الله فى هذا الباب ، مزيدا من القضايا والمحاكمات الشائقة ، سواء من الغرب أو الشرق



أشهر الأحكام المشكوك فى عدالتها

قاتلة .. أم بريئة ؟

القضية التى ظلت حديث المجتمع الأنجليزى ١٥ سنة !

هذا الكتاب ..

◆ ليس القتل العمد ، مع سبق الاصرار والتدبير والتمهيد ، عملا سهلا مثل أحاديث الصالون ، أو مناورات الغزل و « مقالب » السياسة .. بل انه ليحتاج الى جمود فى القلب ، وبلادة فى الحس ، وقسوة دونها قسوة الحيوان البهيم !.. ويحتاج فوق هذا وذاك الى حدة فى الذهن ، ورباطة جأش ، وقوة أعصاب وشدة مراس ..

.. ولئن كانت الوحشية مما يكره فى الرجال ، وتنفر منه قلوبهم الشداد ، فهى فى المرأة أدهى وأعجب ، وأدعى الى الاشمئزاز .. واذا كان القاتل المتدبر البارد الفؤاد شيئا كريها ، فهو مع ذلك ممكن غير مستحيل فى التصور ولا ممتنع فى الوجود . أما القاتلة المتدبرة الباردة الفؤاد فهى الخارقة الفذة ، كالعنقاء والغول والخل الوفى !

.. والى غرابة هذه الظاهرة ترجع غرابة هذه القضية التى تعد من أعجب وأخطر ماعرض على القضاء الانجليزى ، فكانت امتحانا عسيرا لذلك القضاء .. ثم صار الامتحان ، بتطور القضية وصدور الحكم فيها ، محنة للعدالة البريطانية ، كما سيرى القارىء من متابعة مراحل هذه المحاكمة الفريدة فى نوعها ، والتى يلخصها لك « كتابى » فيما يلى عن كتاب صدر حديثا بعنوان « أشهر الاحكام المشكوك فى عدالتها » !

بداية القصة

◆ **بدأت** قصة « فلورنس مايبريك » ذات النهاية الفاجعة ، فى الدنيا الجديدة فى سنة ١٨٨١ .. ففى تلك السنة كان « جيمس مايبريك » ، سمسار القطن الكبير في ليفربول ، يزور أمريكا فى رحلة استوجبتها أعماله الضخمة الواسعة . وكان يومئذ فى بواكير الاربعين من عمره ، قوى البنية ، محبا للرياضة ، طلق المحيا .. وكان قبل هذا وذاك ناجحا فى أعماله، موسعا عليه فى الرزق ..

.. وفى خلال تلك الرحلة تعرف الى الآنسة « فلورنس شاندلر » ، كريمة مدير أحد المصارف الناجحة فى ولاية (ألاباما) .. ولم تكن فلورنس قد تجاوزت الثامنة عشرة فى ذلك الوقت ،

مكتملة الانوثة ، شديدة الجاذبية الجنسية ، جميلة الوجه والقد ٠٠ فأولع بها مايبريك ، ولم يبحر عائدا الى انجلترا الا وهى معه ، زوجة له !

وعاش الزوجان فى « ايجبريث » - قرب ليفربول - عيشة هانئة رغدة ، فى بيت كبير مزود بكل اسباب الترف ، يقوم عليه « جيش » صغير من الخدم ٠٠ ويزينه طفلان كأنهما زهرتان ٠٠ فكان كل شىء يبدو على مايرام من السعادة والوفاق ٠

٠٠ ولكن ما بدأ عام ١٨٨٩ ، بعد ثمانى سنوات من ذلك الزواج الهادىء النـــاعم ، حتى بدأت « فلورنس مايبريك » تخوض مغامرة غير مأمونة العاقبة : فقد اتصلت الأواصر بينها وبين رجل يدعى « برايرلى » ، وبلغ من تدلهها فى حب هـذا الرجل ان ادعت لزوجها فى مارس من تلك السنة ان قريبة لها ستجرى لها فى لندن جراحة خطيرة ، واتخذت من ذلك الزعم الكاذب ذريعة للذهاب الى لندن حيث قضت مع عشيقها ثلاثة أيام وثلاث ليال فى حمى غرام ملتهب متصل ، فى فندق من الفنادق المنزوية عن الانظار ٠٠

وكانت فلورنس يومئذ فى السادسة والعشرين ، وكان زوجها فى الخمسين ٠٠

عاصفة فى البيت !

◆ ثم عادت فلورنس من لنـدن فاســـتردت مكانها فى بيت زوجهـا كأن ذلك الذى حدث فى الفنــدق فى تلك الليالى الثلاث لم يقع !٠٠ ونحسب ان زوجها لم يعلم بخروجها عن طريق الاستقامة ٠ ولكن لا شك أيضا انه لاحظ بعد ذلك ان « برايرلى » يولى زوجته من العناية والاهتمام أكثر ممايجب، فوجه الى فلورنس عبارات لاذعة تطورت الى مشادة ، أسفرت عن « علقة » ساخنة خرجت منها فلورنس الحسناء بورم فى أنفها واحدى عينيها ! ولا شك انها غضبت وهددت بترك البيت،

ولولا طفليها لنفذت وعيدها ٠٠ ثم تدخل طبيب الاسرة ووفق بينهما فعادت المياه الى مجاريها ٠٠

٠٠ ولكنها كانت هدنة على ضغينة ! ففى أواخر ابريل التالى ـ أى بعد شهر واحد من « العلقة » السالفة الذكر ـ ظهرت أولى أعراض المرض على « مايبريك » ، ذلك المرض الذى لم يفارقه حتى قضى عليـــه !٠٠ وكانت تلك الاعراض تجمع بين القىء والمغص ، ثم تتحسن صحته ليعود بعد ذلك الى تلك الآلام ٠٠ ويأتى الطبيب بعد الطبيب ولكنهم لا يصلون الى نتيجة حاسمة، فيحضر شقيقه من لندن ليلازمه وقد أخذت صحته فى التدهور مقتربا بخطى حثيثة من نهايته المحتومة !

وأخيرا مات « مايبريك » !

٠٠ وفتش البيت فأسفر التفتيش عن العثور على «الزرنيخ» فى قراطيس ولفائف وقوارير ، وعلى آثار منه فوق الملابس والسجاجيد والمناديل !٠٠ وزاد الامر خطـــورة حين كشف التحليل البسيط عن آثار زرنيخية فى الجثة !

وهكذا مات « مايبريك » فى ١١ مايو ، ودفن فى ١٣ مايو وقبض على فلورنس فى ١٤ مايو بتهمة « قتل زوجها بالسم مع الاصرار والتدبير » !

الرأى العام يدين المتهمة !

◆ **ومهما** يكن من وقع الاتهام ، من هدوء أو ثورة أو هياج عصبى أو تراخ وانهيار ، فان زنزانة السجن لا ترحم ٠٠ ولا معين للمتهم الحبيس الا الاصدقاء والاقرباء الذين يقفون خلف تلك القضبان الحديدية ٠٠ ولم يكن لفلورنس المسكينة ذلك العزاء ، فهى بلا أهل وبلا أصدقاء يشدون أزرها ويشجعونها ٠٠ فأهلها وراء المحيط فى أمريكا ، ومعارفها الانجليز يشيحون عنها بوجوههم شامتين !٠٠ وأخيرا رق لها مكتب أحد المحامين فى ليفربول فوكل للدفاع عنها « سير تشارلس راسل » ،أعظم المحامين الانجليز فى زمانه ، بل قيل عنه انه أعظم من عرفته

ساحات المحاكم الانجليزية من المحامين : جهارة صوت وقوة عارضة وشدة مهابة ، فلم يكن يصمد أمام استجواباته أعتى الشهود ٠٠ ولم يكن هو ليعفى من التقريع والهجوم اللاذع رجال القضاء أنفسهم اذا اقتضى الامر ، فهو كالصاعقة فى هجومه على الخصوم والشهود ورجال النيابة ٠٠ وهو لا يعمد الى تزويق الكلام واللف والدوران ، فسلاحه قوته لا لباقته !

وكانت فترة التحقيق بمثابة الزيت ألقى على النار فزادها اشتعالا ، فان شكوك الناس قد استحالت اعتقادا راسخا فى اجرام تلك الاجنبية ، حتى لم يعد في ليفربول كلها من لايؤمن بادانتها !٠٠ وحتى صارت أخبار القضية المروعة موضع اهتمام الصحف والجماهير ، فلم تلق قضية فى انجلترا مثل هـذا الاهتمام سوى قضية « اوسكار وايلد » فيما بعد !

٠٠ والقانون الانجليزى يبيح للمتهم فى مثل هذه الحالة أن يطلب نظر قضيته أمام محكمة أخرى ، لان الحكم بالادانة أو البراءة رهن برأى المحلفين ، وهم من أهل البلدة ، فاذا نقلت القضية من ليفربول الى لندن كان ذلك أقرب الى طمأنينة المتهم على نزاهة المحلفين ٠ بيد ان محامى فلورنس نصحوها بعدم تغيير المحكمة ، كى تصدر البراءة فى نفس المدينة التى شهدت الاتهام !

أدلة النيابة على اجرام المتهمة

◆ **وكان** ممثل الاتهام من أقدر رجال النيابة ، فرتب القرائن والادلة ترتيبا واضحا :

وكان أول هذه القرائن « ورق الذباب » ، وهو ورق لزج تعلوه طبقة من الزرنيخ ، كان يستعمل قبل اختراع رشاشات السوائل المبيدة للحشرات لتصيد الذباب ، ويباع فى مخازن الادوية بغير رخصة من الطبيب ٠

٠٠ وثانى هذه الادلة « خلاصة اللحم » التى وجدت ممزوجة بنسبة من الزرنيخ !

٠٠ وأما الدليل الثالث فخطاب المتهمة الى عشيقها «برايرلى» قبل وفاة زوجها بثلاثة أيام !

٠٠ وقد بنى أساس الاتهام على أن ورق الذباب هو المصدر الذى استخرجت منه المتهمة مادة الزرنيخ الذى سممت به زوجها ٠٠ فقد اشترت فى ٢٤ ابريل « دستة » من هذا الورق من احدى الصيدليات ٠ وفى يوم ٢٩ من نفس الشهر اشترت « دستتين » من صيدلية أخرى !٠٠ وشاهد بعض الخدم بضعة أوراق منها منقوعة فى اناء مغطى بفوطة فى حجرة نوم المريض ! وكان ممثل الاتهام بارعا فى ربط تاريخ شراء الدستتين الاخيرتين بالفترة التى تحسنت فيها صحة المريض قبيل ذلك ، بعد نوبة التسمم الاولى !

ولكن مهلا ! فان دواعى الظن ليست كافية لأن تكون دلائل قاطعة على الادانة بالمعنى القضائى ٠٠ فشراء أوراق الذباب أمر ثابت ، وهو يحمل على الظن بأنها حاولت استخراج الزرنيخ منها ٠٠ ولكن ليس هناك مايثبت انها استخرجت الزرنيخ فعلا من هذا الورق ٠ وليس هناك أيضا مايدل بصفة قاطعة على الغرض الذى استخدمت فيه كمية الزرنيخ المستخرجة ٠٠

٠٠ أما خلاصة اللحم فالقرينة فيها أثبت وأبعد مدى ٠ وقصارى القول فيها انه فى معظم اطوار مرض « مايبريك » الاخير كانت زوجته هى التى تشرف بنفسها على طعامه ودوائه، الى ان كانت المرحلة الاخيرة فظهرت على المسرح الممرضات



المحترفات ·· وقد شهدت احدى هاتيك الممرضات بأنها رأت فلورنس تعبث بقنينة خلاصة اللحم قبيل موعد تعاطى الفقيد كمية منها ! فحرصت الممرضة على ألا تعطيه من تلك القنينة بالذات شيئا ·· وقد أثبت الفحص الكيماوى بعد ذلك ان هذه القنينة كانت تحتوى على نصف خردلة من الزرنيخ !

خطاب المتهمة ·· الى عشيقها !

◆ **واما الخطاب** الأخير الذى كان موجها من فلورنس الى عشيقها فلم يصل اليه طبعا ، فقد كلفت فلورنس احدى خادمات البيت بالقائه فى صندوق البريد ، ولكنه سقط من يد الخادم على الارض فاتسخ ففتحته لتغير المظروف ، ولكنها لم تر بأسا فى قراءته قبل أن تضعه فى المظروف الجديد ، فلما قرأته لم تضعه فى المظروف الجديد ، وبالتالى لم ترسله الى صاحبه بل سلمته الى شقيق « مايبريك » الذى كان قد لزم البيت لاشتداد العلة على أخيه ··

وبلغ من أهمية هذا الخطاب ان المحامى العظيم راسل قال بعد ذلك انه لولاه لما كان هناك سبيل الى الادانة · وهذا هو نص الخطاب :

« ·· **منذ عدت من لندن وأنا أمرض م · وهو مريض مرض الموت · وقد عقد الاطباء مؤتمرا أمس ، والمسألة هى : كم من الزمن سيستطيع المقاومة ؟·· وهو يحتضر منذ يوم الاحد · واني واثقة من انه لم يعلم شيئا ، حتى ولا اسم الشارع · وواثقة انه لم يقم بأى تحريات · فليس من الضرورى اذن ان تبحر الى الخارج من أجل هذا الموضوع ، بل أتوسل اليك ياحبيبى أن تبقى فى انجلترا الى أن أراك مرة أخرى ··** »

وقد يدعو الى الدهشة ان يعتبر هذا الخطاب دليل ادانة · ولكن تزول الدهشة اذا علم ان الأطباء فى تاريخ كتابة هذا الخطاب لم يكونوا قد قرروا بعد ان « مايبريك » مريض مرض الموت ، رغم سوء حالته · بل قرر معظمهم ان الأمل فى شفائه

لم يكن ضئيلا . ولم يقرر أحد منهم ان مسألة موته متوقفة على طول مقاومته .. كما شهد كل منهم بأنه لم يبدأ فى الاحتضار يوم الاحد بل كانت حالته فى ذلك اليوم عادية بالنسبة لمرضه !

شهادة شقيق القتيل

◆ **وكان** الشاهد الأول شقيق « مايبريك » ، وقد اعترف بأنه ارتاب فى علاج وتمريض شقيقه ، وخطر له ان زوجته تدس له السم البطىء ! واعترف كذلك ، عندما سأله محامى المتهمة ، بأنه هو الذى أدخل هذه الفكرة فى رؤوس الممرضات والخدم أيضا . ويعزى استدراجه لهذا الاعتراف الى براعة « سير شارلس راسل » فى الاستجواب والاحراج .. فانه لم يلبث ان وجه اليه السؤال التالى :

– ما دمت قد شككت ، فهل أعطيت التعليمات للممرضات بوجوب الحذر والعناية لصيانة حياة المريض من كل محاولة مريبة ؟

– اجل ، أعطيت هذه التعليمات .

– هل كان من شأن هذه التعليمات ان يفهم منها ان هناك شك قوى يوجب المبالغة فى الحذر والاحتياط ؟

– اجل ..

.. وهكذا قوض « راسل » أساس الاتهام ، لانه شكك فى شهادة الممرضة بشأن عبث فلورنس بخلاصة اللحم ، فربما كانت الحركة بريئة ولكن سوء الظن الذى أدخله الشقيق فى ذهن الممرضة هو الذى جعلها ترى ما تريد ان ترى ، لا ما هو حاصل فعلا !

.. وحرص « راسل » على استدراج الأطباء للشهادة حول خصائص الزرنيخ ، حتى انتهوا الى الاعتراف بالحقائق التالية : أولا انه يستعمل لتقوية الأعصاب .. وثانيا انه كان من عادة الفقيد ان يتعاطاه لهذا الغرض .. وثالثا انه كان أحيانا يتعاطى

مقادير مضاعفة منه ٠٠ ورابعا ان فلورنس كانت تشكو للطبيب من هذا التصرف وتطلب منه التدخل لدى زوجها لمنعه !

٠٠ واستطاع المحامي كذلك ان ينتزع من الأطبـاء اقرارا بأن اعراض التسمم بالزرنيخ لا تختلف عن اعراض مرض معين آخر كان « مايبريك » مصـابا به ويسميه الأطبـاء GASTRO -ENTERITIN

٠٠ وبمناقشة الطبيب الكيماوى اعترف بأنه لا دليل على ان كمية الزرنيخ التى وجدت كانت هى السبب فى الوفاة !٠٠ كما استدرجه المحامى الى الاعتراف بأن شقيق الفقيد كان قد أفضى اليه قبل الفحص بشكوكه القوية ٠٠ وأنه لولا هـذه الشكوك لحرر شهادة الوفاة على أساس انها عادية غيرجنائية ، وبالتالى لما كانت هناك قضية ؟

وكانت الضربة القاضية هى اقرار الدكتور « ستيفنسن » الطبيب الشرعى بأن الدليل الوحيد القاطع بالتسميم بالزرنيخ هو ان يكتشف الزرنيخ فعلا فى الجثة ، وان ما عدا ذلك من الاعراض يشتبه باعراض أمراض أخرى ! ٠٠ واذن فليس هناك دليل علمى على وقوع جريمة القتل ٠ فمدمن تعاطى الزرنيخ قد مات ميتة طبيعية بأسباب طبيعية ! وهكذا تغير الموقف ، فبعد ان كان ضد المتهمة صار فى جانبها ٠٠

وأخيرا تكلمت المتهمة !

◆ **وما بارح** آخر الشهود مكانه حتى وقف « سير تشارلس راسل » وأعلن للمحكمة ان المتهمة تريد ان تفضى ببيان عن موضوع القضية ٠ وقد كان القضاء الانجليزى فى ذلك الوقت يسمح للمتهمين بمثل ذلك البيان التوضيحى وان كان لا يسمح لهم باداء الشهادة عن أنفسهم ، الأمر الذى عدل بشأنه نص القانون بعد ذلك بسنوات ٠

٠٠ ووقفت فلورنس فبدت مضطربة متلعثمة ، ولكنها عالية الرأس ثابتة النظرات ٠ وكان طبيعيا ان تضطرب بعد ان

جلست فى القفص ساعات فى اثر ساعات تواجه الحاضرين وتسمع همسهم ، وتشهد قضيتها ومصيرها يتأرجح بين شفاه الشهود ، والنيابة ، والمحلفين ، والقاضى !

وكان أول ما تكلمت فى صدده هو أوراق الذباب ، فانه لم يتبت من التحقيق انها استخدمت فى القتل ٠ ولكن بقى ان يعرف فيم استخدمت على الاطلاق ٠ فقررت انها كانت تعانى من التهابات جلدية وبثور ، وانها فقدت فى أمريكا دواء كان يدخل فى تركيبه الزرنيخ لعـلاج هذه البثور ، فأحبت ان تستعيض عنه بمنقوع أوراق الذباب فى الماء كعلاج ملطف ٠ وكانت مهتمة بعلاج هذه البثور قبل الثلاثين من ابريل وهو موعد حفلة راقصة كانت مدعوة اليها ٠٠

٠٠ واما المسألة الاخرى التى تناولتها بالبيان فهى خلاصة اللحم التى وجد الزرنيخ ممزوجا بها ، وقد قررت فى شأنها ان زوجها كان يشكو من هبوط عام فى قواه ، وكان من عادته قبل ذلك ان يتعاطى الزرنيخ للتقوية ـ (وما زال الحديد والزرنيخ دواء مقويا شائع الاستعمال الى اليوم) ـ فأعطاها مقدارا منه لتمزجه بخلاصة اللحم ٠ ولما كانت تعـانى من مرضه نفسيا وجسمانيا فقد أطاعته ، دون ان تستشير أحدا ، لانها كانت كما قالت بغير صديق واحد فى ذلك الوقت ـ فأخوه يكرهها ويشك فيها ، وسائر الناس يعتبرونها أجنبية دخيلة ، فلم يكن فى وسعها الاعتماد على اخلاص أحد أو استنصاحه ٠٠

وما انتهت هذه الشهادة التى لم تتجاوز خمس دقائق ، كلفتها ثمنا غاليا جدا من أعصابها ، حتى جلست متهاوية على مقعدها ٠٠ وآن للسير تشارلس راسل ان ينهض بقامته المهيبة فيسوى رداء المحاماه فوق كتفيه ٠٠ واشرأبت الاعناق لسماع ذلك الدفاع المنتظر :

دفاع مجيد

٠ **لم يعمد** المحامى العظيم الى التنميق وازجاء المقدمات أو

اللعب بالعواطف ، بل خاطب المحلفين بلغة المنطق القانونى المجرد ، فبين لهم ان مهمتهم تنحصر فى تقرير أمرين : أولا ، هل حدث الموت قتلا بالزرنيخ ؟ فاذا كان القرار بالنفى فلا وجه للنظر فى موضوع القضية • وثانيا ، اذا كان القتل قد حدث بالزرنيخ ، فهل المتهمة هى التى دسته للقتيل ؟ فاذا كان الجواب بالنفى تعين عليهم تبرئة المتهمة !

•• ثم انثنى المحامى يشرح ما تبين من شهادة الأطباء بالتفصيل ، وهو ان لا دليل على ان الوفاة حدثت بالزرنيخ •• واستطرد بعد ذلك يقول :

« ولعله يخطر لكم ان تتساءلوا يا حضرات المحلفين عما أدى الى القتل اذا كان السم ليس هو السبب • ولكن اعلموا ان هذا ليس موضوع القضية ، فموضوع القضية ينحصر فيمايلى : اما ان يثبت بالدليل القاطع ان فلورنس بالذات قدقتلت زوجها بالسم فعلا ، أو لا يثبت هذا ثبوتا قاطعا فتبرئوا ساحتها •• اذ ان كل شك يجب ان يفسر لمصلحة المتهم ، بحكم القانون ، والبينة على من ادعى •• فعلى النيابة اذن ان تثبت التهمة ، وليس على الدفاع الا ان يبين ان أدلة النيابة غير قائمة أو غير كافية • ومع هذا يا حضرات المحلفين فانى أتجاوز عن حقى وأتطوع لانارة اذهانكم فى هذا الموضوع ، فأقول : **أليس من الجائز لرجل مريض أدمنت أعصابه مادة الزرنيخ من زمن ، ان يخطىء فى مقدار الجرعة أو يبالغ فيه لأى سبب من**



الأسباب ؟ وأليس من الجائز ان مثل هذا الرجل اذا ساءت صحته وضعفت بنيته قضت عليه الجرعة العادية من حيث لم تكن تضيره وهو فى تمام عافيته ؟ ومهما يكن من أمر يا حضرات المحلفين فلست أرى أمامكم وجها واحدا تقضون منه بادانة هذه المتهمة بالادلة التى قدمتها لكم النيابة ٠ وانى لأتساءل : أكانت المتهمة فى حاجة الى ورق الذباب لاستخراج الزرنيخ منه وقد وجدت منه مقادير كبيرة فى قوارير ولفائف فى أمكنة كثيرة من المنزل ؟ لو انها يا حضرات المحلفين أرادت استعمال السم لما كانت بها حاجة الى تعريض نفسها للشبهة بشراء ورق الذباب !

٠٠ ثم ختم المحامى مرافعته المجيدة قائلا :

« واعلموا يا حضرات المحلفين اننى لا أطلب منكم رحمة ولا عطفا ، فليس لكم والله من ذريعة الا حكم ذلك القانون الذى ضمنه الشارع الحكيم ما ينبغى من رحمة وعطف : فاما دليل قاطع فادانة ، أو ما دون ذلك فبراءة ،ولا وسط بينهما ولا خيار فى الأمر ! ٠٠ فلست أطلب اليكم الا رعاية ذلك القانون والتزامه ٠٠ فالأصل هو البراءة ، ولا ادانة الا ببرهان لا يأتيه الشك من بين يديه ولا من خلفه »

ماض مجيد ٠٠ ولكن !

◆ **وانتهى** المطاف ، ولم تبق الا كلمة القاضى يلخص بها وقائع الدعوى ، ثم كلمة النيابة وكلمة الدفاع ٠ ولكن لا بد هنا من كلمة عن ذلك القاضى : كان القاضى « ستيفن » رجل أدب ذواقة ، أوسع افقا مما يتيسر عادة لرجال القضاء ، وهو فى أحكامه القضائية طوال خدمته المديدة مثال الرجل الذى يحسن تأويل النصوص ولا يتقيد بحرفية القانون ٠ ومن أصدقائه كبار مفكرى الجيل ـ ويكفيه شرفا انه كان من خاصة أصدقاء « كارليل » ! ـ غير انه فى تلك الفترة بالذات كان قد

بدأ مرحلة جديدة من حياته : فذلك العقل المحكم قد اخذت روابطه تتآكل ، فهو كثير الذهول ، مضلل القياس ، مختلط التصور .. وقد انتهى الأمر به الى الاعتزال القهرى لمنصبه بعد سنوات من ذلك التاريخ المشئوم . **ونقول التاريخ « المشئوم » لانه فى هذه القضية قد لخص الوقائع والأقوال للمحلفين تلخيصا فادح الخطأ ، فجانب الحقيقة فى الأقوال والحوادث ، مما قلب الأوضاع في القضية رأسا على عقب . ثم طالب المحلفين باعتبارات فى نظر القضية لا أصل لها ، بل ولا معنى لها فى بعض الأحيان ، وبهذا تلقى المحلفون من يد القاضى بيانات مشوهة وتوجيهات طائشة !**

.. واختلى المحلفون أربعين دقيقة أو أقل ، ثم خرجوا على الناس بقرار يدين فلورنس بجريمة القتل العمد ويقضى .. باعدامها شنقا !

صدى الحكم

◆ **وقامت** الدنيا وقعدت لذلك الحكم الذى اعتبر مخالفة صارخة لبديهيات العدالة والتشريع : فكتبت « التايمس » بوقارها وجلالها مقالة افتتاحية فى التنديد بذلك الحكم الجائر ! وعقد الأطباء اجتماعات نددوا فيها بالاسس الخاطئة طبيا التى بنيت عليها الادانة .. واهتزت الدوائر العليا فى وزارة العدل ، وتوالت الاجتماعات بين قاضى القضاة والقاضى « ستيفن » والنائب العام .. ولكن ذلك كله لم يحل دون اجتهاد الصناع والنجارين فى نصب المشنقة للسجينة المذهولة المنكودة الحظ !

.. وأخيرا ، فى الثانى والعشرين من أغسطس ، ولم يبق على موعد الشنق سوى أسبوع واحد ، صدر أمر ملكى بابدال حكم الاعدام بالأشغال الشاقة مدى الحياة . وحاولت وزارة العدل تغطية موقف القضاء فقالت ان التخفيف لا يرجع الى البراءة ـ فمن الثابت ان المتهمة حاولت تسميم زوجها ـ ولكنه

يرجع الى انه لم يثبت ان السم كان هو سبب موت المجنى عليه بشكل قاطع !

أو بمعنى آخر ان اصلاح الخطأ القضائى كان بخطأ أكبر منه : لان معناه ان المتهمة ادينت بتهمة « محاولة » القتل ، وهى تهمة لم توجه اليها فى القضية ، وانما كانت التهمة تنحصر فى القتل فعلا ومع سبق الاصرار والتدبير !

٠٠ ولم يأل السير راسل جهده فى محاولة اصلاح ذلك الخطأ ، لكنه مات فى سنة ١٩٠٠ ، وقد وصل الى منصب قاضي القضاة ، دون ان يظفر بطائل !

ولكن فى سنة ١٩٠٤ تنبه الضمير الانجليزى أخيرا الى فداحة خطئه ، وحاول محو الوصمة عن جبينه ، فأطلق سراح « فلورنس مايبريك » ، بعد أن فقدت شبابها وملاحتها وتفتحها للحياة ، مع خمسة عشرة سنة هي خير عمر الانسان !

والآن ، وقد اثيرت هذه القضية من جديد فى الكتاب الذى لخصنا وقائعها عنه ، لم تعد المسألة التى تشغل الرأى العام الانجليزى هى البحث فيما اذا كانت « فلورنس » قد قتلت زوجها أم لا ٠٠ بل البحث فى : هل ثبتت عليها التهمة ؟

٠٠ والجواب : كلا ولا مراء ! ولكن لم تكن انجلترا فى ذلك الوقت تعرف النقض والاستئناف ، فكان ذلك الحكم المخجل وأمثاله سببا فى انشاء محكمة النقض ومحكمة الاستئناف الجنائية ، لضمان حقوق المتهمين ، ولكى لا يتلطخ جبين العدالة الانجليزية الوقور بمثل ذلك الحكم الذى يعز نظيره فى قضاء العالم ، فى الجور والافتئات ٠٠



مدام دى بومبادور

الغانية التى حكمت فرنسا من وراء الستار !

للمؤرخة الأمريكية «نانسى ميتفورد»

ترجمة : محمد بدر الدين خليل

ملكة فرنسا .. غير المتوجة !

◆ كانت عشيقة الملك ، فى زمن بلغت فيه فرنسا من التبذل والتردى ، ان كانت « عشيقة الملك مرتبة من مرتبات الشرف » ، تتنافس عليها حسان المجتمع فى غير ما حياء ولا حرج !

.. ولكنها كانت عشيقة من طراز لم يعرفه التاريخ من قبلها .. وربما من بعدها !.. فقد حملها تكوينها الجسدى ، على أن ترتفع فى علاقتها بالملك عن حمأة الجنس ، الى سماء الصداقة الخالصة .. وان ترقى بذوق الملك وهواياته .. وان تضرب للبلاط الذى استشرى فيه الفساد ، الأمثلة فى أدب السلوك ، وحسن الخلق ، وسمو الشخصية .. ومع ذلك فانها لم تنج من حملات التشهير وسياط الاهانات !

تلك هى « مدام دى بومبادور » التى نشأت فى أسرة متواضعة من أبعد الاسرات عن عتبات البلاط الملكى ، فاستطاعت ان تكون الملكة غير المتوجة لفرنسا .. الى ما قبل الثورة الفرنسية بثلاثين عاما ..

طفل على العرش !

◆ **مات** « لويس الرابع عشر » فى سنة ١٧١٥ ، بعد أن شيع بنفسه ابنه وحفيده والابن الاكبر لحفيده الى مقارهم الاخيرة ! .. وبعد أن ظل عصيا على قبضة الموت حتى أكمل سنى حكمه اثنتين وسبعين ! .. وحتى فى الوقت الذى كان « يجود » فيه بأنفاسه الاخيرة ، لم يستطع الموت أن يتغلب عليه بسهولة ، فقد ظل يقاوم حتى دبت « الغنغرينا » فى نصف جسده !

وتولى « لويس الخامس عشر » عرش فرنسا فى ظروف تشبه تلك التى تولاه فيها جد أبيه . كان فى الخامسة من عمره .. لا أب له ولا أم ، ولا أخوة ولا أخوات .. اذ طواهم الموت جميعا .. وكان الذى يليه فى وراثة العرش هو « فيليب دوق أورليان » الذى أشاع الناس انه كان يدس السم لورثة لويس الرابع عشر تباعا ! .. **بيد ان مسلكه حين تولى الوصاية على العرش كان على النقيض من ذلك ، اذ بادر فنقل الملك الطفل**

ـ الذى كان يقف بينه وبين العرش ـ من قصر (فرساى) فأسكنه قصر (التويلرى) ، الذى لا يفصله عن قصره سوى عرض الطريق ٠٠ وظل ما بقي من عمره وفيا في خدمة الطفل، يشرح له كل خطوة سياسية ، قائلا : « أنت المولى صاحب السلطان ، ولست هنا الا لاطلعك على ما يجرى ، وأقدم لك المشورة ، وأنفذ أوامرك » ٠٠

وفتن الملك الصغير بما كان يحدث حوله ٠٠ كان يحضر اجتماعات مجلس الوزراء وهو يضم الى صدره قطا أسود ٠٠ وكان جم الكبرياء ، ضافى الحياء ٠ وقد ظلت هاتان الصفتان تلازمانه طيلة عمره ٠٠ وكانت المرة الوحيدة التى حاول فيها أن يحتج ، هى يوم أعلن الوصى أنه خطب له احدى بنات عمومته ٠٠ أميرة اسبانية فى الثانية من عمرها ! ٠٠ فقد راح يبكى وان لم ينبس ببنت شفة !

ولعل مصير فرنسا تقرر يوم نقل الوصى بلاط الملك الى قصر « فرساى » ثانية فى سنة ١٧٢٢ ٠٠ **ذلك لان الملوك وان كانوا يعيشون فى عزلة عن الشعب ، الا ان بعض أصداء الرأى العام قد تنفذ اليهم خلال الجدران ، اذا ما كانت قصورهم وسط العواصم ٠٠ ولكن الاواصر لم تتقطع بين ملك وشعبه كما تقطعت بين لويس الخامس عشر والفرنسيين يوم نقل الى « فرساى » ٠٠**

زواج لويس ٠٠ من غير خطيبته !

◆ **وبلغ** الملك الخامسة عشرة ، فاذا جسمه قد سبق فى النمو سنه ٠ اما خطيبته ـ التى كانت تقيم معه في القصر ـ فلم تكن قد تجاوزت الخامسة ٠٠ طفلة حلوة ، ذهبية الشعر ، تسير فى ذيله فى المناسبات الرسمية ٠٠ ولما كان من عادة الفتيان فى الخامسة عشرة أن يضيقوا بالبنات اللاتى ما زلن فى سن الطفولة ٠٠ وكان من الخير التعجيل بزواج هذا الشاب الذى

كان آخر سليل لهنرى الرابع ٠٠ لذلك لم يكد «دوق بوربون» يمسك بمقاليد حكومة فرنسا بعد وفاة الوصى ، حتى بادر برد الخطيبة الطفلة الى اسبانيا ، غير عابىء بما قد يحس به الاسبانيون من اهانة ٠ ثم راح يدرس قوائم الاميرات ، الى ان وقع اختياره فى النهاية على « مارى ليتشنسكا » ، ابنة ملك بولندا المشرد ، المعدم ! ٠٠ **وكانت فتاة لا تعرف من مواد التجميل سوى الماء القراح، وتقضى معظم وقتها تطرز الهدايا للكنائس ٠ على انها لم تكن ـ لاول وهلة ـ بالتى تصلح لعرش الملكة فى «فرساى» ٠٠ فما كانت تملك من حطام الدنيا شيئا ، ولا كان قد تبقى لاسرتها سلطان ٠٠ ولا أوتيت شيئا من الجمال ! ٠٠ والادهى من هذا انها كانت تكبر الملك بسبع سنوات ! ٠٠ بيد أنها من ناحية أخرى ، كانت موفورة الصحة، لطيفة الطباع ، ذات جلال ملكى لا يقوى على انكاره أحد**

وما أن حلت فى « فرساى » ، حتى وقع الملك فى هواها ، ولم يبلغ السابعة والعشرين من عمره ، الا وقد أنجب عشرة أطفال ، لم يصل منهم الى سن اليفاع سوى ست بنات وولد ٠ وكان من الممكن أن يظل هذا الزواج موفقا ، لولا ان الملكة ـ لسوء حظها ـ لم تكن ماهرة فى أن تحيط نفسها بالجو الذى يجتذب زوجا شابا مرحا ، اذ كانت تجمع حولها أثقل عناصر البلاط دما ، وروحا ، وعقلا ! ٠٠ ولم يزدها انجاب الاولاد الا استسلاما للرزانة والزهد اللذين يلازمان المرأة فى منتصف العمر ، اذا ما استقرت حياتها ، واطمأنت الى مكانتها ٠٠ ومن ثم لم تعد تعنى بأن تفتن زوجها الشاب ، ولا بأن ترفه عنه ، أو تجاريه فى مرحه !

قلب الملك ٠٠ بين الشقيقات الثلاث !

◆ **ولا** يعرف أحد متى بدأت الصلة بين لويس الخامس عشر والكونتيسة « دو مايى » ٠٠ وما كانت بالجميلة ، ولا كانت

بذات المزاج الشاعرى ، وانما كانت طروبا ، غير مبالية ، تتقن فنون التسلية ، فاستراح اليها ، لا سيما وانها لم تكن تسأله نفوذا ، ولا مالا ٠٠ بل كانت تحبه لذاته ٠ بيد أنه لم يلبث فى سنة ١٧٤٠ أن وقع فى هوى اختها ، التى كانت تدعوها الى كل حفلة ، دون أن يداخلها هاجس ٠٠

وكانت الماركيزة « فانتيميى » أقل جمالا ورقة من أختها ، كما انها لم ترع لها ودا ٠٠ على ان هذا الغرام لم يعمر طويلا ، لان الماركيزة لم تلبث أن قضت نحبها وهى تضع ابنا من الملك ، أطلق عليه اسم « كونت دولوك » ٠٠ وتصدع قلب الملك لوفاتها ، فعاد الى مدام « مايبى » ينشد عندها السلوى ، ويعهد اليها بالوليد اليتيم الذى كان يشبهه كل الشبه ٠٠

بيد انه سرعان ما تدله فى غرام دوقة « شاتورو » ٠٠ أخت العشيقتين السابقتين ! ٠٠ وكانت جميلة ، ولكنها كانت أكثر مجافاة للرقة من مدام « فانتيميى » ! ٠٠ **كما كانت شرهة ، كثيرة المطامع ، بعيدة الطموح ، اذ راحت تستحث الملك على أن يتمادى فى التدخل فى أعمال وزرائه ! ٠٠ ولم تتورع ، اذ رأته لا يزال يميل لاختها ، عن أن تغريه على اقصائها ، فغادرت مدام « مايبى » البلاط ودموعها تغسل وجهها ٠ ومن ذلك اليوم عرفت بلقب « الارملة » ! ٠٠ بل ان العشيقة الطامعة الجشعة ، لم تحجم عن الايقاع بين الملك والملكة ، فدب بينهما شقاق لم يرأب الزمن صدعه ٠٠ ولم تعد العلاقات بين الملك والملكة بعد ذلك ، الى ما كانت عليه من وئام ٠٠**

وعند ما قضى عليها الالتهاب الرئوى فى سنة ١٧٤٤ ، كان الملك فى الرابعة والثلاثين ٠٠ فخلا المسرح ـ مسرح قلب الملك وحياته ـ لتظهر عليه « جان انتوانيت بواسون » ٠٠ التى أصبحت فيما بعد « الماركيزة دو بومبادور » ! ٠٠

نبوءة تتحقق !

◆ **ولدت** « جان انتوانيت » فى شارع « دوكليرى » ـ الذى

ما يزال يتوسط قلب المدينة ــ وكانت أمها « فاتنة » ، ومن ثم تضارب المؤرخون فى تعيين أبيها !٠٠ ولكن من المحتمل أن يكون الرجل الذى كان زوجا لامها ــ مسيو « فرانسوا بواسون » ــ هو الاب الحقيقى ٠٠ والواقع انه كان « يعتقد » فى نفسه ذلك !!

وكان « بواسون » من أبناء الطبقة المتوسطة ، يعمل كوكيل للاخوة « بارى » الذين كانوا يصرفون الشئون الاقتصادية لفرنسا ٠٠ الى أن حدثت في سنة ١٧٢٥ ــ و « جان » فى الرابعة من عمرها ــ فضيحة بشأن الاتجار بالقمح فى السوق السوداء ، فقدر لبواسون أن يكون كبش الفداء ، واضطر الى الفرار الى المانيا ، تاركا زوجته تصرف شئونه وتحل المشكلات التى خلفها وراءه ! ٠٠ ولعله قدر فى نفسه ان الامر لن يعييها لما كانت عليه من جمال ! ٠٠ وقد صح هذا التقدير ، اذ انقذها من ورطاتها مسيو « لو نورمان دو تورنهيم » الذى كان سفيرا لفرنسا لدى السويد يوما ، ثم غدا مديرا لشركة جزر الهند ، ومحصلا للضرائب غير المباشرة

أحب الرجل الثرى مدام « بواسون » فكفل الاسرة كلها ، وعنى بتعليم « جان انتوانيت » وأخيها « ابل » ــ الذى كان يصغرها ــ ثم سعى حتى مكن « فرانسوا بواسون » من العودة الى باريس بعد أن قضى فى منفاه ثماني سنوات ، وساعده على تبرئة نفسه من كل الاتهامات التى كانت موجهة اليه ، وعلى الظفر بمنصب رفيع يتصل بامدادات الجيش ٠٠ ومن ذلك الحين ، عاش « تورنهيم » و « بواسون » معا في وئام !

ولم يعرف عن طفولة « جان انتوانيت » غير القليل ٠٠ ولكن عرافة تنبأت لها وهى فى التاسعة من عمرها بأنها ستتبوأ قلب ملك ٠ وقد وجد بين مصروفاتها ، بعد عشرين سنة ، ستمائة جنيه منحة لهذه العرافة ٠٠ « لانها تنبأت لى وأنا فى التاسعة بأننى سأغدو عشيقة الملك » ! ٠٠

وقضت عاما فى مدرسة تابعة لأحد الأديرة ، ثم عادت لتتم تعليمها فى البيت تحت رعاية «تورنهيم» وأمها ، فلم تغفل هذه التربية شيئا يجعل منها امرأة كاملة الانوثة ٠٠ اذ تعلمت التمثيل ، و الرقص ، والغناء ، وأجادت كلا من هذه الفنون الثلاثة ٠٠ كما كانت تهوى فلاحة البساتين وتحذقها ، وأغرمت بالتاريخ الطبيعى فجمعت مجموعة من الطيور الجميلة النادرة ٠٠ وكان خطها جميلا ، واضحا ، يتمشى مع قواعد الكتابة الحديثة٠٠كما انها رسمت لوحات بالالوان ، وبالفحم ، واتقنت النحت على الحجر ٠٠ وكانت أخيرا ـ وليس آخرا ـ ربة بيت مدبرة ، رائعة !

معبودة الاقرباء ٠٠ والغرباء !

◆ **وكانت** « رينيت » ـ أى « مليكة » ، أو ملكة صغيرة كما أصبحت تدعى منذ تلك النبوءة ـ فاتنة من باكورة عمرها ، سحرت عشيق أمها « تورنهيم » ، كما استأثرت بحب الراهبات خلال العام الذى قضته فى مدرسة الدير ، فظللن يهتممن بأمرها ، حتى بعد أن غادرت المدرسة بوقت طويل ٠٠ وكانت أمها وأبوها وأخوها يكادون يعبدون التراب الذى تطأه قدماها !

وهكذا شبت وهى تحظى بكل ما تتمناه أية امرأة من مواهب ، وخصال ، وأنعم ٠٠ عدا واحدة ٠٠ اذ لم تكن صحتها يوما مكتملة موفورة !

وما أن بلغت « جان انتوانيت » سن الزواج ، حتى كان المجتمع الباريسى لا يراها خليقة بغير ملك ٠٠ وكانت هى نفسها تعيش فى الحلم الذى أوحت لها به العرافة ٠٠ ان تستولى على قلب ملك ! ٠٠ وما كان أبعد هذا الحلم عن أن يتحقق ، اذ كانت « جان » من الطبقة المتوسطة ـ ولم تكن بنات الطبقة المتوسطة يقدمن الى الملك ـ كما ان الملك كان اذ ذاك مغرقا فى هوى عشيقته ٠٠

وفى الوقت ذاته، وجد أبواها ان أمر تزويجها ليس باليسير، اذ ان السمعة التى شاعت عن كل منهما ، زهدت الشباب فى الحسناء الفاتنة كزوجة ٠٠ وأنقذ مسيو « دو تورنهيم » الموقف، اذ عرض على ابن اخت له يدعى « نورمان ديتـوال » أن يتزوج من « الملكة الصغيرة » ـ «رينيت» ـ ولما أحس بأنه معرض ، زين له الزواج بوعد تعهد بمقتضاه أن يهب للفتاة « دوطـة » كبيرة ، على أن يعيش الزوجان الشابان معـه ، ما بقى له فى الحياة من عمر ، وبذلك يتكفل بكل نفقاتهما ٠٠ حتى اذا مات ، ترك لهما ثروته !

ولم يقو « ديتوال » على أن يقاوم كل هذه المغريات ٠٠ فتزوج من الفتاة فى مارس سنة ١٧٤١ ٠ وعاش الزوجان ومدام «بواسون» مع « تورنهيم » ٠ وسرعان ما أحب الزوج الشاب عروسه الفاتنة وتدله فى هواها ٠ أما هى ، فكانت تقول انها لن ترضى عنه بديلا ٠٠ اللهم الا ٠٠ الملك !٠٠ وكانت الاسرة تضحك لهذه الدعابة ٠٠ ولكنها لم تكن دعابة بالنسبة للفاتنة الصغيرة !

فتاة ٠٠ تصيد ملكا !

◆ على أن مدام « ديتوال » رغم أحلامها ، كانت قريرة العين بحياتها ٠٠ كانت شابة ، جميلة ، يحيط بها الثراء ، وأقارب تحبهم وينزلونها أعز منزل فى قلوبهم ٠٠ ومالبثت أن تفتحت لها أبواب المجتمعات ، وسرى اسمها الى (فرساى) ، حيث كانت شائعات الحب تنقلب الى قصص وحكايات ، لا سيما اذا كانت تدور حول أشخاص لا يرجى قط أن ينفذوا الى البلاط !

ومن عجب أن الأرملة ـ « ماييى » ـ كانت أول من تحدث عنها هناك ، اذ كانت قد التقت بها فى احدى الحفلات ، فأعجبت بغنائها ،وتمثيلها ، وعزفها ٠ وسرعان ماعرف الملك اسمها ٠٠ كما عرف شكلها ٠ فقد كان لتورنهيم قصر فى غابة (سينار)، وكان للملك استراحة للصيد هناك ٠٠ ومع أن التقاليد كانت

تقتضى أن لايخرج للصيد فى موكب الملك سوى النبلاء ، الا أن العادة جرت على السماح لجيران الاستراحة بهذا الشرف ٠٠ **وكانت « مدام ديتوال » خبيرة بكل شبر في الغابة ، فكانت ترتدى ثوبا أحمر زاهيا ، وتنطلق في عربة خفيفة زرقاء اللون تقودها بنفسها ـ أو ترتدى ثوبا أزرق زاهيا ، وتنطلق فيعربة حمراء قانية ـ ثم تتسلل خلالالأشجار المتشابكة ، والاغصان المتعانقة ، تتخير المواقع والفرص لتظهر أمام الملك فى أروع المناظر التى تهفو بفؤاده وعقله ٠٠ وكان « لويس » خجولا ،فلم يحاول أن يتحدث اليها ، ولكنه أخذ يبعث الى بيتها ببعض صيده**

وكان القدر يرسم خطته ٠٠ ففى تلك الاثناء ، ماتت مدام « شاتورو » ، ولم يعد من حديث فى (فرساى) و (.باريس) الا التكهن بمن تكون العشيقة المقبلة للملك ! ٠٠ وكانت كل حسناء فى فرنسا تعتقد فى قرارة نفسها ان من حقها ان تغدو العشيقة المنشودة ٠٠ **هكذا بلغ التبذل بالقوم الى الدرجة التى لم تكن أية امرأة تحس فيها بعار أو استحياء من ان تكون عشيقة الملك ! ٠٠**

وكانت ثمة امارات فى تلك الفترة من حياة الملك ، تنم عن استعداد لان يصلح من نفسه ، وان يعود الى تعزيز روابط الزوجية مع الملكة ، لاسيما وان ابنتيه كانتا قد كبرتا ، كما غدا ابنه ـ ولى العهد ـ فى السادسة عشرة من عمره ، وآن له ان يتزوج ، فلم يكن مما يليق بالملك ان يكون قدوة سيئة لأولاده ! ٠٠ ولكن الحياة التى ارتضتها الملكة لنفسها ، والحاشية التى جمعتها حولها ، لم تشجعه ٠٠

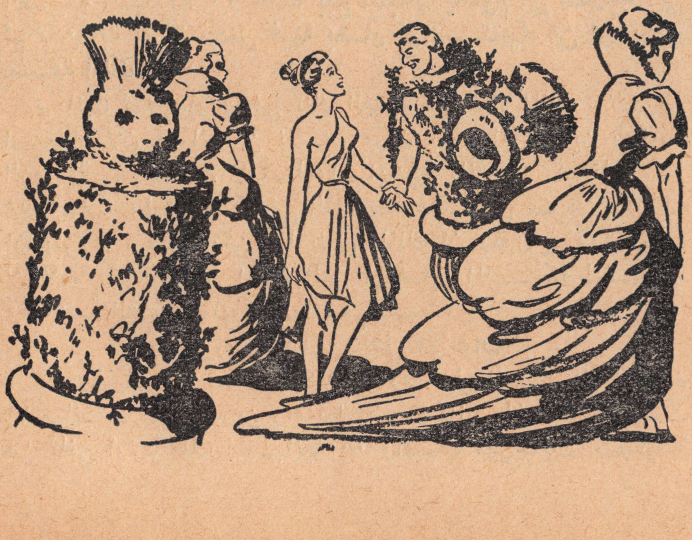
غرام جديد ٠٠ على الأبواب

◆ **وفى** فبراير سنة ١٧٤٥ ، زف ولى العهد الى الأميرة الاسبانية « مارى تيريز رافاييل » ٠ وكانت اخته قد تزوجت من ثانى أولاد ملك اسبانيا ٠٠ واقيمت مهرجانات صاخبة

لهذه المناسبة ٠٠ واستحال قصر (فرساى) الى شعلة من الأضواء ٠٠ وفتحت قاعاته الكبرى للراقصين ، دون مراعاة لمراكزهم أو طبقاتهم ٠٠ كانت الأبواب مفتوحة لكل من يرتدى ثيابا لائقة !

وافتقد الملك ، فلم تقع عليه عين لفترة طويلة ٠٠ ثم فتحت أبواب القاعة الصغيرة الملحقة بمخدعه ، فاذا ثمانى شجيرات أنيقة تتحرك !٠٠ واتجهت الأنظار الى الشجيرات التى أخذ يبرز من جذوعها بعض الأشخاص ٠٠ وتوقع الجميع ان يكون الملك فى احدى هذه الشجيرات ٠٠ **ولكنهم فوجئوا بشجرة أخرى فى قاعة الرقص ، وقد برز منها الملك واندمج فى حديث ضاحك مع « مدام ديتوال » التى بدت فى زى الهة الصيد « ديانا » ٠٠**

وتجلى للجميع ان ثمة غراما على الأبواب !



وأخذ أعضاء الحاشية يتساءلون عما اذا كان هذا الهوى نزوة طارئة ، أو كان علاقة جدية . وكان الذين يعرفون الملك يؤكدون انه لا يمكن ان يتخذ عشيقة من بنات الطبقة الوسطى تقيم فى قصر (فرساى) ، فان العشيقة تحتل مركزا رفيعا فى البلاط ، لا يمكن لغير من نشأت فى أحضان المجد والثراء والنبل ان تضطلع بأعبائه ! .. **ولقد كان الملك يجد ملهاة فى مراقبة تصرفات « مدام ديتوال » ومسلكها اذا ما كانا معا فى خلوة .. ولكنه كان يدرك ان مسلك ابنة الطبقة الوسطى كفيل بأن يحرجه أمام علية رجال الدولة من أمثال دوق ريشليو ..**

وأصبحت الفاتنة « ديتوال » تشاهد مقبلة على القصر ، أو منصرفة منه . ولم يدر أحد ما اذا كانت تقضى الليل فيه ، بيد انه لوحظ ان الملك أصبح يكثر من تناول العشاء وحيدا .. ولم يفطن زوجها الى شىء من هذا ، فان « تورنهيم » ـ الذى كان كقطعة من العجين بين أصابع « رينيت » ـ تعمد ان يقصيه فى مهمة حملته الى الريف ، فلما عاد ، كانت علاقة الملك بزوجته قد توثقت الى درجة لم ير معها «تورنهيم» حرجا من ان يصارحه ، فاغمى عليه .. وراح بعد ذلك يكتب لها الخطابات التى تفيض استرحاما ، واستعطافا ، كانا كفيلين باذابة أقسى القلوب ! .. **وفى سذاجتها وصراحتها ـ اللتين كانتا جزءا من فتنتها ـ عرضت مدام « ديتوال » أول خطابات زوجها على لويس الخامس عشر ! .. وساءه منها هذا المسلك الذى يجافى آداب البلاط ، فرد اليها الخطاب قائلا فى فتور : « يبدو ان زوجك مفرط السذاجة والطيبة يا سيدتى » ..**

انفجار .. يجعل من العشيقة « ماركيزة » !

◆ **على** ان عودة الزوج ، أشعرت الملك بأن لحظة البت قد حانت .. أيستبقى السيدة عشيقة رسمية دائمة ، أم يردها الى بعلها ؟ .. وأيقن اذ ذاك انه يحبها ، وانها قط لن تبعث

فى نفسه السأم ، بل انه سوف يجد تسلية فى ان يهذبها ويعلمها آداب البلاط والحاشية ٠٠ ثم انه كان يدرك انها تعبد الثرى الذى يمر فوقه ، وليس من الرجال من يستخف بحب كهذا ٠ ومن ثم بقيت « مدام ديتوال » فى جناح صغير كان يوما لمدام « ماييى » ، يصله بمخدع الملك سلم سرى ٠٠ وبدأ يشركها فى مآدب العشاء الصغيرة التى لم يكن يدعو اليها سوى أقرب خلصائه اليه ٠٠ **ومن عجب انه لم يسمع من أحد منهم انتقادا لها ، بل أجمع الكل على ان العشيقين كانا ينمان عن هوى مبرح متبادل ! ٠٠ وزاد من عجبه ان زوجها أثبت انه كان فعلا « ساذجا طيبا » ـ كما وصفه ـ اذ لم يحاول ان يستغل الموقف ، بل أظهر شمما واعتدادا بكرامته ٠٠ ولم يقدر له ان يتبادل حديثا مع زوجته بعد ذلك !**

وكانت الحرب النمسوية اذ ذاك فى عامها الخامس ٠٠ ورأى الملك ان تطوراتها غدت تستدعى ان ينتزع نفسه من أحضان عشيقته ، وان ينتزع ابنه وولى عهده من أحضان عروسه ، ليذهبا الى الميدان فى الربيع ٠٠ ودبر برنامجا لمدام «ديتوال» خلال الأشهر الأربعة التى قرر ان يغيبها ، فأمر بأن تنتقل الى قصر « ايتوال » بغابة (سينار) يصحبها اثنان من الحاشية لتعليمها « الاتيكيت » وآداب البلاط وتقاليده ، وكل صغيرة ودقيقة لا تجعله يخشى الحرج من جراء ظهورها فى البلاط كعشيقة للملك ! ٠٠ وكان يواتيها فى القصر ، فى كل يوم ، رسول ملكى يحمل اليها رسالة أو اثنتين من الملك الى « مدام ديتوال بقصر ايتوال » ٠٠ وفى ذات مساء ، انفجر مخزن للبارود على مقربة من بلدة « كوربيى » ، بلغ من عنفه ان أطاح بباب قاعة الجلوس بقصر « ايتوال » ٠٠ **وكأنما كان انفجار المخزن ، كطلقات المدافع فى المناسبات الرسمية الكبرى ، اذ كان أول خطاب تلقته الفاتنة من الملك بعد الحادث ، يحمل كلمتى : « سرى وخاص » ، وكان العنوان المكتوب عليه :**

« الى مدام الماركيزة دو بومبادور ، بقصر ايتوال » ·· وقد تضمن براءات اللقب ، ووثائق ملكية ضيعة تحمل هـذا الاسم ، ورسما لشعار « الماركيزية » يمثل ثلاث قلاع على أرض فى زرقة السماء !

اجتياز التجربة الهائلة ·· بنجاح !

◆ **وفى** ١٠ سبتمبر ، عاد البلاط الملكى الى قصر (فرساى)· وفى الليلة ذاتها ، حملت عربة ملكية « مدام دو بومبادور » الى القصر ، تصحبها ابنة عمة لها هى « كونتيسة ايستراد » ، فيممتا لفورهما الى جناح أعد خصيصا للعشيقة الملكية ·· وفى ذلك الجناح ، تناول الملك عشاءه مع عشيقته فى خـلـوة ، فسجلا بداية عهد استمر زهاء عشرين عاما !

ولم يكن يشغل الملك سوى توجسه من الاحتفال الرسمى التقليدى ، الذى تمثل فيـه « الماركيزة » الجديدة بين يديه ويدى الملكة ·· ولكن الحسناء أثبتت تمكنا من « الاتيكيت » حين اقتيـدت الى حضرته ·· وترقب الجميع بقلوب واجفـة مثولها بين يدى الملكة ··وفعلا أحست هى بخطواتها تضطرب أثناء توجهها الى جناح الملكة ·· **ولكن هذه تلقتها متلطفـة ، وأسبغت عليها من عطفهـا ما أذهل أفراد الحاشية، وماجعل «الماركيزة» تفقد رباطة جأشها، فكادت تستسلم لنوبة من البكاء لاتليق بالنبيلات صاحبات الالقـاب ، وتؤكد للملكة**



الرحيمة حبها ، واحترامها ، وعزمها على ان تفعل كل ما يروق لها وما تأمرها به !

وكان الحضور يتطلعون فى شوق الى ان تصدر عن مدام « دو بومبادور » زلة بشعة ، ولكن اللقاء مر دون ما يشين مسلك النبيلة الجديدة ، فيما عدا حادث تافه ، **اذ حدث حين خلعت قفازيها لتتناول ذيل رداء الملكة فتقبله ، ان جذبت أحد القفازين فى عصبية ، فأفلت سوار من معصمها وتدحرج على الأرض ٠٠ ولكن أميرة كونتى سارعت تلتقطه عنها ٠٠**

واقتيدت مدام دو بومبادور الى جناح ولى العهد بعد ذلك ، فاستقبلها فى فتور ٠٠ ويقال انه أخرج لسانه سخرية بهـا حين انصرفت من حضرته !

وهكذا اجتازت التجربة بنجاح ، فلم يجسر أحـد على ان ينكر ما بدت فيه من جلال ، وجمال ، ورشاقة ، لا يكاد يصدق معها انها كانت يوما من الطبقة الوسطى ٠ كما تنفست الملكة الصعداء ، اذ تبينت ان العشيقة الجديدة تجلها وتحترمها ، فى حين ان سابقاتها أذقنها الكثير من الآلام ، ولم يدخـرن وسعا فى اذلالها بصرف الملك عنها !

وكان البلاط الملكى ينتقل مرتين فى السنة ، الى كل من (كمبيين) ـ لحضور المناورات العسكرية ـ و (فونتينبلو) ـ للصيد ـ فيمكث فى كل منهما ستة أسابيع ٠٠ وكانت «مدام دى بومبادور » تشغل فى (فونتينبلو) نفس الجناح الذى كان يفرد من قبل لمدام « دوشاتورو » ، فى الطابق الأرضى ٠٠ وكان الملك اذا ما ارتدى ثيابه فى الصباح ، هبط الى جناحها ، حيث يمكث حتى يحين موعد القداس اليومى ! ٠٠ وفى الأيام التى لم يكن يخرج فيها للصيد ، كان يعود الى جنـاح مدام « بومبادور » فيتناول غداء خفيفا ، ويظل يتجاذب معها أطراف الحديث ، حتى تحين الساعة السادسة ، فيـذهب ليجتمع بوزرائه ٠٠ وكانت مدام « بومبادور » تجيد ركوب الخيل ،

وتخرج أحيانا مع الأميرات ــ بنات الملك ــ للنزهة على ظهور الجياد .. وكان أعضاء الاسرة المالكة ــ فيما عدا ولى العهد ــ يبدون لها الود ويعاملونها فى أدب .. بل ان أعضاء حاشية الملكة ، من المقربات اليها ، كن يعترفن دائما بأنهن لا يجدن فى مسلكها أية شائبة !

والواقع ان مدام « بومبادور » كانت جمة الأدب ، لا تنطق بكلمة سوء عن أحد ، ولا تحب ان تسمع حديث السوء عن غيرها .. وكانت فى الوقت ذاته طروب الروح ، حلوة المعشر ، مرحة ، لا تحجم عن فعل الخير ما استطاعت ، ولا تدخر وسعا فى سبيل ارضاء الملكة .. فلما عرفت ان الملكة تحب الزهور مثلها ، حرصت على ان تملأ لها جناحها بالزهور ، كما كانت تفعل بجناحها كل صباح ، اذ كانت تحرص على الاشراف بنفسها على استنبات أندر الأنواع فى حدائق القصر .. **وكانت تبدى اهتماما واضحا بالملكة ، وتعنى بمجاملتها ، فى حين ان الملكة المسكينة كانت قد اعتادت الاهمال من الجميع ، حتى من أفراد الحاشية .. وبفضل هذا الاهتمام من مدام « بومبادر » أخذ الملك يزداد تلطفا مع زوجته ، حتى انها كثيرا ما كانت تردد : « اذا لم يكن ثمة بد من ان تكون للملك عشيقة ، فهذه خير من سواها » ! ..**

كل شىء جميل .. حولها !

◆ **ولم** تكد مدام « بومبادور » تستقر فى قصر فرساى ، حتى غدا جناحها يزخر بالحياة ، ويكتظ بكل شىء .. فهو دائما ملىء بالناس ، وبالحيوان ، وبالطيور ، والصور ، والتحف ، وبالعجائب ، وبالأثاث ، وبأكثر من رسم لأكثر من تصميم خاص ببناء أو بقطع الأثاث ، وبالكتب ، وبالقطع التى كانت تتسلى بتطريزها ، وبالخطابات ، ومساحيق ومعاجين التجميل .. وكلها محوطة بالزهور !.. وسرعان ما أخذت الفاتنة

توجه فنانى عهدها وتلهمهم ، اذ كانت قد اوتيت كل المواهب الفنية ، من ذوق مرهف ، ونشاط لا يخمد فى السعى وراء الجمال والكمال ، وادراك واع لكل تجديد وابتكار ، مما كان يمكنها من ان تحمل الفنان على ان يتفانى فى شحذ عبقريته ، ويساعدها على ان تفرض عليه آراءها دون ان يحس لذلك بغضاضة تجرح كبرياءه ومشاعره !٠٠ وكان لها فضل آخر ، اذ حملت الملك على ان يتخلى عن عدم اكتراثه بالفن ، وعلى ان يسخو فى العطاء من أجل الفن ٠٠ فسرعان ما أخذ يشاطرها حبها للتحف والأشياء الجميلة ٠٠

وكان الملك ـ الى اليوم الذى ارتبط فيه بها ـ يعيش حياة خلوا من أى ميل اللهم الا للسياسة ، ومع ذلك ، فانه لم يكن يتحدث عن المسائل السياسية خارج قاعة اجتماع مجلس الوزراء ، لانه كان يدرك ان كل كلمة ينطق بها لن تلبث ان تتنقل على ألسنة أفراد الحاشية وتكون نواة للشائعات ٠٠ ولم يكن يحفل بالأدب أو الموسيقى ٠٠ كان غاية ما يعنى به فى وقت فراغه هو الصيد ، فلم تكن له من هواية سواها يستطيع ان يتحدث عنها وهو مطمئن ! ٠٠ ولكن مدام « بومبادور » استطاعت بميولها ان تتيح له هواية لا يعييه الحديث عنها ٠٠ تلك هى حب الجمال الفنى ٠ فأخذ يهتم بابتياع الدور أو تشييدها ، وباحداث التعديلات فيها ، وبزخرفتها واحاطتها بحدائق جميلة ٠٠ واعيد تجميل غرف الملك فى القصور الكبيرة ، وتجديد أثاثها ، واختيار التحف والتماثيل واللوحات لتزيينها

وكان الملك يصعد السلم المفضى الى جناحها مسرعا ، وهو واثق من انه سيجد فى غرفاته الدافئة التى يعبق فى جوها عبير الزهور ، مشروعا جديدا يستهويه ، أو تحفا تنتظر رأيه قبل ابتياعها !

وكانت تعقب ذلك ساعات من الحديث ٠٠ ولم يكن الملك من قبل يسمع من عشيقاته - ولا من الملكة نفسها - كثير فكاهات أو دعابات ، فلم ينعم من قبل بالعلاقات الجنسية ممتزجة بالضحك ، بل كان يتلقى كل ما يضحكه من أصدقائه من الرجال ٠ **بيد ان مدام « بومبادور » كانت تعرف مئات من القصص المسلية ، وكانت تقرأ الصحف الرخيصة وتروى له ما تعثر عليه بين سطورها من نكات ٠٠ كذلك كانت تطلعه على الخطابات الخاصة وتتخذ من بعض ما كان يرد فيها مادة للفكاهة ٠٠ فاذا هفت أذنه الى شىء من الموسيقى ، عزفت له فى براعة ، أو غنت له كما لم يسمع أحدا يغنى ٠٠ وكانت تحفظ عددا من المسرحيات عن ظهر قلب ، فتأخذ فى القاء أدوارها على مسمعيه ٠٠** وبعد ان كان لا يحفل بالمسرح، أثارت فى نفسه الاهتمام ٠٠ ثم انها كانت بارعة فى اختيار المدعوين الى مائدة عشائه ، وكانت تضفى على المائدة جوا من مرحها وبهجتها ٠٠

الا ان هناك جانبا لم يكتمل فى هذه العلاقة ٠٠ وهو الجانب الجنسى ٠ **فان مدام « بومبادور » كانت باردة الحس فى هذه الناحية ، ولم تكن قوية الجسم ، فكانت تتكبد ارهاقا فى ارضاء نزوات الملك ، فى زمن كانت المضاجعة فيه جزءا من حياة الرجل اليومية كالطعام والشراب ! ٠٠ ولكنها لم تكن الجزء الأهم على أية حال ٠ واذا كانت مدام « بومبادور » لم تؤت الحرارة ولا القوة لارضاء الملك فى هذه الناحية ، فليس من المغالاة فى شىء انها كانت تحبه ٠٠ بل كانت تعبده ٠ وقد كرست كل عواطفها ورعايتها واهتمامها للملك وحده ، حتى ليندر ان توجد امرأة مثلها فى حبها له ٠**

ولقد زعم أعداؤها انها انما كانت تحب فى الواقع النفوذ وحياة البلاط ٠ بيد انها لم تحب البلاط قط ، وكانت لا تفتأ تردد - وقد عرف عنها الصدق والصراحة - **انها لولا**

حبها للملك ، وسعادتها معه ، لما احتملت « السخافات » ، والخبث ، وكل مساوىء « الفطرة البشرية » التى كانت تحيط بها فى البلاط !

العشق ٠٠ يتحول الى صداقة !

◆ **وما** لبثت العاطفة الجنسية ان فترت فى علاقات العاشقين ، فتحولت هذه العلاقات رويدا الى صداقة سامية ٠٠ وظل الحب وثيقا ، ضافيا ٠ وكما فى كل اتحاد سعيد بين رجل وامرأة ، كان للرجل النفوذ الاعلى ٠٠ فلقد اوتيت مدام « بومبادور » من قوة الشخصية ما كان يفوق ما اوتى الملك، كما كانت جد ماهرة ٠٠ وهما خلتان ما كانتا لتمكناها من ان تعيش سعيدة أمدا طويلا مع أى رجل ، لولا انها كانت مخلصة فى حبها واحترامها للملك ٠٠ وكانت صريحة ، تقول للملك ما تحب ان تقول ، حتى ليمكن ان نذهب الى انه دللها فى بعض النواحى ، ولكنها كانت مهما تتدلل لا تغفل احترامها اياه ٠٠

وكانت دائما فى خوف من ان تفقده ، فكانت ترهق كل جارحة من جوارحها فى سبيل ان تجاريه فى كل نواحى نشاطه ، غير ملقية اعتبارا الى انه كان قويا ، فى حين انها كانت رقيقة البنيان ، ضعيفة !٠٠ وقد أدى هذا الارهاق الى القضاء عليها فى النهاية ٠٠ اذ كانت نادرا ما تأوى الى فراشها قبل الساعة الثانية أو الثالثة صباحا ، لتستيقظ فى الساعة الثامنة فترتدى ثيابها وتتخذ كامل زينتها ، كى تحضر القداس مع الملك فى الكنيسة التى كانت تخلو من أية تدفئة فى أشد أوقات الشتاء برودة ٠ ولم تكن تحظى خلال النهار بلحظة واحدة من الراحة أو الخلوة الى نفسها ، اذ كان لا بد من ان تقوم بما كانت تفرضه تقاليد البلاط من تقديم احتراماتها للملكة ، ولولى العهد ، وللأميرات ٠٠ ثم تستقبل الزائرين الذين لم يكن سيلهم ينقطع ، وتكتب حوالى الستين خطابا فى

بعض الاحيان ، وتدبر حفلات العشاء ، وتقوم بواجبات السيدة الاولى فى تلك الحفلات ٠٠ الى جانب اشرافها على العمال الذين كانوا يعملون باستمرار فى تجميل القصور ، والعناية بحدائقها ٠٠

وكان كل هذا أكثر مما تحتمل !

أعداء « الماركيزة » ٠٠ لا يسكتون !

◆ لم تكن « عشيقة الملك » بالشخصية المحبوبة لدى الشعب عادة ، ومن ثم فقد كانت خير ضحية تلقى على عاتقها ذنوب الملك ٠٠ واذا كانت صحافة اليوم تتيح للمظلوم أن ينشر دفاعه ٠٠ واذا كانت عدالة اليوم تمكن من يرمى بغير حق من أن يلجأ الى القضاء ليقتص من الصحف التى تشوه سمعته دون ما دليل قوى ، فان الصحافة المغرضة فى القرن الثامن عشر كانت عزيزة المنال على من تسن أقلامها ضده !

ولم تكن الحملة على «مدام بومبادور» من الصحافة وحدها ٠٠ فلقد اتخذت أيضا شكل اعلانات تلصق على الجدران فى الظلام ، وكتيبات ومنشورات !٠٠ وكانت الألسن أقوى السيوف التى انطلقت تجرح سمعة عشيقة الملك ، وظهرت الأشعار الخفيفة تنتقل من فم الى فم ٠٠ أشعار مليئة بالتورية ، والكفاية ، والتلاعب بالالفاظ ٠٠ وتدور حول « آل بواسون » و « بنت بواسون » ، حتى عرفت باسم « البواسونيات » ٠٠ وكان معظمها يولد فى البلاط ، وبين أفراد الحاشية الذين لم يدركوا آنذاك ان هذه « البواسونيات » لن تنال من « جان انتوانيت بواسون » ، بقدر ماستنال منهم هم ٠٠ اذ ستهز كيان النظام الذى كانوا يعيشون فى رحابه ٠٠ النظام الملكى !

وكان للماركيزة ـ مذ حلت فى « فرساى » لأول مرة ـ أربعة أعداء عتاه ، من ذوى المراكز المنيعة ، هم : دوق « ريشليو » ، والأخوان « دارجنسون » ـ الماركيز والكونت ـ وكونت « دو موريبا » ٠٠ وكان الثلاثة الأخيرون أعضاء فى الوزارة ، انحدروا من أصلاب أبوين كانا من وزراء لويس الرابع عشر ٠٠ وكانوا فى الأصل من الطبقة الوسطى ٠٠ مثل « الماركيزة » التى ناصبوها العداء !

وكان الماركيز « دارجنسون » قد فقد الحظوة لدى الملك ، وما لبث أن أقصى عن منصبه فى سنة ١٧٤٧ ٠ ومع ان اقصاءه اتخذ شكل استقالة ، اشفاقا على سمعته ، الا انه غادر البلاط ، وكان من الممكن أن لايكون له ذكر فى حياة « مدام دوبومبادور » ، لولا انه كان يسجل مذكراته يوميا ويحتفظ بها ٠٠

وكان الشطر الاكبر منها وقفا على تلويث ذكرى الماركيزة وتشويه سمعتها ·· غير انه نهج فى ذلك منهج المبالغة المسرفة ، مما يزعزع ثقة قارئها فى صدقه ·· ومن ثم فما كانت كتابات « دارجنسون » لتسىء الى مدام دومبـــادور فى حياتها ، وما كان لهذا السبب بالغريم الخطر ، على العكس من أخيه «موريبا» ، فان الاخير كان أول من استطاع يشرع أظفاره لمحاربتها ··

كان « موريبا » قد قضى واحدا وثلاثين عاما وزيرا · وكان فى ذلك الحين يتبوأ وزارة البحرية ، وقد اكتسب نفوذا هائلا لدى الملك الذى اعتاد منذ طفولته أن يراه وزيرا ·· ومذ دخلت « مدام بومبادور » البلاط ، أحس بنفور منها وازدراء لها ·· لأنها كانت من العامة ·· امرأة من الطبقة الوسطى نسيت مكانها الصحيح ، ولسوف تقصى كل امرىء عن مكانه ، ما لم تقص هى بأسرع مايمكن ·· ومن ثم أخذ يعمل جاهدا على زحزحتها عن مكانها ، فكان لايراها تزداد الا نفوذا !·· وكانت تحضر كل اجتماعاته بالملك تقريبا ، ولا تتردد فى أن تبدى رأيا فى قرار يعرضه على الملك ، فكان «موريبا» يبادر الى المعارضة ، ولكن الملك كان دائما ينحاز الى صفها قائلا له : « أرجو أن تعمل بما تشير به المدام » !

وكان يثأر لنفسه بأن يهيل عليها المفتريات ، ويقلد حركاتها وتصرفاتها بمجرد ان تولى ظهرها قوما يكون بينهم ، وينظم فيها مزيدا من « البواسونيات » ·· ويعزى اليه أشنع الاشعار التى وضعت فى هجائها !

وعقدت مدام بومبادور العزم على التخلص منه ، ولكن الملك كان يحبه كصديق ألفه طوال عمره ، ويستمرىء العمل معه ، ويقدر جهوده فى منصبه ·· ويحب — قبل كل شىء — نكاته !·· فما كان من مدام بومبادور الا أن حالفت «ريشليو» مؤقتا لتصل الى غرضها ، فوضعا معا مذكرة رفعاها الى الملك متهمين « موريبا » بأنه تسبب فى ضعف البحرية الى درجة تنذر بالخطر · وما كان اتهامهما هذا محض افتراء ، اذ كان الناس منذ سنة ١٧٤٥ يعتبرون « موريبا » مسئولا عن سقوط (لويزبورج) و (نوفاسكوشيا) فى أيدى الانجليز ، اذ أهمل تزويد حاميتيهما بالذخائر والامدادات ·

وكان من الطبيعى أن ينجح سياسى قديم ، خبير ، أريب ، فى دفع الاتهام عن نفسه · ولم ينس فى دفاعه أن يغمز « مدام بومبادور » ، اذ قال ان النقود التى كانت جديرة بأن تستخدم فى بناء السفن ، قد بددت فى نواح أخرى !··

سقوط العدو الاول

◆ وفى ذات صباح ، أمرت الماركيزة بمركبتها أن تعد ، وصحبت « مدام ديستراد » لزيارته ، وبادرته قائلة : « لم أشأ أن أدعوك ، فلن يقال يوما اننى

استدعى وزراء الملك ، ومن ثم جئتك بنفسى » •• وأردفت فجأة ، وبحدة بالغة : « متى تميط اللثام عن ناظم تلك الاشعار ؟ » ، فأجابها فى خبث : « ما أن أعثر عليه ، حتى أنهى الأمر الى صاحب الجلالة بالطبع » ••

ـ انك لا تبدى كثير احترام لعشيقات الملك ياسيدى ••

ـ على العكس ياسيدتى ، لقد اعتدت دائما أن أحترمهن •• مهما يكن !

ومن الطبيعى ان لم يعد من حديث للبلاط سوى نبأ تلك الزيارة •• وقال بعضهم لموريبا فى احدى حفلات مساء ذلك اليوم : « علمت انك تلقيت زائرا يثير الاهتمام » ، فأجاب بصوت يسمعه الجميع ، متظاهرا بعدم الاكتراث : « أجل •• انها الماركيزة •• ولكنى لا أنفعها فى شىء ، فانى لست فألا يبشر بالخير للعشيقات •• وانى لأتذكر أن « مدام دو ماييى » زارتنى قبل أن تحتل أختها مكانها بيومين •• ثم ان كل امرىء يعتقد اننى سممت « مدام دوشاتورو » •• اننى نحس عليهن جميعا !»

ونقلت هذه الكلمات الجريئة فى الحال الى الجناح الملكى الخاص ، فرأى الملك ان « موريبا » قد جاوز حده • وفى الصباح التالى ، بدا فى حضرة الملك فى أبهج حال ، فلم يكن فى يوم ما أظرف حديثا منه فى ذلك اليوم •• وما ضحك الملك لفكاهاته قدر ما ضحك اذ ذاك • وفى نهاية الاجتماع ، ذكر أنه ذاهب الى باريس بعد الظهر ليحضر عرسا ، فقال له الملك : « متع نفسك ! »

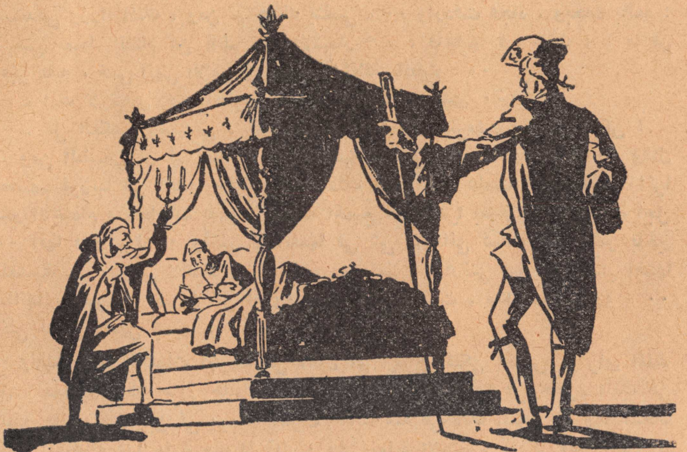
ويمم الملك شطر منزل صغير كانت مدام بومبادور تتخذه فى « لاسيل » ، على مقربة من « سان كلو » ، يرافقه عدد من الأصدقاء ، بينهم « ريشيليو » ••

وفى الساعة الثامنة من الصباح التالى ، ذهب كونت « دارجنسون » الى دار « موريبا » يوقظه من النوم العميق الذى كان مستغرقا فيه بعد سهرة الزفاف •• ولكن « دارجنسون » لم يكن مشوقا لزيارة صديقه وزميله ، وانما كان ينفذ تعليمات تلقى بها رسالة من (لاسيل) فى منتصف الليلة السالفة ••

وكانت أول نظرة ألقاها « موريبا » على وجه « دارجنسون » كفيلة بأن تنبئه بما جرى •• وبهت التعس الذى لم يكن يعيش بغير المجتمع والسياسة وجو البلاط ، وفرك عينيه ، ثم قرأ الرسالة التالية :

« السيد الكونت دو موريبا : لقد وعدتك بأن أنبئك بنفسى يوم لا أعود بحاجة الى خدماتك • ومن ثم أسألك اليوم أن تستقيل من منصبك • ولما كانت ضيعتك فى « بونشارتران » جد قريبة ، فانى أرجو أن ترحل هذا الاسبوع الى (بورج) ، دون أن تقابل أحدا سوى أقرب أقربائك الملازمين لك • وأرسل استقالتك الى مسيو دوسان فلورنتان ـ لويس »

ومالبث « موريبا » أن تمالك نفسه ، فغادر فراشه فى ابتسامته واستخفافه المألوفين ، وارتدى ثيابه ، ورحل •• اذ كان يعرف من درايته بمولاه أن هذا



القرار نهائى ٠٠ وان الملك كان قد اعتاد أن ينفى وزراءه المخلوعين ، حتى لايرى فى وجوههم نظرات العتاب ، أو الأسى !٠٠ وماعرف عن وزير أقصى انه عاد الى (فرساى) ثانية ٠ على ان « موريبا » كان أسعد حظا من سواه ، فقد قدر له بعد خمس وعشرين سنة أن يدعوه لويس السادس عشر فيعينه رئيسالوزرائه٠٠ ولكم أخطأ لويس السادس عشر فى ذلك !!

العلاقة الجسدية ٠٠ تتوقف !

◆ وشهد عاما ١٧٥١ و ١٧٥٢ تغيرا فى علاقة « مدام بومبادور » بالملك ، بدت بوادره فى انتقالها الى قسم جديد بالطابق الارضى من الجناح الشمالى لقصر (فرساى) ، أضفى عليه كل ما يضفى على الجناح الملكى من رواء ٠٠ وفى الوقت نفسه ، كانت كل الدلائل تشير الى أنه لم يعد يضمها والملك فراش واحد ٠٠ ومع أن المؤرخين والمعاصرين أكدوا ذلك ، الا أننا لا نملك الا أن نقرر أن العلاقات بين أى شخصين لا يمكن أن تجف وتذوى بهـذا الشكل الا فيما ندر ٠٠ كما أن مخدع « مدام بومبادور » ظل متصلا بمخدع الملك بسلم سرى !

أما الملك ، فكان اذ ذاك يجتاز عتبة العقد الرابع من عمره ٠٠ وقد غشيه نوع من القلق وعدم الاستقرار ، فكان يتنقل من قصر الى قصر ، حتى انه لم

يقض فى قصر (فرساى) خلال سنة ١٧٥٠ أكثر من خمسين يوما ٠٠ وأخذ يفرط فى المقامرة ٠ على أنه فى كل هذا التطور ، لم يك ثمة ما هو أوضح من أنه لم يهف الى « مدام بومبادور » أخرى ٠٠ لم يتق الى عشيقة رسمية سواها ، فقد كان مولعا بحبها ، وقد ألفها وألف عشرتها ٠٠ واذا كانت حياته لم تخل من عشيقات ، الا أنهن كن - حتى موتها - من صغار حسان الطبقة الدنيا ، وكن يؤدين مهمتهن فى صمت ، دون أن يطمعن فى أن يكون لهن أى نفوذ ، أو أن يجدن فى علاقاتهن به مبررا لأى مطلب ٠٠ بل انهن لم يكن يجرؤن على أن يحصلن لأولادهن منه على ألقاب أو مراكز ٠٠ وكن يقنعن اذا ما سأمهن ، بما يخلعه عليهن من هبات ينهى بها علاقته بهن ٠٠

ثم جاء عام ١٧٥١ ، فاذا به يجلب معه متاعب لمدام « بومبادور » ٠ فهو بداية نصف القرن ، ويعتبر من الاعوام المباركة لدى رجال الدين ٠ ومن ثم غشيت البلاد موجة من الهوس الدينى ، وأخذ قساوسة « الجيزويت » يهدرون على المنابر حاملين على الفساد والانهيار الخلقى ٠٠ وغمرت موجة التقوى ولى العهد وشقيقاته ، فعكفوا على الصلاة ليل نهار ، يسألون الله أن يطهر روح أبيهم ونفسه !

وكثرت التكهنات باقتراب عيد الفصح ، وتركزت كل جهود قساوسة البلاط فى حمل الملك على حضور صلاة العيد ٠٠ وفى نهاية الصوم الكبير ، ماتت مدام «مايبى» والحملة الخلقية فى أوجها ٠٠ وكانت مذ أقصتها أختها عن البلاط قد عاشت لله ولأعمال البر والتقوى ، حتى لقد ذهبت فى تكفيرها الى ارتداء ثوب من الوبر !

وكانت مدام « مايبى » فى سن الملك ٠٠ كانت فى الحادية والاربعين من عمرها ، ومن ثم فقد هزه موتها ، ورغب فى أن يسمع جميع تفصيلات حياتها فى أعوامها الأخيرة ! ٠٠ واقترن بهذه الاحداث اصابة «مدام بومبادور» فى أوائل العام بنزيف حاد ، فلما برئت منه كانت فى حالة جعلتها تصارح الملك بأنها لم تعد تصلح لأية علاقة جسدية ، بل ان هذا النوع من العلاقات يهددها بالخطر ٠٠

وأمسك أفراد الحاشية أنفاسهم يترقبون عواقب هذه التطورات ٠٠ ولكن شيئا لم يحدث !

طعنة خائبة ٠٠ فى صدر الملك !

◆ وفى أول يناير سنة ١٧٥٧ ، انتقل البلاط الملكى الى قصر (تريانو) ، اذ لم يكن قصر (فرساى) لائقا للاقامة فى الشتاء القارس ٠٠ ولكن « مدام فيكتوار » - احب بنات الملك الى قلبه - بقيت فى (فرساى) فريسة « الانفلونزا » ٠ وفى الخامس من يناير ، أبدى الملك رغبته فى زيارتها ٠



وفيما كان يهبط السلم منصرفا من عندها ، يتبعه ولى العهد ودوقا ريشليو ودايين ، واثنان من الياوران ، اندفع خلال الجنود فجأة رجل وجه الى الملك ما لاح انه طعنة ، ثم ارتد بسرعة الى صفوف الحشد المجتمع ، وقبعته على رأسه ٠٠ وهتف الملك للدوق دايين : « هناك من ضربنى بشىء ما » ٠٠ ولكن الحادث كان قد تم بسرعة خاطفة لم يفطن معها الدوق دايين وولى العهد الى شىء مما جرى ٠٠ أما دوق ريشليو ، الذى كان خلفهما ، فقد فطن الى الحادث وقال : «انه ذاك الرجل ذو القبعة» ٠٠ ووضع الملك يديه على ضلوعه ، فاذا بهما تتلطخان بالدم !٠٠واذ ذاك فقط أدرك انه طعن بخنجر ، فقال : « اننى جريح ٠٠ أقبضوا على الرجل ، ولكن لا تؤذوه » ٠٠ ثم عاد أدراجه فصعد السلم الى مخدعه ٠٠ وما أن بلغه حتى كان النزيف قد اشتد ، وأحس بخوار خال معه أنه موشك على الموت ، فطلب استدعاء قس ليتلقى اعترافه !

وساد الاضطراب القصر ، اذ كانت الحاشية فى قصر (تريانو) ، ولم تكن ثمة أغطية على الفراش ، ولا اهتدى أحد الى مكان ثياب نوم الملك ! ٠٠ والادهى من هذا ، ان لم يكن ثمة طبيب ! ٠٠ وأغمى على الملك ، ثم أفاق وأصر على استدعاء قس ٠٠ فما لبث ان خف اليه احد قساوسة بلدة (فرساى) فأدلى الملك اليه باعترافاته فى عجلة ، ووعد بأن يدلى باعتراف أكمل وأوضح لو قدر له أن يعيش ٠٠ ثم قال : « انى أصفح كل الصفح وأكمله عن قاتلى » !

وشعر الملك بارتياح بعد ذلك ٠ وما لبث أن وافاه جراح من البلدة غسل الجرح ، ريثما وصل جراح الملك الخاص ، فتبين أن الجرح غير عميق ، وأن لا خطر يخشى منه ما لم يكن الخنجر مسمما ٠٠ فضاعفت فكرة السم من القلق ٠

وأقبل الاب الذى اعتاد أن يتلقى اعترافات الملك ، فقضى معه الملك نصف ساعة ، ثم أمر بأن يأوى كل امرىء الى غرفته ، واعتذر علانية لزوجته وبناته عما بدر منه من اساءات لهن ، وما ألحقه بهن مسلكه من عار ٠ وتحول الى ولى العهد فقال انه قرير العين اذ يترك لفرنسا عاهلا صالحا !

وكانت الدموع تنهمر من أعين الجميع ٠٠ وأخذ أفراد الحاشية يتهامسون – بين شهقاتهم – بالرثاء للماركيزة المسكينة التى كانت فى أسوأ حال ، فما

كان لها أن تذهب لترى الملك ، بل كان عليها ان تلزم جناحها فى انتظار الانباء ! ٠ وبعد منتصف الليل بقليل ، جاءها من طمأنها الى أن الخطر قد زال ، وان الملك فى خير حال ٠٠ وبقدر ما ارتاحت ، غشيها عذاب جديد ، اذ شرعت الهواجس تراودها عن مستقبلها ٠ ترى ما الذى قاله القساوسة للملك عنها ؟ ٠٠ أتراه يقصيها ؟ ٠٠ وتاقت الى كلمة منه ، ولكنها لم تتلق كلمة ما ٠٠

مدام «بومبادور» ٠٠ الساحرة !

◆ على أن الملك ، وان لم يصب بضرر بدنى ذى شأن ، الا أنه أصيب بصدمة نفسية قاسية ٠٠ فقد رأى فى قاتله الشعب الفرنسى بأسره ٠٠ وأحس بأن الشعب أراد موته ، فلم تعد له رغبة فى أن يعيش ٠ ٠ وظل راقدا فى مضجعه والستائر مسدلة ، حتى بعد أن التأم جرحه ٠٠ وكانت الماركيزة فى هذه الاثناء تعيش أسوأ فترات حياتها ، اذ كانت الايام تمضى تباعا دون أن تتلقى من الملك رسالة ٠٠ وكانت تدرك أن هذه هى الفرصة الوحيدة كى ينال الراغبين فى اقصائها مآربهم ٠

والواقع أن « كونت دارجنسون » كان قد بدأ فعلا يبدى لها معاملة تنطوى على الاهانة والاثارة !

وأخذت الايام تتتابع ، ولا رسالة من الملك ، الذى كان قد استطاع فى تلك الاثناء أن يغادر فراشه ، ويتنقل فى مخدعه معتمدا على عصا ٠ وكان قليل الكلام ٠٠ ولوحظ أن ولى العهد لم يفارقه قط ، وان الود شملهما

وفى اليوم الحادى عشر ، ظل الملك فى مخدعه مستبقيا ولى العهد ، ودوقة برانكا ـ الصديقة الحميمة لمدام بومبادور ـ وبعض المقربين من الحاشية ٠٠ وكان الباقون قد ذهبوا لتناول العشاء ، وخلت أروقة القصر وردهاته ٠ وأخذ الملك يتنقل فى غرفته معتمدا على عصاه ، لا يكاد يستقر ٠ وأخيرا ، أشار لولى العهد فانحنى محييا وغادر الحجرة ٠٠ ثم أشار لدوقة برانكا ، فلما همت بالانصراف ، استوقفها وسألها أن تعيره الوشاح الذى كانت تلفه حول جسمها ، فألقى به على كتفيه ، وسار بضع خطوات ، ثم حياها وغادر الحجرة ٠ وهم ولى العهد ـ الذى كان منتظرا فى الخارج ـ أن يتبعه ، فقال له : « لا ٠٠ لا تأت معى » ٠٠

وتبادل الباقون نظرات حافلة بالمعانى ٠ ومع ان الجوع كان يغرى الجميع بأن يقصدوا الى قاعة الطعام ، الا أن الفضول كان أقوى ، فظلوا فى أماكنهم يترقبون ٠٠ وانقضى وقت طويل قبل أن يعود الملك ، وبدا كما لو كان قد ارتد رجلا آخر ، هادىء النفس ، كثير الكلام والضحك ٠٠ ولم يعد من شك فى أنه كان عند الماركيزة ، وانها فى هذا اللقاء قد سرت عنه ، حين أكدت له أن الشاب الذى اعتدى عليه مجنون ، وانه لم يكن أداة للشعب ولا لأى حزب

أو جماعة .. وأن الدولة بأسرها فى جزع ، وأن أهل باريس يودون أن يفتكوا بالرجل لولا أنه بعيد عن متناول أيديهم !

النهاية تقترب !

◆ ولاندرى عن حياة مدام بومبادور الخاصة ـ بعد بدء حرب السنوات السبع ـ شيئا كثيرا ، اذ أنها اعتكفت فى جناحها منصرفة الى العمل مع الملك ووزرائه.. ولم تعد ترى فى المناسبات العادية فى البلاط الا نادرا . بيد أن القدر الذى نعرفه عنها فى تلك الفترة ، يبعث على الأسى .. فقد ذبل جمالها ، وانهارت صحتها ، واشتدت العلة على قلبها ، وأصبحت تعانى ألما مستمرا ، زاد من وطأته ما كان يقلقها من تطورات الاحداث العامة .. اذ كانت أوربا بأسرها قد سئمت الحروب ، مما شجع فرنسا على مفاوضة انجلترا ، فانتهيتا فى ١٠ فبراير سنة ١٧٦٣ الى توقيع معاهدة فقدت فيها فرنسا ما كان لها فى الهند ، والشطر الاكبر من مستعمرتها فى كندا !

وكانت حرب السنوات السبع وما لازمها من هزائم وهوان لفرنسا مصدر عذاب لمدام بومبادور .. وبينما كانت صحتها فى انهيار ، أخذت روحها المعنوية فى الانحدار . بيد أنها كانت تتذرع بأهداب الشجاعة أمام الملك والحاشية ، فتضحك وتمزح ، حتى اذا خلت الى نفسها ـ كما روت وصيفتها ـ عز عليها النعاس ، وراحت تبكى .. كانت أكثر قلقا وهما من الملك ، ازاء العواقب المرتقبة للتطورات السياسية .. وكانت طيلة سنوات الحرب السبع تتشبث بالامل فى أن تخرج فرنسا والملك من المعمعة مكللين بالظفر والمجد ، فاذا كل شىء ينهار فى حمأة العار .. فراحت تردد : « لو أننى مت ، فانما أموت حزنا ! » ..

ولم يتأخر الموت عنها طويلا . ففى ذات مساء ، كانت مع الملك فى (شوازى) ، فانتابها صداع عنيف ، جعلها تستعين بخادم الملك على الوصول الى مخدعها .. واحتقنت رئتاها .. وعاشت أياما بين الموت والحياة ، مما اضطر الملك الى ارجاء عودته الى (فرساى) ليبقى الى جوارها .. حتى اذا بدا عليها شىء من التحسن ، عمل على نقلها الى (فرساى) رغم أن القاعدة المتبعة كانت تقضى بتفادى أن يموت أى شخص من غير الاسرة المالكة فى قصر (فرساى) ..

وكان الجو قاسيا ، شديد البرودة والقتامة والرطوبة ، مما زاد صحتها سوءا . . وكان الملك لايكاد يفارقها فى تلك الايام القلائل الاخيرة . . وكانت لا تستطيع التنفس اذا استلقت على ظهرها ، لذلك كانت تقضى الوقت جالسة فى مقعد .. وكانت تأمر بأن يوضع بعض « الروج » على وجهها ، وتبسم فى وجه كل مخلوق ، ولا تسمح لأنة ألم أو شكوى بأن تفلت من بين شفتيها !

وعندما أعلن الاطباء أنها تحتضر ، سألت الملك اذا كان لها أن تدلى باعترافها لقس .. ولم تكن جد راغبة فى ذلك ، اذ كان معناه أن تحرم من رؤية الملك ثانية . ومع ذلك فقد حبذ الاعتراف ، وودعها الوداع الاخير ، ثم صعد الى غرفته ..

وجاءها القس ، فنصحها بأن تستدعى زوجها « ديتوال » ، وفى الحال أمرت بذلك اطاعة له .. بيد أن زوجها التمس أن يعفى من الحضـــور ، فأدلت باعترافها للأب ، وتلقت الصفح !

وكان اليوم التالى « أحد السعف » ، فقضاه الملك بطوله فى الكنيسة .. وأخيرا ، قالت للأوفياء الذين ظلوا معها : « ها هو ذا قد دنا يا أصدقائى ، وأرى أن تتركونى أخلو لنفسى »

وأشار القس للحضور فانصرفوا ، حتى اذا هم هو الآخر بالخروج ، قالت له : « لحظة واحدة .. سنخرج معا ! » .. وأسلمت الروح على الفور !

ولى العهد يعترف لها بالشجاعة !

◆ وكتب ولى العهد ـ ألد أعدائها ـ الى أسقف فردان يقول : « انهـــا تحتضر بشجاعة ندر أن تتوفر لأحد من الجنسين . ان رئتيها مليئتان بالماء ، أو القيح ، والقلب محتقن ، أو متمدد . انها ميتة قاسية ، أليمة ، الى درجة لا تخطر ببال .. » .. وكتب « فولتير » يقول : « شد ما أنا حزين لوفاة مدام بومبادور .. ما أقسى أن نرى عجوزا شوهاء ، لا تكاد تقوى على السير ، باقية على قيد الحياة ، فى حين يقضى على امرأة جميلة ، فى منتصف حياة مجيدة ، أن تموت فى سن الاربعين . . لقد ولدت وفيـــة ، وأحبت الملك لذاته . . وأوتيت روحا منصفة ، وقلبا منصفا .. وليس كل هذا بالشىء الذى نلقاه فى الحياة كل يوم .. انها نهاية حلم ! »

ومع ان الملك كان قديرا على كتمان كل شعور يخالجه ، الا ان عارفيـــه ، لمحوا فى ثنايا مظهره الاسى والشقاء .. وقال خادمه الخاص انه قضى ليالى كثيرة لا يكاد يحظى بنوم .. وكتب الى زوج ابنته ، أمير أسبانيا ، يقول : « لقد انتهى قلقى ، بأبشع الطرق وأقساها .. وأظنك تحدس ما أعنى » !

وفى اليوم الذى شيعت فيه الى مقرها الأخير ، أخذت عاصفة جليدية تحوم حول القصر ، فقال الملك : « ان الماركيزة تبدأ رحلتها فى جو سىء » ! .. وعندما تحرك موكب الجنازة ، أغلق خدمه مصاريع نوافذ غرفتـه اشفاقا عليه ، ولكنه أمسك بذراع خادمه الخاص ، وجذبه الى شرفة فى طرف من غرفته ، ووقف يرقب « الماركيزة » فى رحيلها .. وظل واقفا فى الجو الزمهرير ، دون معطف أو قبعة ، حتى غابت عن بصره ، ثم تحول والدموع تنهمر على خديه قائلا : « هذه هى التحية الوحيدة التى أملك أن أؤديها لها » !

.. ورانت على قصر (فرساى) بعد ذلك ، كآبة غامرة ، ضافية !

الحياة قصة



روائع القصص العالمى

عزيزى القارىء ...

قرأت معى فى الاعداد الماضية قصص : ◆ أموك : لستيفان زفايج ◆ قلب عذراء : جون جالزورثى ◆ مرتفعات وذرنج : اميلى برونتى ◆ التلميذ : بول بورجيه ◆ أحدب نوتردام : فيكتور هوجو ◆ جريمة حب : بول بورجيه ◆ جين اير : شارلوت برونتى ◆ أيام بومباى الاخيرة : لورد ليتون ◆ مانون ليسكو : الاب بريفو ◆ حديقة الله : روبرت هتشنز ◆ عندما تحقد المرأة : جورج أونيه ◆ آسيا : ايفان تورجنيف ◆ كاس تمبرلين : سنكلير لويس ◆ الشيطان على الارض : برتراند رسل ◆ رسالة من مجهولة : ستيفان زفايج ◆ الحب الاول : تورجنيف ◆ تاييس : أناتول فرانس ◆ بلاد العميان : هـ.ج. ويلز ◆ نادى الانتحار : روبرت لويس ستيفنسون ◆ كوخ العم توم : هاربيت بيتسر ستو ◆ الزوج والعشيق: سومرست موم ◆ البوهيمية : هنرى مرجيه ◆ فتاة لها ماض : بول بورجيه ◆ شيرى : كوليت ◆ الجريمة والعقاب: دستويفسكى ◆ لحن كرويتزر: تولستوى ◆ أميرة مصر : جورج ايبرز ◆ الامطار: سومرست موم ◆ افروديت : بييرلويس ◆ جيجى : كوليت ◆ الشيطان فى الجسد : ريموند راديجيه ◆ ليبوريللا : ستيفان زفايج ◆ كانديد : فولتير ◆ أشجان فرتر : جيته ◆ فرانشسكا : موباسان ◆ لوريت : ألفريد دى فينى ◆ المعطف : ن . جو جول

واليوم ، أقدم لك القصة التالية للكاتب الفرنسى «مارسيل بريفو»



يوميات زوجة

للكاتب الفرنسي الكبير «مارسيل بريفو»

ترجمة : الدكتور محمد غلاب

٢٠ مايو :

◆ **لماذا** أنا مكتئبة ومحزونة ؟ لماذا أحس بقلبي مفعما « باسوداد » بشع ، كما كانت تقول الام « ملكة الملائكة » ـ رئيسة الدير الذى نشأت بين جدرانه ـ فى تلك الايام السعيدة التى لم أكن مشغولة فيها الا بشواغل فتيات الدير ، قبل أن أتزوج و .. ماذا كنت سأكتب ؟ ان كل سعادتى اليوم تنحصر فى أنى أم ، كل سعادتى اليوم هى عزيزى « رينيه » الصغير ، الذى يبلغ من العمر تسعة عشر شهرا ..

كانت الام « ملكة الملائكة » قد وضعت هـــذا الاسم ، « الاسوداد » ، لتنعت به الأشياء المتموجة الثقيلة المظلمة التى تضغط على القلب دون أن يعرف أحد ما هى ، ولا من أين جاءت !.. وكانت قد ابتدعت علاجا لمقاومة هذا الاسوداد ، هو أن يعتزل الانسان الناس ويأوى منفردا الى غرفته ، وفى يده قلم وورقة بيضاء ، وأن ينظر بعناية فى أعماق نفسه .. فبفضل المداومة على هذا الاختبار يصل الانسان دائما الى تبين مأتى ذلك الاسوداد مختبئا فى زاوية من زوايا قلبه ، اذ كلما لمح الانسان سببا من هذه الاسباب قيده فى تلك الورقة بقدر ما يتيسر له من ايضاح .. فاذا ما تمت كتابة هذه النقط ، وجب على ذلك المحزون أن يتأمل فيها جميعـــا فى شىء من الروية والتدبر ، حتى تتكشف له الاسباب الغامضة التى نشأ عنها حزنه وأساه !

ولقد كنا نفعل ذلك كلما ألم بنا الحزن ، وكنا نجتهد دائما فى أن نجد الدواء لكل اسوداد .. وكانت هذه العملية تنجح دائما فى اعادة الهدوء والتفاؤل الى نفوسنا .. واحر قلباه ! انى كلما خطوت فى مسالك هذه الحياة التى يدعونها بالحياة الزوجية ، ألمح أنها مليئة بمظاهر العبث ، والضعف ، والتعاسة .. وليس لذلك من سبب سوى أننى لم أعد أتمسـك بتلك

الالتزامات الحكيمة التى تلقيتها فى الدير ! ولو أن مثيلاتى من السيدات الارستقراطيات استطعن أن ينقلن تلك النصائح النفيسة الى حياتهن الاجتماعية والزوجية ، لخلقن من أنفسهن نساء مثاليات ..

.. ولكن الوقت لم يفت لمن أراد أن يعمل خيرا ، كما يقول المثل .. فلنحاول تجربة دواء الأم « ملكة الملائكة » ، ولأطبقه على حالتى الخاصة . ها هى ذى الورقة البيضاء أمامى ، وها أنذى أمسك بقلمى وأجلس الى مكتبى :

أنا « جنيفييف أوليفيه » - تلميذة الدير سابقا - أو « الكونتة دى بواستيل » بحسب ما أدعى اليوم .. وقد بلغت الثانية والعشرين من عمرى ، ومضت على زواجى ثلاثة أعوام ..وانى متمتعة الآن بحب طفل أعبده ، وبزوج خبيث فاتن ، أعبده أيضا مع الاسف الشديد !

ان الطفل نائم الآن ، ومربيته الانجليزية بجانبه .. و «راءول» - زوجى - فى النادى (فى الساعة الثالثة بعد الظهر ، وفى يوم الاحد ! .. وعلى كل حال ، فلنصدق ذلك مؤقتا) .. والذى لا شك فيه أن أحدا لن يعكر على صفوى قبل مضى ساعتين ، فلأحاول أن أحصى أنواع الاسوداد التى فى نفسى الآن :

١ - ان اليوم يوم الاحد ، وهو عندى يوم حزين ، ولاسيما فى الساعات التى تفصل بين وقت الغداء ووقت العشاء .. وفوق ذلك فان الجو حار جدا ، وأنا عندما تشتد الحرارة أحس كأنى لا أحيا فى هذا الوجود !

٢ - ان بشفة طفلى دملا صغيرا .. وعلى العموم فان الطفل يقلقنى منذ أسبوع ، اذ ألاحظ أنه ممتقع قليلا ، ودرجة حرارته تزيد عن الحد الطبيعى ، ومربيته تقول انه لا ينام نوما هادئا !

٣ - ان «وايت فيرن» لم يوفق فى صنع ملابس السفر التى كان يخيطها لى ، بالرغم من محاولاته المتكررة ! وبعد عشر

تجارب ، بعثها الى اليوم قبل أن أستيقظ من نومى ، ولا شك أنه فعل ذلك متعمدا كى لا أجربها فألاحظ أخطاءها الجديدة وأعيدها مع العامل نفسه ! ٠٠ واننى لأبدو فى هذه الملابس «مرعبة» ومضحكة ، فعندما ألبسها أظهر كأننى أمثل دور سائق المركبة فى احدى روايات «البولفار» الهزلية ! ولا ريب أن هذا أمر سخيف ، سيكون سببا فى تأجيل رحيلى الى « تالوار » !

٤ ـ وأخيرا فان الاسوداد الحقيقى الذى يملأ نفسى والذى هو جدير بأن يعد كنتيجة للتفكير الطويل هو أننى غيورة ، وغيورة بصورة مزعجة ! ولكنها ليست غيرة غبية حمقاء ، لا مبرر لها الا التلذذ بعذابى وعذاب زوجى ، كلا بل ان لدى أسبابا قوية ومبررات جدية لهذه الغيرة :

فقبل كل شىء لم يعد «راءول» يحبنى ! ومع ذلك فلو أنى مت ، لسبب له موتى حزنا ! ٠٠ بيد أنى أعتقد أن عاطفته نحوى تقف عند هذا الحد ، اذ من الواضح أنى أضايقه ، وانه يتمنى أن يكون حيث لا أكون ! (انى أجرح قلبى بيدى عندما أكتب هذه الكلمات ، ولكن العلاج الذى أنشده محدد الوسيلة ، وهى أن من أراد أن يعرف كنه الاسوداد الذى فى نفسه ، فعليه أن يكون صريحا ومخلصا ، الى حد القسوة !) ٠٠ انه لمن أفظع الامور ألا تروق المرأة في عين زوجها ٠٠ ولكن ليس هذا كل شىء ، فان «راءول» يروقه شىء آخر فى الخارج ! ٠٠

أوه ، اننى لا أدرى بالضبط من هى تلك التى سلبتنيه ، ولا الى أى حد استحوذت عليه ـ آه لو كنت أدرى ! ـ بيد أن الذى لا شك فيه هو أنه مسلوب الآن منى ٠٠ ان شكوكى تتردد بين آنسة وسيدة شابة ! آنسة ؟ هل يمكن أن تدعى امرأة من هذا النوع ب « آنسة » ـ تلك الكلمة نفسها التى كانت تطلق علينا فى الدير ، نحن الطاهرات البريئات الحبيبات المحصنات من كل دنس ؟! ـ أما تلك الفتاة فهى الآنسة «لوس دى جيفرنى» ، وهى واحدة من هاتيك الشابات الباريسيات

اللواتى انغمسن فى الحياة الاجتماعية الى حد الابتذال ، واللواتى نقلن الينا العادات الامريكية بعد أن جردنها من الكرامة واحترام الذات ، (لأن الامريكيات ـ وان بدا عليهن المجون والخلاعة ـ يعرفن كيف يدافعن عن أنفسهن عند الاحساس بالخطر !) ٠٠ والآنسة «لوس دى جيفيرنى» تخرج للنزهة فى المركبة وحدها، وأحيانا يصادفها بعض الناس فى معرض رسام مع شاب يشرح لها اللوحات ، (وما دامت مركبة والدتها الفخمة تنتظرها أمام باب المعرض ، فهذا يكفيها كشهادة بحسن سلوكها !) ٠٠ وفى المرقص تختار راقصا يلائم مزاجها ، ثم تختلى واياه بعد الرقص فى زاوية بعيدة عن أعين النظارة ، وتحتفظ به طول السهرة ٠ وفى حفلة أسرة « أفرزاك » أمس الاول كان زوجى هو الذى وقع عليه الاختيار ! ٠٠ ومع ذلك فقد بدا هذا الزوج مدهوشا حينما اعترتنى النوبة العصبية فى المركبة ونحن عائدان الى المنزل !

وكما أن الآنسة « دى جيفيرنى » تخيم كسحابة على أفق حياتى ، كذلك تلوح من خلال هذا الافق سحابة أخرى ، هى « مدام ديلافو » زوجة الرسام ، وهى سمانة صغيرة ، شقراء بيضاء مشربة بالحمرة كأنها وردة ! انها لجميلة ، بل قد تجاوزت حد الجمال !٠٠ لماذا نستقبل فى طبقتنا أشخاصا ليسوا منا فى شىء ، كديلافو وزوجته وأمثالهما الذين كانوا ـ قبل أن نرفعهم الى صفنا ـ يتناولون طعامهم فى حوانيت الجبن والزبد ، ويرقصون فى المراقص العامة ، ويعملون كصناع فى معارض الرسامين ؟! من أين جاء هذا الرجل بزوجته هذه ؟ يخيل الى أنه طالما اتخذها نموذجا لصوره زمنا طويلا قبل أن يتزوج بها ، وان حياتهما معا سبقت عهد زواجهما بوقت غير قصير ! ٠٠ **بيد أنهما قد استقبلا مع ذلك بالترحيب فى عالمنا الارستقراطى ، لأن الزوج موهوب وحاضر النكتة ، فوق أنه قد أصبح ثريا ، ولأن الزوجة جميلة الى حد**

أنها تستطيع ــ بلمسة أو بايماءة ــ أن تسحر الرجال فتحولهم الى ٠٠ حيــوانات !٠٠ انها قد أغرت زوجى ــ وليس هــذا بغريب ، فكل النساء يحاولن اغراءه ! ــ يا الهى ، لقد كنت أتمنى أن يكون زوجى أقل فتنة منه الآن ، ولو كان كذلك لكان حبى اياه مساويا لحبى الحاضر، ولكانتمحاولة سلبه منى أقل وطأة وخطورة على كيانى مما هى الآن !

ظلت اذن « مدام ديلافو » نحو خمسة عشر يوما تحاول اغراء زوجى ، كما تفعل معه النساء الأخريات ٠ وقد كان «راءول» أثناء هذه الايام بادى الافتتان والسرور ، ولكنهما لم يلبثا أن غيرا خطتهما فلم يعودا يتحدثان معا ــ كأن القطيعة قد تمت بينهما ! ــ أما أنا فحين رأيت هذه القطيعة الظاهرية كنت أشبه بالحيوان ، غباوة وبلادة ، فأخذت أحدث نفسى وقد استحوذ على سرور طاغ : أية سعادة ! انهما لم يتحابا قط ، ولقد كنت مخدوعة فى هذه الريبة !

٠٠ بيد أن والدتى ــ التى كانت دائما بعيدة النظــر ، وكانت هى التى تنبئنى قبل كل انسان بما يفعل « راءول » معى من شر ، وتفهمنى متى ينبغى أن أغضب ! ــ قالت لى : « احترسى ، انهما لم يعودا يتضاحكان أمام الناس كما كانا يفعلان قبل الآن ، ومعنى هذا أنهما يستعيضــان عن ذلك بالخلوة فى مكان آخر ، فراقبى زوجك ! »

٠٠ وعلى أثر هذه النصيحة ألقيت على والدتى هذا السؤال:

ــ اذن فليس مصدر الاغراء هو الآنسة «جيفيرنى» ؟

ــ واحترسى أيضا من «جيفيرنى» !

ونتيجة هذا كله أننى أتألم ألما مزعجا !

هذه هى مجموعة أسباب الاســوداد التى تحتل نفسى ــ ولست ألمح غيرها ــ واذن فالامر يتعلق الآن بمناقشة هذه النقط وبمحوها اذا كان ذلك مستطاعا ٠ وسوف لا أقف طويلا عند النقطة الأولى : فيوم الاحد ، وحرارة الطقس ، ظاهرتان

يمكن اسنادهما الى القدر ، والتخلص منهما سهل . فأما الحرارة فانى أستطيع اتقاءها باغلاق النوافذ المعرضة للشمس، وأما بقية نهار الاحد فانى أستطيع أن أقضيه فى الاستماع الى الاناشيد الدينية فى الكنيسة ، وفى هذا خير شاغل للوقت ومنس للضجر ..

أما النقطة الثانية أو الاسوداد الثانى ، وهو توعك الطفل، فان الدكتور «أرنو» قد أعلن أنه لا يوجد لديه ما يخيف .. ومع ذلك ، فلما كان وباء الجدرى منتشرا فى المدينة ، فقد اعتزمت أن أكتب الى الدكتور « روبان » الذى لى فيه كبير الثقة لأرجوه أن يجىء غدا لفحصه ..

أما الاسوداد الثالث ، وهوالملابس التى فسدت ، فسأتخلص منها بردها الى « وايت فيرن » .. وسأنبئه بأننى لن أحتفظ بها ، واننى مستعدة لأن أقبل منه الشروع فى غيرها ، وفى مدى خمسة أيام ستكون الأخرى قد أعدت . وبناء على ذلك لن يتأخر سفرى الى « تالوار » مطلقا ..

وبعد هذا كله لم يبق الا الاسوداد الأساسى ، وهو زوجى أو « راءول » الخبيث ! .. أيتها الام الخيرة « ملكة الملائكة » ، الهمينى فى هذا الموقف أن أكون زوجة متعقلة ومتدينة . انك تفهمين تماما أننى لا أستطيع أن أقبل بسرور أنأكون مهجورة من أجل امرأة مثل «مدام ديلافو» ، أو فتاة كالآنسة «جيفيرنى» .. سيما واننى لا أجد فى نفسى ما أستحق عليه التأنيب : فاننى أحب « راءول » ولا أفكر الا فيه ، وفوق ذلك فأنا لست دميمة ، بل انى أؤكد لك أيتها الام أن كثيرا من الشبان قد حاولوا اغرائى منذ اندمجت فى المجتمع ، فلم يفلح واحد منهم فى ذلك مطلقا ! فهل من العدالة أن يمعن زوجى فى عدم الاكتراث بى ، كلما أحس أننى ملك له ؟ وهل ينبغى اذن الا أشعره بحنانى نحوه ، وأن ألهب غيرته ، على نحو ما هو مألوف فى المهازل التمثيلية ؟ كم يقززنى ذلك ! كلا ، اننى لن أقف

- ولو فى الظاهر - موقف المرأة الساقطة ، كى أجتذب حب زوجى ! ٠٠ غاية ما فى الامر أننى سأراقب قلبى ، وأفهم « راءول » حزنى ، ولكن لا بواسطة الدموع ، بل عن طريق السكوت وتجنب مظاهر المودة ! ولا ريب أن هذا سيكلفنى كثيرا ، وسيكون شاقا على نفسى ، ومع ذلك فهو الذى ينبغى عمله : سأعامل زوجى منذ اليوم بفتور ، وبخضوع ، فحسب ! والآن ماذا أستطيع أن أعمل ضد عدوتى اللدودتين : الآنسة « دى جيفيرنى » ، و « مدام ديلافو » !؟ أنا لا أريد أن أمثل معهما أدوار « فضيحة » علنية طبعا ، وفوق ذلك فان «راءول» - على الرغم من صلته الشائكة بهاتين المخلوقتين - لا يزال زوجا مهذبا لا يؤخذ عليه شىء فى كل ما يتصل بى ! ولو أننى أردت أن أمثل منظرا عاما من هذه الفضيحة لما مكننى من فرصة تمثيله ! واذن فلم يبق أمامى الا أن أحتمل ! ولكن كلا ، فأنا لا أستطيع ذلك الاحتمال ، لأنى لست بطلة الى الحد الذى أقبل معه أن يخدعنى زوجى - ولست أحسب أن الله يكلفنى ذلك ، فان لى الحق فى أمانة زوجى ، فاذا لم تتحقق لى هذه الامانة ، فاننى أفضل أن أحيا وحيدة مع طفلى العزيز الذى قد يعزينى عما أقاسيه !

ها أنذا قد صممت على أن أعرف الحقيقة ، فاذا كانت شديدة القسوة فانى سأرجو من والدتى أن تصحبنى وطفلى الى ممتلكاتنا فى الريف لنعيش معا هناك ٠٠ ولكن كيف أعرف هذه الحقيقة ؟٠٠ **لقد تسلمت منذ أيام كتابا واردا باسمى ، ففضضته أمام زوجى - ولم أكن أعرف ماذا يحوى - فاذا به آت من مكتب البوليس الخاص ، يعرض على أن يراقب زوجى اذا أردت ذلك ، ليرى ان كانت له صلة خفية باحدى السيدات أم لا ؟٠٠ وبعد أن قرأت هذه الرسالة ناولت زوجى اياها ، فألقى عليها نظرة متقززة ثم دعكها وقذف بها الى الأرض ! ولقد كان مخطئا فى**



هذا الغضب ، لأنى لن ألجأ أبدا الى مثل هذه الطريقة ، وانما سأراقبه بنفسى كما يراقب القائد الجندى المتهم بأن نفسه تحدثه بالتفريط فى واجبه العسكرى ! حقيقة انه ليس لديه ما يخشاه منى من حيث فض رسائله أو تفتيش أدراج مكتبه، ولكن ما دام للمرأة أن تتبع زوجها فى أى مكان، وما دام ليس للرجل أن يذهب الى أى موضع دون أن يصطحب زوجته معه ، فليحذر هذه النتيجة ، اذ قد يذهب يوما من الايام ملبيا أحد مواعيده ، سعيدا باحدى تلك المسرات المسروقة التى أقرؤها فى عينيه أو فى صوته ، أو فى حركاته ، فاذا وصل الى مكان ذلك الموعد ، ألفانى هناك ٠٠ ووقف أمامى وجها لوجه !

هذا هو أقصى ما هدانى اليه تفكيرى ، وهو لم يعزنى ، ولكنه ساهم فى تهدئتى قليلا ، وسأغادر الآن مكتبى لأنظر هنيهة من نافذة غرفتى المطلة على الطنف ، لأننى أريد أن أتنسم هواء المساء الرطيب ، فلقد فكرت طويلا ٠٠ والآن قد احتجبت الشمس خلف أشجار الكافور التى تنتصب فى حديقة المنزل كأنها سور عظيم ، وعندما تختفى الشمس من الحديقة يسود جوها هواء فاتر لذيذ ٠ ان الطقس الآن بديع ، وان هذه الحديقة وهذا المنزل لمن الاشياء النادرة التى يحسد عليها فى وسط باريس ٠ كم لدى من الاسباب الظاهرية التى تجعلنى أتذوق الحياة وأسعد بها : أسرة عطوفة ، وزوج رشيق ، وطفل محبوب ، وفوق ذلك فجميع رغباتى محققة ٠ آه ! لو أن تينك

العينين الزرقاوين ، وتينك العينين الســـوداوين ، لم تكن موجودة ٠٠ لعبدت الحياة !

أنا لست شريرة ، ولكن لو أننى كنت أستطيع أن أطفىء نور هذه الأعين الاربع بهدوء ، دون أن أولم صاحبتيها ، ودون أن أحزن الذين يحبونهما - وأقصد طبعا الذين لهم الحق فى حبهما - اذن لفعلت !

- ٢ -

٢٦ مايو :

◆ ها أنذى منفردة هذا المساء أيضا ، شأنى فى كثير من أمسيات هذا العام ، فأين « راءول » الآن يا ترى ؟

لم أسأله هذا السؤال ، لأنى تعبت من كثرة الكذب المستمر السهل على لسانه ، ومن تشابه الجواب دائما ، وهو : « انى ذاهب الى النادى » ! بيد أننى ينبغى أن أكون منصفة ، ففى هذا اليوم وضع نفسه تحت تصرفى وعرض على أن أصحبه الى منزل أحد أصدقائنا حيث تمثل رواية « الضابط » الهزلية ، ولكنى علمت أن الآنسة « دى جيفيرنى » ستمثل فى هذه الرواية دور « الساذجة العصرية » ، فسلبنى هذا النبأ كل رغبة فى مشاهدتها ! أما « راءول » فهو لا ريب ذاهب اليها - وكذلك « مدام ديلافو » من غير شك - وهو فى هذه اللحظة بجانب احداهما ، يلقى على صدرها تلك النظرة التى هى مزيج من الاعجاب والسخرية ، والتى يلقيها دائما على النساء اللواتى يشتهيهن ولا يحترمهن ٠٠ أما أنا ففى الوقت الذى كان يحبنى فيه لم يكن يلقى على مثل هذه النظرات الساخرة ، ومع ذلك فلا ينبغى أن أفكر فى شىء من هذا ، اذ لدى ما يعزينى وينسينى كل شىء ، وهو طفلى العزيز ، ولقد أذنت لمربيته الليلة فى أن تخرج لنزهتها الاسبوعية ، واذن فأنا التى سألاحظه فى سريره ٠ انه نائم الآن على ظهره ، وهو يضغط شفتيه ويزقزق من حين الى آخـــر كالعصفور الصغير ، فيجب ألا نوقظه ، لأنه اذا استيقظ من نومه الاول لا يغفو الا حين يجىء موعد نومه الثانى - فهو ينام بنظام وفى أوقات معينة - وكثيرا ما تقول لى مربيته : « ان الناظرين اليه فى الحديقة العامة يقدرون له أكثر من سنه ! » ٠٠ ولعلها تقول ذلك لتسرنى ، لاننى أتمنى أن يكون أطول الاطفال ، وأقواهم ، وأجملهم ، واذكاهم من غير استثناء ! ٠٠ فهذه هى كبرياء الأم وأنانيتها ، وهى كبرياء مباحة وأنانية مشروعة فيما أعتقد ٠٠

ما ألذ لغة « رينيه » المتعثرة فى مسمعى ! لقد تقدمت صحته قليلا منذ بضعة أيام ، ومع ذلك فالطبيب يجىء ليعوده فى كل صباح ٠ واليوم لم استطع

أن أحصل منه على جواب صريح يطمئنني على صحته كما كنت ارجو . وكلما افكر فى ضعف صحة هذا المخلوق المعبود ، وأتخيل أن حمى خبيثة تستطيع أن تختطفه منى فى بضع ساعات ، أصير على أتم استعداد للجنون ! وعلى أثر هذا الخيال أنتصب واقفة وأجرى الى مهد الصغير دون أن أشعر ، ولا أطمئن الا حين أرى أنفاسه تحرك الغطاء بنظام ، أو أرى فمه الحالم يلوك فى هدوء لغة النوم . وفى أثناء ذلك كله ، وحين أكون ساهرة بالقرب من سرير طفلى ، يكون « راءول » مشغولا بالحصول على وعد من « مدام ديلافو » ، أو بمحاولة الاختلاء بالآنسة « جيفيرنى » ؛ لان الامر انتهى بى الى أن أومن بأن هـذه المغازلات لم تعد بريئة طاهرة ، فتجاربى الشخصية من ناحية ، وآراء والدتى من ناحية أخرى قد أزالت من نفسى تلك السذاجة التى كانت تغشاها الى عهد قريب . لقد كانت والدتى تقول لى دائما : « اذا لاطف زوجك سيدة ، فكونى على يقين من أن الفرق بين المغازلة والخيانة ينحصر فى غيبة الامكان المادى ، فاذا تيسر هذا الامكان زال ذلك الفرق ! » .. آه من المغازلة ! تلك الكلمة المرعبة المنافقة التى تخفى تحتها كثيرا من المزعجات التى كلما أسمعها تنطق امامى ارتاع كما لو انى أسمع احدى الكلمات الوقحة الجارحة !

.. ولكى أمضى الساعات التى سأقضيها ساهرة الى جانب سرير الطفل ، دخلت حجرة تدخين زوجى التى يستقبل فيها أصدقاءه الاخصاء ، لأتصيد منها بضع صحف أو مجلات أتلهى بها ، فوجدت « الفيجارو » و « جيل بالاس » و « الجولوا » و « الكلمة الحرة » ، فجمعتها لأتصفحها ، بيد أن « راءول » ـ لتفريطه فى النظام وافراطه فى حسن النية ـ كان قد ترك حلقة مفاتيحه معلقة فى درج المكتب ، ولكن هل فتنتنى هذه الفرصة فخطر لى أن أتعقبه ؟ لا أعتقد ذلك ، بل ان الذى استولى على فى تلك اللحظة هو حب الفرار من هذه الفتنة ، ومن ثم نجوت بنفسى نقية اليدين وعدت الى حجرتى . وفى الحال دعوت الخادم جوزيف ـ وهو أخلص الخدم الى زوجى ، لأنه فى خدمته منذ كان صبيا ، ولهذا كان يعادينى ! ـ فلما جاء أمرته بأن يأتينى بالصحف ، فأتى بها ونزع المفاتيح ، وهذا هو الذى كنت أقصده لأنجو من تلك الفتنة الخلقية !

فلنقرأ الصحف لنتسلى بها . ان بعض هذه الصحف يضايقنى ، لأنها جدية جافة ، أما البعض الآخر الذى يستعذبه شباننا من الاخوة والازواج فهو ما لا أتذوقه ولا أفهمه . وهناك عدد من الصحف تؤلمنى مطالعته ، لأنى أرى فيه تشويه الأخلاق أو جرح الفضيلة . ومن هذا النوع الأخير هذه الصحيفة التى يقول عنها « راءول » انها تعنى بأخبار النوادى والحفلات ، وأنباء النسـاء الماجنات . وفى الواقع انها كذلك ، حيث أرى فيها الآن هذا العنوان : « الرجل الذى قتل كلبه بعد موت زوجته ! » . ولا شك أنى لا أفهم هذا النوع الشائك

من الاخبار ولا أستحسنه . وهناك نبأ آخر فى هذه الصحيفة يحدثنا انه قد لمحت أمس فى غابة بولونيا الآنسة « ايرماديكلوزييه » و «مارجريت ديبورجوني» و « ميس شامبانى » . ولست أدرى من الذى يأبه لهذا النبأ الذى استنفد اثنى عشر سطرا ؟ انهم ولا ريب عشاق أولئك النساء ، ولا بد أن يكونوا كثيرين ، والا ما اكترثت هذه الصحيفة بارضائهم ! فأما السياسة فسنتخطاها ، ولنستعرض أنباء الحوادث المختلفة : ها هو ذا نبأ عنوانه : « سيدة غيور تطلق المسدس على زوجها ! » .. مسكينات أولئك الزوجات المهجورات . انهن يوجدن فى جميع الطبقات ، من أعلاها الى أدناها ، ولكن كيف يستطعن الاصرار على قتل من أحببن ؟!

والآن لنلق نظرة على رسائل القراء التى يتخاطبون بها عن طريق الصحيفة ففيها شىء من التسلية ، لأنها تحوى طائفة كبيرة من المآسى والمهازل ..

وبينما أنا أقرأ هذه الرسائل ، اذ رأيت الدنيا تضطرب فى عينى فجأة ، وأحسست كأن قلبى يتشرب كل ما فى جسمى من دم ، وسقطت الصحيفة من يدى ، ومال جسمى على المقعد بعد أن فقد توازنه الطبيعى ، وظللت كذلك ساعة من الزمن ، فلما عدت الى نفسى تناولت الصحيفة من جديد وحدقت فى نفس السطر الذى قلبت كيانى مطالعته ، وكان يشتمل على ما يلى : « ر . سرور ! غدا مساء السبت . انى نجحت فى أن أتخلص من هذا الريف المزعج وسأكون فى العش المختار فى الساعة العاشرة مساء ، ولكن لا تجىء الا اذا كنت قد قررت أن تكون عاقلا » .
سوز



لماذا اقتنعت فى الحال ولأول وهلة أن حرف الراء رمز لراءول زوجى ، وأن «سوز» هى «سوزان ديلافو» ؟.. لم يكن للادراك أو المنطق صلة تؤيدهذا اليقين ، اذ لا أعرف أن « مدام ديلافو » غائبة عن باريس ، بل اننى قلت لـ «راءول» ، وأنا أحاول المزاح قليلا ، انك سترى فى حفلة الليلة « سوزان الجميلة » ، فابتسم ابتسامة لم تلبث أن اختفت خلف لحيته السوداء .. ولم يحاول الدفاع عن نفسه !

فهل كان يجهل غيابها ، أم كان يسخر منى ؟ لا أدرى، ولكن الذى أنا

واثقة منه هو أن هذه الرسالة الصغيرة موجهة الى «راءول» من «مدام ديلافو» ، وانى موقنة بهذا يقينا لا يقبل الجدل ، ربما عن طريق خفى . انى أعيد قراءة تلك السطور المرعبة كلمة كلمة ، فتبدو لى كل عبارة من عباراتها كأنها كائن حى . يا لله ! انها تبدأ بهذا اللفظ الماجن : « سرور » .. حقا انه لسرور لها حينما تنفلت من زوجها معتذرة اليه لا أدرى بأية أكذوبة ، لتلقى بنفسها بين أحضان أدنأ الجرائم وأشنعها .. « سأكون فى العش المختار ! » .. اننى محتفظة بعواطفى ، ومع ذلك فلم أستطع أن أمنع نفسى من البكاء .. « العش المختار ! » .. اذن فالذى كنت أخشاه منذ زمن انما هو حقيقة واقعة .. والرجل الذى منحته نفسى بواسطة الزواج يستمتع الآن بحب آخر فى باريس ، وفى منزل غير الذى أعيش فيه أنا وطفلى . بيد أن الجملة الاخيرة من تلك الرسالة، وهى : « لا تجىء الا اذا قررت أن تكون عاقلا ! » ، هذه الجملة - على ما بها من رفع الكلفة المقزز - تركت فى نفسى شيئا من الامل ، اذ لو أنها تحبه لما قالت له هذه الكلمة ! .. ها هى ذى مربية الطفل قد عادت من دار التمثيل ، فلأرسلها الى غرفتها لتنام . أما أنا فسأقضى الليلة هنا الى جانب مهد ابنى ، ولعل وجودى بجانبه يحول بينى وبين اليأس .. وأما «راءول» فلا أستطيع أن أراه اليوم مطلقا . أوه يا عزيزى « المواسى الصغير ! »

٢٧ مايو :

◆ **بداية** حزينة ليوم حزين : فالسماء تمطر ، والمطر الحزين يتفق مع ما أنا فيه الآن من حزن وألم . وكل شىء يثقل كاهلى، وجميع العوامل السيئة قد تكاتفت على انهاكى ، فان الطفل قد أمضى ليلة سيئة ، كان فى نهايتها شديد الهياج ، مرتفع الحرارة - وان كانت حالته قد تحسنت قليلا فى هذا الصباح - وأنا أنتظر الدكتور « روبان » بفارغ الصبر ، أليس ذلك كثيرا على يا الهى؟ أو ليس فوق طاقتى أن ترسل الى هذه المحن الاخرى ، فى أثر الاولى ؟ ذلك انى لم أعد أشك الآن فى صحة ما ظننته ، فقد سألت « راءول » فى هذا الصباح ، جاهدة أن أبدو هادئة: « هل حضرت « مدام ديلافو » تلك الحفلة ؟ » .. فتردد لحظة قبل أن يجيبنى بقوله : « لا أظن ذلك .. لا ، انها لم تكن هناك يقينا »

ولكنى ألححت قائلة : « هل كانت قد غادرت باريس ؟ » ..

فلما سمع هذا السؤال ظهرت على وجهه حركة جزع ثم قال فى غضب : « لا أدرى يا صديقتى العزيزة ! وهل أنا حارس « مدام ديلافو » ؟ ومع ذلك فانى أتوسل اليك ألا تحدثينى عن هذه الانسانة التى تبغضينها ، لا أدرى لماذا ، مع أنها تحرص دائما على أن تكون فى حضرتك غاية فى الكمال ! »

فى تلك اللحظة أحسست بألوان من الحقد تتجمع فى نفسى، حتى منعتنى من أن أجيب على عبارته الاخيرة ، بل اننى لم أرد أن أنبئه بقلقى على الطفل ٠ فليكن ما يكون ، وليعبث كما يشاء ولينغمس فى اللهو خارج المنزل ، فأنا أريد أن أحمل عبء قلقى منفردة ٠٠ والطفل لم يعد ابنه ، فسأتولى وحدى شئونه !

٠٠ وكانت الساعة العاشرة صباحا حين دخلت الخادم الى غرفتى وأنا غارقة فى هذه الهموم ، ومعها علبة مليئة ببعض المشتريات ، وأنبأتنى بأن عاملا من أحد المتاجر الكبيرة التى نعاملها قد حملها الى المنزل وكلفها بتسليمها الى ، ثم أضافت الخادم : « ان العامل ينتظر خارج الباب ، لانه ليس متأكدا من ان هذه العلبة مرسلة الى سيدتى » ٠٠ فتناولتها منها ، فاذا عليها هذا العنوان : « مدام دى بواستيل » ـ رقم ١٣ شارع فيزيليه ٠

هذا هو اسمى ، ولكنى أسكن « فوبور سان أونوريه » لا شارع «فيزيليه» ! ٠٠ فاذا أضفنا الى ذلك أن اسمى فى المتجر المذكور هو : « الكونتيس دى بواستيل » ، تبين أن فى الامر شيئا ، أو أن هناك خطأ ٠٠ ومن ثم دعوت العامل وقلت له :

ـ اننى لم أوص على شىء من متجركم ، فاحمل هذا وانصرف لانى لا أدرى ما هو !

ـ يا سيدتى ، نحن بدورنا شككنا فى الامر ، وظننا أن هناك خطأ ، لان عنوان سيدتى عندنا ، بيد أن سيدى الكونت هو الذى جاء بنفسه فأوصى على هذا الطلب وأعطانا هذا العنوان ٠ ولكن بما أنى ذهبت الى شارع فيزيليه فلم أجد أحدا

فى المنزل الذى عينه لنا ٠٠ » ٠٠ وفى هذه اللحظة امتقع لونى ، فأدرك العامل أنه اقترف غلطة كبرى ، فصمت فجأة ، لانه فهم كل شيء ٠٠ فتحاملت على نفسى وقلت له : « حسن ما تقول ، ولكن احمل هذا فانه ليس لى » ٠٠ قلت ذلك للعامل وانزويت فى غرفتى واستسلمت الى البكاء !

وهكذا بعثت المصادفة الى بسر زوجى ، كاملا ٠٠ فلقد كنت أعرف أن مدام « ديلافو » قد حددت هذا المساء لاجتماعها به ٠ والآن أعرف كذلك مكان هذا الاجتماع ! ٠٠ ذلك ان راءول قد بلغ به الاستخفاف الى حد أنه لم يحاول اخفاء اسمه فى ذلك المنزل الذى اختاره للخيانة الزوجية ٠ ولا ريب أن شريكته فى الجريمة تدعى فى ذلك المنزل بالكونتيس دى بواستيل ! ٠٠ فماذا يجب على أن أعمل ؟ أليس من واجبى أن أحول بين زوجى وبين الاجرام ؟

لقد كنت فيما مضى أمتعض من فكرة قيامى بتحقيق هذه الخيانة وتعقب الجناة ، ولكن ما الذى يمنعنى الآن من أن أنذره، ومن أن أكافح ضد هذه المرأة لأصرفه عنها ؟ ٠٠ اننىأستطيع حين يعود « راءول » للغداء أن أقول له انى عرفت كل شيء ! وأن أشرح له المصادفة التى أنبأتنى ــ بالرغم منى ــ بما كان خافيا على ٠٠ أجل سأشرح له ذلك، ولكنه سينكر ــ فقد تعلم الكذب، من معاشرته تلك المخلوقة ! ــ هذامن ناحية ، ومن ناحية أخرى فانى أصبحت لا أحسن المناقشة معه ،ولهذا أخشى أن تنتهى المسألة بمشهد فاضح ٠٠ وعلى أثر ذلك سيخرج من المنزل جاذبا الباب وراءه بقوة كما هى عادته ثم يذهب ليتعشى فى النادى ويتجه بعد ذلك الى شارع « فيزيليه » ، ليلتقى بعشيقته ! ٠٠ فمن الخير اذن ألا أقول له شيئا ، وأن أسبقه الى ذلك المنزل فأوقفه أمام الامر الواقع بين زوجته وعشيقته ، واذ ذاك لا يستطيع أن ينكر ، وله فى تلك الساعة أن يختار بينى وبينها ! ٠٠ ولكن ما أفظع الانتظار فى الطريق ٠٠ وما

أشنع تلك المقابلة ، وان كانت هى الواجب ؟!

الساعة الثانية بعد ظهر اليوم نفسه :

◆ **لقد** جاء الطبيب ، لكنه لم يطمئنى على صحة الطفل ، فحالته سيئة ، ودرجة حرارته مرتفعة ، وهو يبكى ويرتعد . وكلما ألمس أى عضو من أعضائه الصغيرة أجده يتصبب عرقا ، ولقد سألت الطبيب : « هل هو فى خطر ؟ قل لى الحقيقة ، اننى أريد أن أعرف .. »

فهز رأسه وقد ظهرت عليه علائم الشك ، ثم قال :

ـ خطر ؟ .. يا الهى .. لست أدرى .. انه فى هذه اللحظة محموم ، وهذا كل شىء ، والحمى يمكن أن تذهب كما جاءت .

فسألته : « واذا لم تذهب ؟ »

ـ أوه ! .. اذا لم تذهب فانها ستتطور الى مرض من أمراض الاطفال مثل الحصبة أو الحمى القرمزية ..

ـ انى آمل على الاقل ألا يكون الجدرى !

الجدرى ! هذا هو الذى يروعنى .. لقد قرأت فى الصحف هذا الصباح أنه قد بدأ يقل ، ولكن لا يزال له ضحايا . ترى هل الاله الذى سلب من اولئك الامهات المسكينات نعمة سرورهن ـ وهى أطفالهن ـ سوف يعيننى أنا من هذه الكارثة ؟

ان الطبيب لا يعرف ماذا يقول ، ولهذا ينطق بمثل الكلمات التى أنطق بها لأسلى نفسى ، وهى : « أن الطفل فى صحة حسنة ، وأن مرضه الى الآن ليس خطرا .. الخ » .. ولكن من المؤسف أن كل ما يقال لى لا يطمئننى !

واليوم لم نكد نتحادث على مائدة الغداء ، ومع ذلك فقد لاحظت على راءول اتجاها حسنا ينعطف به نحو الاستغفار ، وكأنه كان يقوم بمجهود كى أغفر له سوء المزاج الذى ظهر منه فى هذا الصباح ـ أو الخيانة التى ينتويها فى هذا المساء ! ـ وقد سألنى :

ـ هل الطفل أحسن حالا ؟ .

فأجبته : « لا ، بل بالعكس ، ان ليلته كانت سيئة ، وانى لقلقة ! »

قلت هـذا والدموع تطفر من عينى غضبا ، وحزنا ، فلما رأى هذا نهض واقفا وأراد أن يقبلنى ٠٠ واذ ذاك تذكرت تلك المرأة التي يلمس خديها وشفتيها أيضا ، فابتعدت سريعا مدفوعة بغريزتى ولم يلمس منى الا شعرى ٠٠ فعاد الى مقعده، ولاحظت عليه فى تلك اللحظة أن لونه قد صار شديد الامتقاع، وتملكه الانفعال حتى كسر قاعدة كوبته ، ثم ظللنا صامتين الى أن انتهى الغداء ٠ وعلى اثر ذلك ، وفى نفس اللحظة التى أخذ يشعل فيها لفافته ، صعدت الى حجرة الطفل ٠٠

كن رؤوفا بى يا الهى وساعدنى وامنحنى الثقة والشجاعة اللتين تمنحهما للمرأة المتدينةفى غمرة ما تبتليها به منأحزان، فأنا أشعر فى قرارة نفسى أن قوتى لا تكفى لمقاومة هجوم كل هذه المقلقات ، وأنا أعلن ضعفى وانهزامى أمام هاتين المحنتين ! ٠٠ يا الهى اعف عنى ، ونجنى منهما كلتيهما ، فليس عندى من الشجاعة ما يجعلنى أحتمل أن يسلب منى « راءول » و « رينيه » ، بل انى أفضل أن تصعقنى أنا ، لانى عديمة النفع فى هذه الدنيا ، ولأن أقدم اليك حياتى عن طيب خاطر خير من أقدم أمانة زوجى أو صحة طفلى !

يونيو ٠٠ فى مدينة « تالوار » :

◆ **ان** كل ما يحوطنى الآن مفعم بالهدوء ، والسلام ، والعظمة ، والجلال ، والابتسام ٠٠ وحول منزلنا الصغير النائم تحت أشعة الشمس تبدو الجبال زرقاء وبيضاء ٠ وتجاه هذا المنزل توجد البحيرة العظيمة بلونها الفضى ، وباريس بعيدة الآن ٠٠

نعم ، باريس بعيدة ، وكذلك الماضى بعيد ٠٠ وتلك الساعات القاسية التى احتملتها ، والتى كنت أتصور أنها ستقضى على حياتى ، كل ذلك قد انتهى كما انتهى الماضى البعيد

٠٠ وسوف تستأنف الحياة الآن متحدة مضيئة ٠ لقد كان هذا التغيير فجائيا بدرجة لا أكاد أصدقها !

يا عجبا ! ان آخر سطر فى مذكراتى الماضية كان غاية فى اليأس والقنوط ، وهو : « لان أقدم حياتى عن طيب خاطر ، خير من أن أقدم أمانة زوجى أو صحة ولدى ! »

لقد كنت أكتب هذه المذكرة فى حجرة الطفل المريض ، وبجانب سريره ، وكانت المربية تقرأ فى تلك اللحظة نبأ قدوم الطبيب فى الساعة الخامسة ٠ وكنت أنتظر حضوره فى جزع شديد ، ولو أنى كنت عارفة قراره مقدما ، وهو قوله : « لا جديد ، فلننتظر » ٠٠ وفى الواقع لم يكن هناك جديد ، اذ أن جسم الطفل كان غارقا فى العرق ، وهو يئن فى سريره خلال نوم مضطرب ٠

٠٠ وحوالى الساعة الرابعة من مساء ذلك اليوم ، دخل خادم زوجى ـ وكنت أكره لونه الذى هو مزيج من : صفرة وزرقة ورمادية ، وعينيه اللتين لا يمكن كشف ما وراءهما ، وفمه ذا الشفتين اللتين لا تكادان تريان من كثرة انقباضهما ، فسألته قائلة :

ـ ماذا تريد يا جوزيف ؟

ـ ان سيدى الكونت يسأل سيدتى : هل صحة سيدى الفيكونت متحسنة الآن ؟

ـ ان سيدك اذن لم يخرج ؟!

ـ لا يا سيدتى ، لقد ظل من بعد الغداء الى الآن فى مكتبه ، وهو يرجو من سيدتى أن تنبئه حينما يحضر الطبيب ٠

ـ حسن يا جوزيف ، ستنزل المربية لتنبىء سيدك عندما يحضر الطبيب ٠

لم يكن زوجى قد خرج اذن ، لانه كان قلقا على صحة الطفل ، وكان يريد أن يحضر زيارة الطبيب ، فهل كان أحد يصدق ذلك ؟ لقد زاد هذا الاهتمام الفجائى بصحة الطفل من غضبى ،

حتى أحسست فى تلك الساعة أن الحقد يتضاعف فى نفسى الى درجة لم أعد أحتمل معها حنانه عليه !٠٠ وقلت فى نفسى : « ليتركنى وحدى مع هذا الصغير العزيز المريض ، وليذهب الى تلك المخلوقة ! » ولا ريب ان كبرياء الألم هى التى خلقت عندى هذه العاطفة ، لانه كان ألما مبرحا ٠٠

وبعد الساعة الخامسة بقليل حضر الطبيب ٠ ولما انبأت الخادم الكونت صعد فورا ، وكان فى هذه اللحظة يختلف كثيرا عن طبيعته المفعمة بقوة الارادة والشجاعة ٠٠ الى حد أننى أحسست بالشفقة عليه ، من فرط ما بدا متألما من ذلك العراك الذى كان يحتل نفسه فى تلك الساعة بين هذا الخلق الكريم الحقيقى الذى حببه الى الناس جميعا ، وبين ذاك الهوى الوضيع الذى كانت نفسه تلح عليه فى اطاعته !

« لا جديد ، فلننتظر » ٠٠ هذه الكلمة التى تنبأت بها قالها الطبيب بحروفها وهو يضع على الوسادة رأس الطفل بعد أن فحص جسمه ٠٠ ثم أعاد كلمة « فلننتظر » ، وأضاف اليها قوله : « يجب أن تستعدوا لكل شىء ، فالأزمة بدأت تتطور ، وسيظهر فى هذا المساء حدث جديد ، ولولا أن فى الأمر شيئا سيظهر لما استمرت الحمى على هذا النحو ، فهل عندكم طبيب ماهر فى الحى ليلاحظ الطفل فى حالة حدوث ما لا ينتظر ؟ »

ـ نعم يوجد طبيب ماهر فى ميدان « بوفو » ، هو الدكتور « جيل » ٠٠

ـ انه لشاب ذكى ، وانى أعرفه ، وسأكتب اليه كلمة لأوصيه بكم ، فاذا ما حدث أى شىء جديد فأدعوه على عجل فى أية ساعة ٠٠

وانصرف الطبيب ، وبقيت مع راءول وحدنا فى الحجرة ، فتصنعت أنى لا أنتبه الى وجوده ، اذ كنت أسير فى الغرفة

جيئة وذهابا دون أن ألتفت اليه أو أحادثه ، وأخيرا قال بلهجة غير طبيعية :

ـ انني سأتعشى الليلة فى المنزل يا جينيفييف ..

وفيما كان ينطق بهذه الكلمة ، كنت أقرأ في نفسه ـ كأنما أقرأ فى كتاب مفتوح أمامى ! ـ هذه الأفكار الآتية : « انه لأمر سيء من جانبى ان أترك جينيفييف المسكينة وحدها فريسة لمثل هذا القلق .. فلنتوسط في الأمر ، ولنمنحها مرافقتنا اياها فى العشاء ، تلك المرافقة التى ستجن بها سرورا ، وبهذا أكون قد أديت واجبى ، ثم أذهب بعد ذلك الى شارع (فيزيلييه) ! »

وفى الواقع انه لو كان قد عرض على هذا العرض قبل ذلك اليوم بليلة واحدة لقفزت فرحا ، وطرت سرورا ، ولكن اليقين الذى احتل عقلى اليوم من جهة ، والقلق المضنى على صحة الطفل من جهة أخرى ، قد غيرانى تماما ، فأجبته فى فتور :

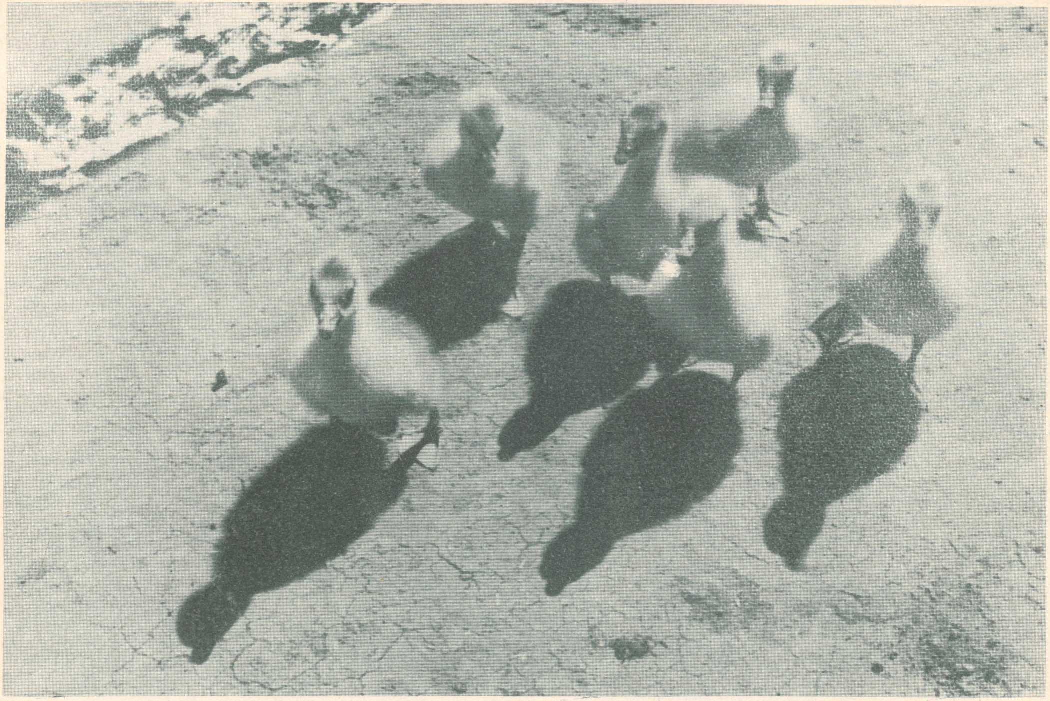
ـ تعش هنا اذا أردت يا صديقى ، أما أنا فلن أنزل الى حجرة المائدة ، سيما وأننى لا أرغب الآن فى تناول أى عشاء !

وعلى اثر سماعه هذا الجواب ، حل اليقين من نفسه محل الشك ، وآمن بأنى لا بد قد عرفت شيئا فامتقع وجهه .. ورأيت فى عينيه أنه يتردد فى أن يعترف لى بكل شيء ، ويطلب منى الصفح والتصافى .. ولكن تأثير الرغبة السيئة لم يلبث أن غلبه على أمره ، فاكتفى بأن يقول لى فى لهجة فاترة : « حسن ! اعملى ما تريدين » .. وقد كنت اذ ذاك منحنية على الطفل ، فلم يجرؤ على الاقتراب منه ، ثم تردد قليلا .. وأخيرا خرج !

وعلى اثر ذلك طفقت الساعات الطويلة تسير فى بطء ، وأنا جالسة الى جانب سرير المريض الذى يئن فى نومه ، وفى كل دقيقة أنحنى عليه وأنظر الى جسمه الذى أخذ يزداد



برج (بيزا) المائل ، أحد عجائب الدنيا السبع



فى انتظار ساعة الغداء !　　(تصوير الاستاذ يوسف عبد الشهيد المحامى)

حرارة وحمرة ، ولكن لم يظهر على جلده شيء من البثور ٠ وفجأة هدأت الحمى ، وأخذ المريض فى التحسن ، وطلب لعبة ، فأفهمته ألا يكشف ذراعيه وصدره ٠٠ فأذعن ونام فى هدوء مطمئن ، فلما رأيت ذلك منه سررت واستسلمت للنعاس ، فأخذتنى سنة من النوم لم تطل ، اذ لم ألبث أن استيقظت على أثر حركة خفيفة أحسست بها ، فلما تبينتها وجدت زوجى منحنيا على سرير الطفل يحدق اليه بعناية ، وكان مرتديا ملابس الخروج ، بيد أنه ارتدى فوق هذه الملابس « جاكتة » منزلية ٠ وكانت الساعة اذ ذاك التاسعة والثلث ، فقلت فى نفسى : « انه سيخرج ، وبعد نصف ساعة سيكون بين ذراعى تلك المرأة ! » ٠٠ وفى الحال خطرت لى فكرة انتظاره فى ذلك المنزل كما كنت قد قررت آنفا ! ولكن هذه الفكرة لم تبق فى رأسى الا لحظة قصيرة ، اذ لم ألبث أن وجدتنى أقول فى نفسى : « كلا ، كلا ، ان مكانى ليس هناك ، بل هو هنا ! »

وفى الحال قدمت باخلاص الى الهى التضحية بكبريائى وعاطفتى كزوجة محبة ، فى سبيل ان ينجى لى الطفل ٠٠ وفجأة هتف راءول قائلا :

ـ « جينيفييف ، جينيفييف ! »

فنهضت واقفة ، لأنى أيقنت أن هذا الايقاظ له علاقة بصحة الطفل ٠ وفى ثانية واحدة انمحى من نفسى كل الحقد الذى كنت أحمله له ، وقلت : « ماذا ؟ ما الذى حدث ؟٠ »

ـ انظرى !

قال هذا وأشار الى نقط كحبات العدس ، حمراء باهتة ، قد أخذت تنتشر في وجه الطفل وذراعيه ٠٠ فصحت فى جنون :

ـ يا الهى ، يا الهى ، ما هذا ؟! انى أرجو على الأقل ألا يكون الجدرى ، قل لى يا « راءول » !

وفى هذه اللحظة تناولت يده وضغطت عليها ، ناسية كل شىء !

ـ امكثى هنا يا جينيفييف ، فسأذهب لاحضار الطبيب

ثم خرج . وفى الوقت الذى انقضى بين خروجه وعودته ، كنت أنا والمربية تائهتين ، نذهب ونجيء فى الحجرة تارة ، وننحنى من النافذة لنسمع ضجيج المركبة تارة أخرى . وكنت أدعو ربى وأتوسل اليه ، وأجدد النذر القديم : وهو أن أحتمل فى سرور خيانة زوجى ، كزوجة خاضعة تحرس فى أمانة منزل الخائن !

.. وفى النهاية عاد الكونت يصحبه الطبيب ، الذى بدأ يفحص الطفل . وكنا فى تلك اللحظة ـ راءول وأنا ـ ننتظر حكمه مرتعدين ، كطفلين يسيران فى الظلام ! وكان كل منا يعتمد على ذراع الآخر ، رهبة وخورا .. ومضت على هذا خمس دقائق كاملة ، قبل أن يفوه الطبيب بهذه العبارة :

ـ أظن أنه ليس فى الأمر خطر . « أظن » ولست متأكدا ، لأن المرض لم يتحدد بعد .

فقلت فى تمتمة مضطربة : « ولكن على كل حال ، هل هو الجدرى ؟ »

ـ لا ، يقينا ان هذا ليس هو الجدرى !

.. كان الطبيب ينطق هذه الكلمة ببساطة وهو لا يدرى انه قد رد بها الى التنفس والحياة ! وعلى اثر ذلك سقطت بين ذراعى راءول فاقدة القوى ، وان كنت قد أحسست أن ثقة خفية بزوال الخطر قد احتلت نفسى دفعة واحدة ! .. وشعرت بالرضى والسعادة ، فطفرت من عينى دموع غزيرة ، لا أدرى أهى دموع رد الفعل ، أم دموع السرور ؟ ثم انتابتنى على اثر ذلك أزمة عصبية لم أفق منها الا حين لاح نور الصباح ، وحينئذ وجدت « راءول » جالسا عند وسادتى ، فلم أشأ أن أضيع الوقت فى سؤاله عن سبب جلوسه

بجانبى ، وانما هتفت به قائلة :

ـ ورينيه ، كيف هو ؟ .

ـ انه الآن أحسن حالا ، وان مرضه لخفيف وبسيط ، فان البثور المنتشرة على وجهه تجعله دميما فى هـــذه اللحظة فقط ، ولكن الخطر قد زال ، والمربية والخادمة ساهرتان عليه .. وأنت كيف صحتك ؟

ـ صحتى جيدة جدا ..

واذ ذاك أردت أن أنهض فخانتنى قوتى وســـقطت على الوسادة ، فقال راءول وهو يمسك بيدى :

ـ مسكينة يا صديقتى !

ثم ساد بيننا بعد ذلك صمت ، كنت أثناءه أقول لنفسى : « ما دام راءول هنا فهو اما أن يكون قد عاد من شـــارع فيزيليه ،واما أنه لم يذهب اليه ! » .. وسألته :

ـ فى أية ساعة عدت يا راءول ؟

ـ عدت مع الطبيب ، وانى بجانبك ألازمك منذ أن نمت الى الآن ..

قال هذا وقرب وجهه من وجهى ، فتمتمت قائلة :

ـ ثم ماذا اذن ؟.

واذا ذاك فهم كل شىء ، فأجابنى بصوت خافت : « اذن .. أنا أحبك وحدك ، وينبغى أن تصفحى عنى .. وهذا هو كل شىء ! »

وعلى اثر ذلك تبادلنا قبلة ، لم نذق مثلها منذ عهـــد خطبتنا !

* * *

◆ **مضت** على هذا الموقف ثلاثة أسابيع ، أخذت صـــحة الطفل ابانها تتحسن باطراد ، حتى استطعنا أن نسافر به الى « تالوار » . وها نحن أولاء بمنزلنا سعداء ، شـــأننا فى صيف كل عام . ولقد أطلعنى « راءول » على برقية وردت

اليه من تلك المرأة فى صباح تلك الليلة المزعجة ، وقد جاء فيها : « لقد انتظرت أمس ساعتين كاملتين فى تلك الغرفة القبيحة ولست أحب الاشخاص السيئى التربية ، فعم مساء يا سيدى ! »

ويبدو أن هذا ال « عم مساء » كان معناه الوداع الأخير . أما الآنسة « جيفيرنى » فانها ستتزوج ! وها هو الطفل قد برىء تماما ، وانه لجميل كما كان ، ولم يبق فى وجهه أى أثر للبثور . وقد قال لى الدكتور روبان : « انه سوف يكون شابا فاتنا ، له من أسيرات حبه مثل ما لأبيه ! »

— مثل أبيه ! انى أسأل الله أن تكون أسيراته فى الغرام أقل عددا من أسيرات أبيه !


PROBLEMES DE
L'ADOLESCENCE
PAR
Dr. JULIETTE BOUTONIER
مدرسة الوالدين
للباحثة الفرنسية الدكتورة جولييت بوتونييه
مشاكل المراهقة!

الفشل فى المدرسة .. لا يعنى شيئا !

◆ اذا ضاق ولدك بالمدرسة وبما يتعلم فيها .. واذا فشل فشلا ذريعا فى استيعاب ما يتلقاه على أيدى أساتذته ومدرسيه ، فلا تدع اليأس يستولى عليك ، ولا تترك الخوف على مستقبله يجد سبيله الى نفسك .. فلقد ثبت بوضوح ، أنه من السهل على الابن المجرد من الاستعداد المدرسى ، أن يتبوأ فى المجتمع مركزا يتكافأ مع مركز ذلك الذى يتم تعليمه فى المدرسة بنجاح ، وذلك اذا ما تكون تكوينا فنيا أكثر ملاءمة لملكاته الطبيعية من التعليم فى المدرسة !

هذا هو الرأى الذى تضمنته المحاضرة الثانية التى ألقتها الدكتورة «جولييت بوتونييه» فى كلية الطب بجامعة باريس ، وتناولت فيها مشاكل التوجيه المهنى للبالغين ..

.. فتعال نقرأ معا هذا البحث القيم

التوجيه المهنى فى العصر الحديث

◆ **جرت** العادة عند الاشارة الى النظم المختلفة فى التوجيه ، أن يتجه التفكير الى البحث فى « التوجيه المهنى » للمراهق . وهناك من الظواهر الاجتماعية والنفسية مايسمح لنا بأن نتفهم السبب الذى دعا الى ظهور التوجيه المهنى فى بعض المجتمعات ، وعلى عاتق من تقع مسئولية القيام به :

أولا : فى كل مرة يكون اختيار المهنة فيها التزاما اجتماعيا ، وفى كل مرة يكون اختيار المهنة فيها نتيجة لتقليد اجتماعى مفروض ، ــ كأن تكون الحرفة فى أسرة يتوارثها الأبناء عن الآباء ــ لا يكون هناك مجال للتوجيه . وكثير من البلاد ، حيث الحرف فيها متوارثة ، لا ترى حاجة الى اتباع أساليب التوجيه المهنى . فلكى يوجد هذا النوع من التوجيه ، يجب توفر قدر من الحرية فى النظام الاجتماعى

ثانيا : ان هذا النوع من التوجيه هو أكثر صلة بالضرورات التى يفرضها العمل فى بلد من البلاد . وقد كان ظهور الآلات ،

وابتداع طرق فنية لأداء العمل ، هما الأصل الذى نبتت منه فكرة التوجيه المهنى ، وليست الاعتبارات السياسية كما يظن بعض الناس . كما أن ظهور الأعمال الدقيقة استدعى تخصصا كبيرا ، واختيارا دقيقا محكما لأولئك الذين سيؤدونه عن طريق ادارة آلات معينة . **فالتوجيه المهنى يستبعد أولئك الذين تتبين عدم كفايتهم للتخصص . وتقدر كفاءة شخص معين بالطريقة نفسها التى تتبع فى اختبار مقدار مرونة أو متانة معدن من المعادن . ويتم اختيار الشخص على أساس مقدرته على القيام بعمل معين بالذات . وتوجيه مثل هذا الشخص هو توجيه عملى بحت ، لا أثر فيه للتوجيهات المعنوية . ويعرف مدى صلاحية الشخص لعمل ما من الأعمال ، بفضل الاختبارات القائمة على قواعد علمية ، والتى تعتبر أساس ذلك التوجيه**

ثالثا : ان الصورة الاخيرة التى يظهر بها التوجيه توضح لنا الدور الذى يلعبه العامل الاقتصادى فيه ، اذ وفقا للوسط الذى يعيش فيه الطفل ، تتبع ، أو لا تتبع معه أساليب التوجيه المهنى الحديثة . فاذا كانت الحرفة متوارثة فى الأسرة ، توارث أفرادها الأدوات والآلات اللازمة لأداء تلك الحرفة . وفى هذه الحالة يجد الاطفال أنفسهم مزودين بطبيعة الحال ، بكل معلومات الحرفة التى تزاولها الأسرة ، أو بالمعلومات اللازمة لمزاولة حرفة مماثلة . فابن عضو فى البرلمان مثلا يستطيع أن يشتغل بالسياسة فى أغلب الأحيان ، وذلك لأن الصلات الاجتماعية التى تربط أباه بالآخرين ، تسهل على الابن اعداد نفسه لمستقبل يشبه مستقبل أبيه ، ومثل هذا يقال عن المهن الحرة أيضا

واذن ، فمعاهد التوجيه المهنى تسد حاجات محدودة فقط ، لأن الذين يقصدونها للاستشارة هم فقط أولئك الذين ينتمون الى بيئات اجتماعية متوسطة . وحتى بالنسبة لهذا الطراز من الاطفال ، لايقصد تلك المعاهد منهم الا ذوو الذكاء المتوسط أو

الذى يقل عن المتوسط لأن الأذكياء ليسوا في حاجة الى توجيه فى الواقع !٠٠ أما فى البيئات الاجتماعية الأخرى فان شهادة « البكالوريا » تقوم ـ الى حد ما ـ مقام التوجيه المهنى ، فى الحدود التى تستطيعها ، للدلالة على مدى قابلية الطفل واستعداده

وعلى ذلك ، فالطفل الموهوب والأول فى فرقته ، ليسا فى حاجة الى الاستعانة بمكتب التوجيه المهنى ، حتى اذا كانا ينتميان الى بيئة اجتماعية متوسطة ٠٠ لأن هذا النوع من الأطفال يتلقى توجيهه فى العادة عن أساتذته مباشرة ٠وطريقة البعثات المتبعة الآن تسمح بارشاد الاطفال الى الحرف التى يثبت ميلهم اليها ، وذلك عن طريق المباريات التى تعقد لهم !

أما الأولاد الذين ينخرطون فى سلك مهنة آبائهم ، أوحرفتهم، فانهم ليسوا محل بحث هنا ، كأولاد الزراع والتجار ٠ كذلك لا يستعان بمكاتب التوجيه المهنى فى الحرف التى لاتحتاج الى مؤهلات ، مثل حرف الخدم !٠٠ وأخيرا فان الفتيات اللواتى تعدهن الأسرة للزواج فقط ، لا حاجة بهن الى استشارة مكاتب التوجيه والاستعانة بها !٠٠ أما الأطفال الذين ينتمون الى أسر واسعة الثراء فانهم يوجهون عن طريق العلاقات التى تربط أسرهم بالآخرين ، أو عن طريق موارد تلك الأسر المالية !

النجاح فى الحياة ٠٠ لا يتوقف على النجاح فى المدرسة !

◆ **ومع** ذلك فان مسألة التوجيه بوجه عام ، أصبحت تواجهنا الآن بطريقة تختلف قليلا عما سبق بيانه ٠ لماذا ؟٠٠ لأن عددا متزايدا من الأشخاص أصبح يطلب ارشاده الى اختيار المهنة التى تناسبه ، كما أصبح اختيار تلك المهنة لا يوكل الى الشخص نفسه ، والى رغبته وميوله فقط ، وذلك للأسباب **الآتية :**

أولا : تفتح الصناعة ميادين جديدة كل يوم ٠ فلقد أصبح الأولاد يبحثون عن توجيه مهنى فى الحرف التى كانت لا تستدعى قبلا مثل هذا التوجيه (كالتجارة مثلا) ٠ وحتى



أصحاب المهن أصبحوا يشعرون بضرورة التوجيه الفنى ، الذى لا يغنى عنه أن الابن سيرث صناعته عن أبيه ، (فالطحان يفضل أن يتمرن ابنـــه فى الطاحونة ، حتى اذا لم يكن فى نيته أن يجعله يخلفه فى مهنته)

ثانيا : التوجيه المدرسى • فقد بدأت تظهر ضرورة مثل هذا التوجيه ، وذلك لأنه كثيرا ما يترك الطالب وشأنه حتى يحصل على شهادة « البكالوريا » دون أن يعنى أبوه ببحث ميوله واتجاهاته • وكل مايفعله مثل هذا الأب هو أن يظهر فزعه اذا تكرر فشل الابن فى الامتحانات • وقد تنبهت بعض الأسر الآن الى خطر هذا الاهمال ، فأصبحت ترى انه من الأفضل توجيه الولد قبل ذلك ، توجيها يتفق واستعداده الحقيقى • **ويلاحظ أن عدم استعداد الابن للتعليم المدرسى ليس وصمة فى ذاته •• فقد ثبت بوضوح انه من السهل على الابن أن يتبوأ فى المجتمع مركزا يتكافأ مع مركز ذلك الذى يتم تعليمه فى المدرسة بنجـــاح ، وذلك اذا تكون تكوينا فنيا أكثر ملاءمة لملكاته الطبيعية من التعليم فى المدرسة !**

ثالثا : عدم استقرار المجتمع الحالى واختفاء بعض الطبقات الاجتماعية يدفع أغلب الناس الى تهيئة أنفسهم ـ فى الحال ، أو حسبما تقتضيه الظروف ـ لمواجهة ضرورات الحياة وكسب معاشهم • ومن أجل هذا يفضل الطحان ارسال ولده الى احدى المدارس الفنية ، لأنه يخشى أن لايستطيع ابنه الاعتماد فى معاشه مستقبلا ، اعتمادا كليا على ميراثه من أبيه •• ولذلك

يلجأ الى تسليحه بحرفة تزيد مستقبله أمانا • وهذا هو السبب لذى من أجله يقل عدد الفتيات الراغبات فى الزواج بصورة مستمرة • فلم تعد الفتاة تقنع بانتظار الزواج لتأمين حياتها ، بل انها تبحث عن حرفة تقيها شر الحاجة وتضمن لها معاشها !

رابعا : لا يحل التوجيه المهنى - بوضعه الحالى وحالته الراهنة - جميع المشاكل الناتجة عن المشكلة الكبرى ، وهى اختيار الحرفة الملائمة تماما للفرد • ذلك لأن دور المشرف على التوجيه لا يعدو النصيحة فقط ، يقدمها لطالبها ، تاركا له حرية الاختيار بعد ذلك • وهو اذ يرشد الى أنواع معينة من الحرف تظهر له ملائمة للطالب ، بالنسبة لاستعداده ومواهبه التى يراها فيه ، فانه لا يفرض رأيه على الطالب فرضا ، وليس فى مقدوره أن يكرهه على قبول رأيه أو توجيهه • وعليه ، **فالذى يحدث هو أن الآباء والأبناء معا لا يوفقون الى اختيار الحرفة المناسبة، حتى بعد توجيهات المرشد ونصائحه !•• أو هم يرغبون فى أن يؤدى الأولاد عملا آخر غير الذى يستطيعون أداءه فعلا ، ويتفق مع ملكاتهم واستعدادهم •• أو يكونون خاملين لا مطامع لهم ، فهم لا يحاولون استخدام امكانياتهم على أحسن وجه • وفى أغلب الأحيان ، نرى الطالب لا يتبع سوى النصيحة التى تلائمه وتتفق وهواه !**

هذا من ناحية • ومن ناحية أخرى قد يصطدم الموجه فى بعض الاحيان بمعارضة الطفل فى قبول الحرفة التى اختيرت له ، لأنه يجهلها ولا يعرف عن حقيقتها شيئا !

ولذلك ، فان التوجيه ليس ناجعا دائما • وفضلا عن ذلك، فهو كما يظهر لنا شديد التعقيد • وهو لايكون كاملا ، تاما ، بعد استشارة واحدة فقط ، اذ لابد لنجاح التوجيه من أن يلم المرشد أو الموجه الماما كافيا بجميع مراحل تطور الطفل ، وهذا مستحيل عملا ، خاصة اذا ماكان متعلقا بشخص لم ينضج بعد من ناحية معرفة ميوله وعواطفه !

دور النزعات العاطفية فى التوجيه

◆ هنا ، نحب أن نلفت النظر الى الأمور الآتية :

١ - على الآباء والمرشدين أن يسائلوا أنفسهم عما اذا كان الطفل قد بلغ من النضوج الحد الذى يسمح بتوجيهه . فالتوجيه لا يبدأ فجأة ، بل يجب أن تتخذ له العدة قبل حلول ميعاده بوقت طويل . وهو يتناول حياة الطفل برمتها .. هذه الحياة التى ينبغى أن توجه بأكملها الى المستقبل الذى ينتظره . كما يجب أن يبدى الطفل نفسه اهتماما بالمستقبل ، وأن يكون فكرة عما يعنيه ذلك المستقبل بالنسبة له . وكثيرا مانرى طفلا تجيش فى صدره مطامع متنوعة ، وهو لم يزل بعد فى سن الطفولة المبكرة . وهو يحاول أن يوفق مابينها بطريقة أو بأخرى ، كأن نسمعه يردد فى هذه المرحلة مثلا قوله : « سأكون سائق سيارة فى الصباح ومهندسا بعد الظهر !! » .. وتنطفىء هذه الخيالات غالبا فيما بين سن الثامنة والعاشرة . أما انطفاؤها ، أو اختفاؤها ، فهو يرجع فيما نرى الى الملاحظات أو الانتقادات التى توجه اليه من أبويه ، أو من المحيطين به ، عند سماعهم تلك العبارات منه . وذلك كأن تعلق أمه عليها بقولها : « أتريد أن تكون سائق سيارة !؟ عدنى ياولدى بأنك لن تكون سائق سيارة .. لأنك ان فعلت ، فسوف تسبب لى ألما شديدا ..!»

والواقع أنه من العبث أن نضايق الطفل فى تصوراته ومشاريعه التى يرسمها لنفسه فى مخيلته ، أثناء طفولته ، لأنه سيتطور من تلقاء ذاته ، ودور الآباء يجب أن ينحصر فى توفير الحرية الكاملة لذلك التطور . فالدعابات المثيرة ، والسخرية بالطفل ، قد تكون من الخطورة بحيث تخنق أفكارا تدور بمخيلته . وينتج عن ذلك أن لا يجرؤ أبدا على اتخاذ قرار بشأن مستقبله فيما بعد ، كما لا يستطيع التعرف على المهنة التى يوجه نفسه اليها !

اننا كثيرا مانسمع ولدا صغيرا يبدى رغبته فى أن يصبح جنديا ، أو قائدا حربيا مثلا ، فاذا بأبويه ينتهرانه بشدة ، لخوفهما من الحرب وفزعهما من أهوالها ، كما لو كانت مثل تلك الأمانى من جانب الطفل مؤكدة التحقيق فى المستقبل . ومثل هذا التصرف من جانب الأبوين خطأ ، وخطر على تطور الطفل الذى يجب أن يتم فى جو من الحرية المطلقة !.. ولذلك فنصيحتنا الى الآباء أن يتركوا للأبناء « حرية التمنيات » التى ستتطور حتما مع تطورهم ، وان لايهتموا الا بالمظهر العام لتلك الآمال أو الأمانى ، لأنها قد تكون بالغة الدلالة على حقيقة استعداد الطفل وحقيقة ملكاته . ومن المهم ان لا نسد فى وجه الطفل باب التخيل ، وذلك باتباعنا أساليب تدل على عدم الادراك والتقدير !

«التهتهة» ٠٠ وهواية التمثيل !

٣ – كثيرا ماينشغل ذهن الوالد بفكرة انه اذا ترك ابنه لخيالاته ، فقد يختار فى حياته العملية المستقبلة طريقا لايناسبه ٠ وقد يكون ميله قويا لا يقاوم ، ورغبته جارفة بحيث لا يقيم وزنا حتى لمدى استعداده وامكانياته للقيام بذلك العمل الذى يتحرق شوقا الى القيام به ٠٠ فما العمل فى هذه الحالة ؟

فى استطاعتنا أن نقرر أن الطفل يغير اتجـاهه بوجه عام ، اذ ماتبينت له استحالة السير فى الطريق الذى اختاره ورسمه لنفسه ٠ ولعل من الافضل أن نلجأ الى « طريقة أدلر » ونظريته فى التحليل النفسانى ، لنسترشد بهما فى دراسة جوانب هذه المشكلة :

يقول العالم النفسانى « أدلر » : « ان الرغبة فى التغلب تستطيع أن توجه الانسان الى اختيار الحرفة التى تعوضه أكثر من غيرها عن تلك التى يهواها ولم تساعده امكانياته الحالية على احترافها » ٠٠ ونحن نضرب مثلا لذلك بالطفل الذى « يتلعثم » أو « يتهته » وهو يتكلم ، ومع ذلك يريد أن يصبح ممثلا ! ٠٠ فمن الطبيعى أن مهنة التمثيل تعتبر آخر مهنة تصلح لطفل أعوج اللسان ٠ ومع ذلك فانك لا تسلك معه الطريق القويم اذا أنت نصحته بعدم احتراف التمثيل لعوج لسانه ٠ انما تستطيع أن تعالجه من مرض «التهتهة» – وهو مرض قابل للشفاء – وسترى انه اذا شفى منه ، وانحلت عقدة لسانه ، وأصبح فى مقدوره حينئذ أن يحترف التمثيل ، فانه سيقلع عنه من تلقاء نفسـه ويبحث عن حرفة أخرى ٠ فأنت قد « استعضت » عن ميله للتمثيل بعلاجه من الآفة التى كانت تحول بينه وبين تلك الحرفة ٠ فنظرية « أدلر » هى نظرية « تحقيق الرغبة المعوضة » ، وهى صحيحة بلا شك الى حد كبير

وعلى الآباء أن يكونوا حكماء بحيث لايقفون حائلا بين الأولاد وميولهم ، بل عليهم أن يساعدوهم على أن يسلكوا أقوم السبل لتحقيق استقلال شخصياتهم ٠ ويجب أن نعلم أن الحرفة التى يحترفها الطفل « بطريق التعويض » ، ليست حرفته الأصلية التى تحقق استقلاله الحقيقى ، لأنه « استعاض » بها عن حرفة لم يستطع بلوغها ٠ ومن ثم فان واجب الأب أن يبذل قصارى جهده فى تعبيد الطريق ليعود الابن قادرا على احتراف الحرفة الأولى التى عجز عنها ٠٠ فما لم يحقق الطفل هذه الغاية ، فانه سيظل واقعا تحت طائلة « قانون التعويضات » الذى يدفعه الى البحث عن الطرق الوقتية التى يسلكها ليقف على قدميه ، وذلك بعد أن عز عليه بلوغ الغاية التى كان ينشدها ، لو أن توجيهه الاساسى قد وصل به الى هدفه المنشود !

وقد يكون مبعث الرغبة فى حرفة معينة عند الطفل هو ان يزاول عملا يتعارض تماما مع العلوم التى تلقاها فى المدرسة ، كما قد يكون رغبة صحيحة فى هذه

الحرفة .. فان أحدا لا يستطيع أن يقطع برأى فى هذا الشأن !.. فقد يشعر الطفل بالرغبة فى استئناف نوع معين من الدراسة تعذر عليه السير فيه ، فى بدء حياته ، مع أن ذكاءه كان يسمح له بالتفوق فيه . وكثيرا ما يحدث لطفل نشأ فى بيئة تافهة أن يستشعر رغبة فى أن يحترف حرفة يتفوق بها على بيئته. فبواعث هذه الرغبة فى التفوق كامنة فى البيئة التافهة نفسها التى نشأ فيها الطفل !

تعمـــد ايذاء الوالدين !

٣ - ◆ هناك طائفة خطرة ، منحرفة ، من الأطفال .. وهم الذين يرفضون قبول المهنة التى يقترحها عليهم آباؤهم ، لا لأنها لا تلائمهم ، ولا لانهم لايميلون اليها ، ولكن مبعث هذا الرفض هو رغبتهم فى مقاومة آبائهم ومقاومة المجتمع ليس الا !

ومسلك التمرد هذا يبدو واضحا خلال مرحلة البلوغ . فقد يحدث أن يحب الأولاد نوع العمل فى ذاته ، ولكنهم يريدون التمرد على الأسرة والمجتمع ، ولو كان فى ذلك تمرد على رغباتهم هم أنفسهم !.. ومثال ذلك الابن الذى يأبى المواظبة على الدرس لأنه « يخشى » اذا اجتهد ان ينجح ، الامر الذى يفرح له أبواه !.. فهو يتعمد عدم ادخال السرور على قلب أبويه ويتعمد ايذاءهم !.. ومثال آخر : الابن الذى يتعمد اختيار المهنة التى تزرى بقدر أسرته وتحط من قيمتها فى المجتمع . فهو قد نشأ فى أسرة غنية عريقة مثلا ، ولكنها مولعــة بالتكلف ، وعشق المظاهر . فلكى يحقرها ، يتعمد أن يعمل سائق قطار أو سائق سيارة مثلا ، وذلك رغبة منه فى ايذاء أسرته واذلالها ، أكثر من رغبته فى ارضاء ميوله الخاصة !

وثمة حالات أخطر من تلك التى أشرنا اليها ، منها تلك الحــالات التى نرى الأولاد فيها وقد انخرطوا فى سلك هيئات خطرة وجماعات هدامة خارجة على القانون ، مدفوعين بنفس الدافع ، وهو التمرد على أسرهم وتعمد الحط من أقدارها .. فكثيرا ما نرى أولادا من أسر غنية كبيرة يشتغلون بالتهريب ، أو يتجرون فى السوق السوداء ، بينما هم فى غير حاجة الى المــال لكى يسلكوا تلك السبل المعوجة للحصول عليه !

فما هو علاج مثل هذه الحالات ؟.. ان العلاج ينحصر فى محاولة « عقد صلح » بين الولد والبيئة التى نشأ فيها .. والتوجيه هو أمثل الطرق للصلح ،والاصلاح، والتوفيق !

علاقة التوافق المهنى بالتوافق الجنسى !

٤ - ◆ بقى سؤال واحد موضع بحث ، وهو : هل هناك علاقة بين التوافق الجنسى .. وبين التوافق المهنى ؟!

للاجابة على هذا السؤال نوضح الآتى :

أولا – أن المسلك الذى يسلكه بعض المراهقين فى رفض مزاولة بعض الحرف ، أو رفض مواجهة بعض الحقائق التى تواجههم أثناء فترة المراهقة ، قد يحمل فى طياته ميلا مكبوتا الى بعض الحرف والمهن الفنية (كأن يكون ذلك الميل الفنى المكبوت ميلا الى الرسم أو النحت أو الموسيقى مثلا) . كما ان هذا الميل الفنى المكبوت قد يحمل بدوره ، وفى تلافيفه ، ميلا آخر يضطرم به صدر المراهق ، وهو الهرب من حقائق الحياة المادية . .أو الهرب من مسئولية جمع المال التى تتطلب جهدا ومشقة لا يريد اثقال كاهليه بهما !

فاختيار مهنة لا تكلف مشقة فى جمع المال ماهو فى الواقع الا احتجاج مكبوت من جانب المراهق على كثرة مطالب الحياة المادية ، وما تتطلبه من نفقات كثيرة . وقد يحمل هذا الهرب من مسئولية الكسب وجمع المال ، معنى آخر هو رغبته فى الهرب من مسئوليات الحياة عامة !.. فهو اذا توصل الى كسب المال ، فان نتيجة ذلك أن يصبح مسئولا عن نفسه وعن غيره أيضا .. وقد يدفعه المال الى الزواج مثلا ، فيصبح بذلك رب أسرة .. وهو لايريد شيئا من هذه المسئوليات جميعا !

والرغبة فى « الهرب من المسئولية » هى فى بعض الحالات الذريعة التى يلوذ بها بعض الشبان ليعيشوا عالة على غيرهم ، فلا يتكلفون مشقة كسب رزقهم بأنفسهم . وهذا يميط لنا اللثام عن ناحية أخرى من نواحى أخلاق بعض الشبان فى هذه المرحلة وهى «ناحية التخنث» !



ثانيا – قد تظهر لنا « ناحية التخنث» هذه من نوع المهنة التى يرغب فى أن يمتهنها الشاب . كأن نراه يرغب فى فتح متجر للروائح العطرية أو أدوات الزينة ، أو فتح صالون للحلاقة مثلا !

أما عند الفتيات ، فاننا نلتقى بميل مضاد لجنسهن تماما .. وهو الميل الى احتراف مهن الرجال .. وهذا المسلك من جانب الفتيات هو أيضا من المظاهر التى تتميز بها فترة البلوغ . فالفتاة تتمرد على رغبتها فى أن تصبح زوجة أو أما ، وهى وظيفتها الأولى فى الحياة ، وتلك هى الحقيقة التى تواجهها ، ولكنها

تأباها وتهرب منها ٠٠ تماما كما فعل الفتى المراهق فى رفضه وهربه من حقائق الحياة التى تعترض سبيله !

وهنا يجدر بنا أن نكون حذرين ونحن نستعرض هذه الناحية عند الفتيان والفتيات معا ٠ فقد تكون مهنة الرجل التى يقع عليها اختيار الفتاة ، أصلح مهنة لها ٠٠ كما قد تكون مهنة المرأة التى يقع عليها اختيار الفتى ، أصلح مهنة له ٠٠ فالقاعدة هنا ليست على اطلاقها ٠ فمثلا قد تصبح الفتاة طبيبة ، وقد تتخصص فى الجراحة٠ وهذا التخصص على ندرته ، يحدث ٠٠ وهى قد تنبغ فى الجراحة لانها المهنة التى تلائم استعدادها ملاءمة تامة ! ٠٠ الا أننا نلاحظ فى هذه الحالة أن الفتاة الطبيبة التى تختار التخصص فى الجراحة ، انما تختار الأفرع الرقيقة منها ، وذلك كأن تتخصص فى الرمد مثلا ، أو فى نوع الجراحة الذى لا يتنافى مع الذوق ، بالنسبة لمركز المرأة الخاص فى المجتمع !

٠٠ والنتيجة :

• ان التوجيه يجب أن يتم بعد استشارات نفسية عديدة ٠٠ ونظرا لان سن المراهقة هى « سن المقاومة » ، وحيث أن دور الآباء فى التربية يتساوى أثنـاءها مع دور الأبناء ، فمن المستحسن ، وهذه هى الحال ، أن نشرك طرفا ثالثا محايدا فى الدعوى ، على أن لا يكون اختيار هذا الطرف واشراكه محـل معارضة الطفل أو بناء على رغبته ٠٠ فكلا الأمرين حافز على الوقوع فى الخطأ وعدم الوصول الى النتيجة المرموقة !٠٠ ومن الممكن أن يتم التوجيه تدريجا ، وفى أوقات متعددة ، كنتيجة لتطور الطفل عقليا وعاطفيا

وينبغى أن يتناول التوجيـه نواحى متعددة ، وأن يفرض فروضا متنوعة ، لدراستها قبل الحكم النهائى على المراهق ٠ وفى مدارس التدريب المهنى ، من الواجب أن نستعرض شتى أنواع التخصص المهنى قبل اختيار أصلح المهن للفتى المراهق

وقد دل بحث ، أجرى أخيرا في وسط عمالى ضيق ، على أن أغلب هؤلاء العمال قد اختاروا حرفتهم بدافع الكسل والجمود ، وعدم الرغبة فى الكفاح ٠٠ ومبعث الأسف فى هذا ، أن المهنة

ليست وسـيلة لكسب الرزق ، بل هي وسـيلة لازدهار الشخصية ، وتقدم نموها ، وزيادة قدرتها على الانتـاج ، فاختيارها يجب أن يتم اذن على أسـاس ملكات الانسـان واستعداده الحقيقي ، لا على أساس أنها جسر يوصل الى كسب معاش الانسان بطريقة أو بأخرى !

واذن ، فدور التوجيه الأساسي والحقيقي يجب أن يكون في اشعال حماسة المراهق ، لاستخدامها فى الحرفة التى تضمن ازدهار شخصيته وملكاته ٠٠ فبهذا وحده يتوفر له الاستقلال الذى يصبو اليه ويتوق الى تحقيقه !

مع « كازانوفا » ٠٠ الى الشرق

◆ انتهينا مع أمير العشق والغرام « كازانوفا » ، فى الجزء الاول من مذكراته ، الى اقصائه عن المضى فى دراسة اللاهوت ليصبح من رجال الدين ـ فى عصر كان هؤلاء يشتغلون فيه بالسياسة ويتعلقون بالدنيا ـ والى ايفاده كضابط على ظهر سفينة حربية الى الشرق ٠٠ فهيا نصحبه فى رحلته ٠٠

رست البارجة ـ فى طريقها ـ على ميناء « أوديسا » ، فهبط كازانوفا الى البر ، وأخذ يجوس خـــلال المدينة ، فاذا به يصادف رجلا يطيل التحديق فيه ، والتفرس فى ملامحه ، ثم يقترب منه ، فيسأله ان كانت تلك أول مرة يزور فيها المدينة ؟

مصائب قوم ٠٠ عند قوم فوائد !

◆ واذ قلت له اننى زرت المدينة فى العام الماضى ، قال : « ولكنك لم تكن فى الزى العسكرى ، وانما كنت فى زى رجال الدين ٠٠ أليس كذلك ؟ »

ـ بلى ٠٠ ولكن أسئلتك بدأت تثير ظنونى ٠٠

ـ ألا اغفر لى يا سيدى ، فان فضولى وليد العرفان بالفضل ٠٠ اننى مدين لك بالكثير ، وما أرى أن القدر أرسلك مرة أخرى الا لكى تضاعف جمائلكوعرفانى!

وضقت بمعمياته ، فاستحثثته على الايضاح ، واذ ذاك دعانى لتناول الفطور فى بيته ٠٠ وبين أطباق الطعام الشهى ، وأقداح النبيذ المعتق ، شرع يتكلم :

ـ لقد ظللت أمارس الطب والجراحة فى هذا المكان عشرين عاما ، عانيت خلالها الشظف ، اذ لم يكن لدى ما أفعله أللهم الا بعض عمليات «الحجامة» ، وتضميد بعض الجروح التافهة التى لم تكن تدر على مايقيم أودى ٠٠ غير ان الحال تغيرت منذ العام الماضى ، وأخذت المهنة تدر على أرباحا طائلة ٠٠ بفضلك أنت !

ـ ولكن ، كيف كان هذا ؟

ـ لقد قامت بينك ـ خلال زيارتك للمدينة في المرة السابقة ـ وبين خادم الدون جيروم علاقة ماتركت لها فى أعقابها ذكرى ٠٠ هدية ٠٠ خلعتها بدورها على صديق لها ، نقلها بدوره الى زوجته ٠٠ ولم تشأ السيدة ان تكون أنانية ، فوهبت الهدية الى صديق راح يوزعها بسخاء ، فلم ينقض شهر حتى كان لدى خمسون مريضا !٠٠ وأخذ الداء ينتشر ، وعدد المرضى يزداد ٠٠ ولكن عنايتى

بهم مالبثت أن أثمرت ، فأخذ عددهم يتناقص من جديد ، حتى أوشكت أن أعود الى تعطلى القديم ٠٠ فهل يدهشك بعد ذلك اغتباطى بلقائك ؟!

وضحكت من القصة ، ثم أكدت للطبيب اننى شفيت ، فودعنى وهو يؤكد انه سيكون سعيدا بخدمتى اذا عاودنى الداء ٠٠

وعادت السفينة تستأنف رحلتها ، حتى (كورفو) ، حيث كان عليها أن ترسو حتى تلحق بها بارجة « الشيفالييه فينير » قائد أسطول البندقية فى الجزء الشرقى من البحر الأبيض المتوسط ـ وكانت البندقية اذ ذاك سيدة البحار ٠ وغرق « كازانوفا » فى المقامرة ـ خلال الشهر الذى أقامه هناك ـ حتى خسر كل ماكان يحمل من مال وتحف٠٠ ومالبثت بارجة القائد أن وصلت فاستأنف الاسطول الرحلة ٠

يفوت على نفسه فرصة ذهبية !

◆ ووصلنا الى سفارة البندقية فى (بيرا) حوالى منتصف يوليو ، فأعدت مساكن مريحة للضباط ٠٠ وحظيت بمرافق عسكرى يلازمنى ، اذ كان الشعور العدائى ضد الأجانب مشبوبا ٠ وفى اليوم الأول لوصولنا ، اصطحبت تابعى لزيارة «عثمان باشا» والى قرمانيا ٠٠



وهو الاسم واللقب اللذان اتخذهما «كونت دو بونفال » منذ اعتنق الاسلام وارتدى العمامة والزى التركى٠٠ وأبدى « الباشا » عطفا على أمثالى من الشباب الذين يسلمون أقدارهم للحظ ، اذ يمضون فى الحياة بلا هدف معين ، وقال ان الكاردينال قد كتب له عنى بما يجعله يعنى أشد العناية بأمرى ، ووعد بأن يقدمنى الى أربعة من أصدقائه الأتراك ٠ ثم دعانى ليرينى مكتبته التى أقامها فى مبنى خاص بالحديقة ٠٠ وخلف أرفف الكتب ، كشف لى عن مخبأ يضم أشهى أنواع الخمور !٠٠ ثم أبدى رغبته فى أن أتناول الغداء على مائدته فى يوم الخميس من كل أسبوع ٠

وعلى مائدة « الكونت دو بونفال » تعرف « كازانوفا » الى « اسماعيل افندى » و « يوسف على » .. ودعاه كل منهما الى داره .. أما الأول ، فقد خيل الى « كازانوفا » انه يسعى وراء مأرب فيه شيء من الشذوذ ، فأجفل منه ، والتزم الحذر !.. واما الآخر فقد أخلص له الود والوفاء ، وكانت لهما معا مساجلات ومناقشات دينية .. وزعم « كازانوفا » ان « يوسف على » بلغ فى حبه له أن تمنى لو انه اعتنق الاسلام ليزوجه من ابنته « سلمى » - وكانت حسناء باهرة الجمال فى الخامسة عشرة من عمرها - على أن يترك لهما كل ثروته .. ولكن « كازانوفا » كان يتوق الى النجاح ، والشهرة ، والمغامرة .. فما لبث أن رحل مع قطع الاسطول مغادرين تركيا الى (كورفو) ثانية .. وهناك عاش حياة دعة ، وانغمس فى الميسر ، واتفق مع مقامر عريق يدعى « مارولى » على أن يستثمرا مالهما معا فى اللعب ..

ياور .. بدون قفازات !

◆ وكان يشرف علينا فى (كورفو) المقيم العام ، مسيو أندريه دولفين . وكان فى الستين من عمره ، صارما ، عنيدا ، جاهــلا .. وكانت له سلطة واسعة ، لا سيما بين رعايا البندقية . فقد كان فى (كورفو) اذ ذاك ثلاثة من الضباط العاملين ، يشرفون على ثلاث سفن مقيمة فى ميــاه (كورفو) ، وثلاثة ضباط يشرفون على الجنود التابعين للسفن الثلاث . وكان تحت قيادة الأولين عشرةضباط آخرون ، وتحت قيادة الآخرين عشرة أيضا .. كلهم من أبناء الأسرات العريقة فى البندقية .. ثم كان هناك عشرة من التلاميذ البحريين ينتمون الى الأسرات النبيلة فى البندقية ، وتتراوح أعمارهم بين العشرين والثانيــة والعشرين .. فضلا عن عدد من الموظفين المدنيين فى بوليس الجزيرة ، وفى الادارة والقضاء ..

وكانت دور المتزوجين منهم ، تحفل بالزوار الذين يسعون للتقرب الى الزوجات.. بيد أن الجزيرة لم تشهد كثيرا من الفضائح الغرامية . ولعل هذا كان يرجع الى وجود عدد من غانيات اليونان الفاتنات ، اللاتى كن يبعن الهوى لمن يدفع الثمن !

وكانت أبرز السيدات ، وأجملهن ، وأرقهن اذ ذاك ، «مدام ف.» ، زوجة ربان احدى السفن الثلاث .. فقد خلب جمالها ألباب ضباط البحرية ، ولكنها آثرت « د.ر. » - قائد أسطول الزوارق التابع للسفن الثلاث - الذى اختارنى «ياورا» له بمجرد وصولى ، استجابة لخطابات التوصية التى كنت أحملها ..

ورأيت « مدام ف . » للمــرة الأولى ، فى اليوم الذى توليت فيه منصب « الياور » ، اذ ضمتنا مائدة العشاء .. واستهوانى جمالها لأول وهلة ، فقد كان من مستوى غير عادى ، حتى لقد كان من المســتحيل أن لا يقع الرجال فى هواها .. وكان مركزى يتيح لى شرف الجلوس الى مائدة المسيو « د.ر. » كغيرى

من « الياوران » ، ولكنا لم نكن نعتبر ضيوفا ، ولم يكن احد يحفل بالتحدث الينا ٠٠ بل ولا بايثارنا بنظرة !٠٠ وكان هذا يثير سخطى وغيظى ٠٠ حتى اننى احسست ـ بعد نحو عشرة أيام ـ بكراهية لمدام « ف » ، لتعاليها وصلفها ٠٠

وفى ذات ليلة ، دفع أحد السادة فى يدى ، ونحن نغادر مائدة العشاء ، مبلغا من المال كان مدينا لى به فى الميسر ٠ ولمحت مدام «ف» ماجرى ، فسألتنى فجأة : « ماذا تفعل بنقودك ؟ »

قلت : « ادخرها اتقاء الخسارة فى اللعب »

ـ ولكن ٠٠ ألا يحسن بك أن تكف عن اللعب ؟ ٠٠ انه مضيعة للوقت

ـ ان الوقت الذى يبدد فى متعة ليس بالوقت الضائع يا سيدتى ٠٠ انما الوقت الضائع هو ذاك الذى يقضيه الانسان فى هم ، ونكد ٠٠ فانه فى هذه الحال يكون عرضة لأن يقع فريسة للحب ، وأن يلقى من قبلة حبه النبذ والازدراء !

ـ قد يكون هذا صحيحا ، ولكن الادخار يوشك أن يجعل منك شحا بخيلا ٠٠ والمقتر لا يقل عن المحب المتهالك استحقاقا للنبذ والازدراء ٠٠ لم لا تبتاع لنفسك زوجا من القفازات ؟

وأثارت كلماتها ضحك القوم ٠٠ وزادنى غيظا انها كانت على حق ، فما كان للياور أن يحضر مجالس علية القوم ، دون أن يحمل قفازين٠٠ورحت أقضى أيامى بعد ذلك ، ونار الغيظ تكوينى ، ويقض مضجعى نوع من الشقاء استبد بى ، اذ شعرت بعجزى عن كبح جماح كراهيتى لامرأة لم أكن أجد لها ـ فى الحق ـ أى ذنب أو جريرة معى ٠٠ كل ماهنالك انها لم تكن تحبنى ، لا ولا كانت تكرهنى ، وقد أثار مسلكها هذا الطبيعى ثائرتى ، وأخذ غرورى يوحى الى بأن أقدم على شىء يجعلها تندم على هذا المسلك ازائى !

صفعة على وجه كازانوفا = الموت !

◆ وفى ذات مساء ، أوفدنى مسيو « د ٠ ر ٠ » فى مهمة لم أعد منها الا فى منتصف الليل ، فاذا به قد أوى الى مضجعه ٠ لذلك كان أول ما فعلت فى الصباح التالى ، أن سعيت اليه أفضى له بنتيجة مهمتى ٠٠ وفيما كنت بين يديه، أقبل خادم برسالة من مدام « ف » ، فاكفهر وجهه بعد أن قرأها ، ثم مزقهـا وأمر بصرف الخادم الذى حملها ٠٠

وما أن غادرت حجرته فى ذلك المساء ، حتى أنبأنى خادم بأن مدام « ف » أرسلت تدعونى ، فأسرعت الى دارها وانا جد مشـــوق لأن أعرف سر هذه الدعوة ٠٠

وقالت بعد أن جمعت شتات خواطرها : « لقد خسر زوجى ليـلة أمس مائتى قطعة ذهبية ، على المائدة التى يديرها شريكك ، ولم يكن معه المبلغ فتعهد بدفعه

اليوم ، ظنا منه أننى أملك هذا القدر ٠٠ ولكننى للاسف فى ضائقة ، والدين - كما تعلم - دين شرف ، لذلك خطر لى أنك قد تقبل أن تذكر لشريكك اننى دفعت لك المبلغ عن زوجى ، وهاك خاتم ثمين أرهنه لديك حتى أول يناير ٠٠ »

ولكننى أبيت أن أحرمها من الخاتم ، واكتفيت بوثيقة تعهدت فيها بدفع المبلغ ، ثم غادرتها ، وعدت بعد عشر دقائق بمائتى قطعة ذهبية ٠٠ وكان أول ما فعلت ، حين رجعت الى غرفتى ، أن رحت أطمس بالمداد الاسود الكثيف كل كلمة فى الوثيقة ، عدا توقيعها ، وغيبتها فى ظرف ، ثم أسلمتها لمسجل المدينة ، على أن لا يسلمها بدوره لاحد سوى مدام « ف ٠ » اذا شاءت أن تستردها ٠٠

وكان أشد ما أذهلنى أن مدام « ف » ظلت على نفس مسلكها السابق معى ، وان بدأت - كلما جاء مجلسها فى مواجهتى حول المائدة - تؤثرنى ببعض الحديث ، فأتاحت لى بذلك فرصا كى أكشف عن ثقافتى ، وذكائى ! ٠٠ وكنت فى ذلك الحين أجيد اضحاك الغير برواياتى وفكاهاتى ، دون أن تهتز جارحة واحدة فى جسدى أو وجهى ! ٠٠ وهى ميزة ليست بالسهلة ، فكلما بدا المرء جادا ، كان ضحك المستمع أكثر !

وحوالى منتصف نوفمبر ، مرض الجندى الذى كان معينا تابعا لى ٠٠ وفى لحظة من لحظات استفحال الداء ، طلب أن يرى قسا ، وأوهمه بأنه ابن الملك «فرانسوا الخامس » من الاميرة « جابرييل دى بليسى »٠٠وأعطاه وثيقة أوصى فيها بالحرص على جسده ، والاتصال بسفير فرنسا فى البندقية ٠٠

وضحكت من هذه القصة حين سمعتها ٠٠ ولكن السادة الذين كان يضمهم مجلس المسيو « د ٠ ر ٠ » لم يخالجهم شك فى صحتها ، فليس يعقل أن يفترى مخلوق وهو على عتبات الموت ! ٠٠ وعبثا حاولت أن أقنعهم بأن « فرانسوا الخامس » لم يتزوج قط من آل « بليسى » ، وان أخلاق ذلك الجندى لا تنم عن عراقة أصل أو نبل محتد ٠٠ ولكننى لم أقابل بغير ضحكات السخرية ٠٠

وحدث أن تغلب الجندى على المرض ٠٠ وما أن غادر المستشفى ، حتى دعاه مسيو « د ٠ ر ٠ » الى مأدبة عشاء ، أخذت خلالها السيدات يتقربن اليه ، والرجال يتملقونه ويعاملونه على أنه أمير ٠٠ وشاءت احدى الحسناوات أن تحرجنى أمامه ، فذكرت له أننى أؤكد أن روايته عن نسبه زائفة

وشحب وجه الرجل الذى كان قبل ذلك بأيام خادما لى ٠٠ ثم تقدم وصفعنى ٠٠ ولولا خشيتى من نقمة رئيسى لنكلت به ٠٠ ولذا آثرت الانسحاب بين ضحكات القوم الشامتة ، ثم تربصت له فى ركن مظلم من الطريق ، حتى اذا انصرف ، تصديت له ، ودعوته للنزال ٠٠ ثم غسلت الاهانة التى نالتنى منه ٠٠ وما أن رأيت جثته عند قدمى ، حتى ذهبت الى المقهى الذى كنا نديره للميسر ، فما لبث أن جاءنى ضابط يعلمنى بأن القائد يأمرنى بأن أسلم نفسى

كسجين على ظهر البارجة « باستر ادا » ٠٠ وكان السجين على هذه السفينة يعامل أسوأ معاملة ، فتكبل يداه وساقاه بالاغلال !

وبادر « كازانوفا » الى جمع كل ما كان لديه من مال ، وكل ما استطاع شريكه أن يعطيه ، ثم حزم ما كانت تدعو اليه الضرورة من متاع ، واستقل زورقا راح يجذف فيه ، حتى صادف سفينة أنزلته فى جزيرة على بعد عشرين ميلا من (كورفو) ٠٠ وهناك ، استأجر منزلا على قمة مرتفع يشرف على البحر ، واستخدم بعض الاهالى أعد منهم حرسا له ، ثم عاش فى ترف محيطا نفسه بعدد من حسان الجزيرة ، لمدة أسبوع أو عشرة أيام ٠٠ وفى ذات يوم ، بدت فى البحر بارجة ، لم تكد تقترب من الجزيرة حتى أنزل منها قارب فيه ضابط وجنديان ، أخذ يتجه الى الشاطىء ٠٠ وسرعان ما قاد حرس « كازانوفا » الضابط الى «مولاهم» فاذا به « ياور » زميل له ، أوفد اليه لينبئه بأن خدعة الجندى قد كشفت ، وان القائد قد عفا عنه ، على شريطة أن يعود فيسلم نفسه لقائد البارجة « باستر ادا » ريثما يصدر أمر العفو ، صونا لكرامة القائد وسلطته ٠٠ وهكذا عاد « كازانوفا » ثانية الى (كورفو) ٠٠ وفعلا لم يقض فى سجن البارجة ساعة ، حتى أطلق سراحه ٠٠

عودة البطل !

◆ وما أن ظهرت فى مجلس المسيو « د ٠ ر ٠ » ، حتى قرأت السرور على كل وجه ، وكان فى هذا خير عزاء أنسانى كل شىء ٠٠ واحتضننى المسيو « د ٠ ر ٠ » ، وقدم لى خاتما ثمينا ، ثم قال : « ما أظنك تتصور مدى اهتمام مدام « ف ٠ » بمصيرك ٠٠ لسوف تغتبط اذا أنت ذهبت اليها فورا » ٠٠

ولكن « كازانوفا » وجدها مستسلمة للنوم حين ذهب ، فقضى ساعة مع خادمها الحسناء ، ثم قصد الى دار القائد ، فتلقاه هذا وهو محوط بكثير من الاصدقاء والضيوف ٠٠ وغمره بعطفه ، وسأله أن يروى له ما جرى ٠٠ فأخذ يروى قصته ، والكل يصغون معربين عن اعجابهم ٠

الرقة ٠٠ والشهامة ٠٠ تلفتان نظر النساء !

◆ وذات صباح ، تلقيت دعوة من مدام « ف » ، فقصدت اليها فورا ، واذا بها ترد لى القطع الذهبية التى كانت قد اقترضتها منى ٠٠ وبادرت الى المسجل ، فأحضرت لها الوثيقة ٠ وما أن رأت كيف طمست الكلمات ، حتى هتفت : « ياله من برهان على مدى رقتك وشهامتك ٠٠ لقد تصرفت بنبل كبير » ٠٠

على أننى حرت فى أمرها حين وجدت انها قد عادت مرة أخرى الى مسلكها القديم من التعالى وعدم الاكتراث

وفى أحد الايام دعيت الى مرافقة مسيو « ف » فى بعض المناورات ٠٠ فلما

عدنا ، طلب الى مسيو « د . ر . » أن ينزل له عنى .. وأدركت ان مدام « ف » كانت وراء هذا الطلب ، حين ألفيت مسيو « د . ر . » يستجيب ، فأغدو ياورا للمسيو « ف » .. وأفردت لى حجرة مجاورة لحجرة السيدة الفاتنة، ولكنها ظلت على فتورها نحوى ..

وقدر له يوما أن يسرق خصلة من شعرها ، فلما أصرت على استردادها ، استجاب لرغبتها ، ثم تمارض ، فأشفقت عليه ، ورق قلبها له ، فأعطته بعض شعرها .. وفى الحال ، نسج من جزء من الشعر الحروف الاولى من اسمه واسمها ، على عصابة من الحرير الاخضر ، أحاط بها ذراعه .. كما جدل بجزء آخر حبلا صغيرا عقده حول رقبته لينتحر به اذا ما يئس من هواه المبرح .. ثم بخل بالشعيرات التى تخلفت عن العمليتين أن تذهب فى الهواء ، فأحرقها ، وعهد بها الى يهودى يصنع الحلوى ، فأعد له نوعا من الحلوى خلط به رماد الشعر .. واعتز بهذه الحلوى ، فلم يكن يسمح لاحد بأى جزء منها ، مما آثار فضول السيدة « ف » ، فراحت تستفسره عنها

أخيرا .. تستجيب المتمنعة !

◆ وقلت لها ان الحلوى مصنوعة من مواد تجعل من يتناولها يتدله فى حبها ، فلم يزدها هذا الا اصرارا على معرفة سرها .. وفتحت الصندوق ، فتناولت ما تبقى من محتوياته ، ودسسته فى فمى دفعة واحدة وقلت : « ان كمية أخرى من هذه الحلوى كفيلة بأن تجعلنى أموت وأنا مجنون بحبك ، واذ ذاك .. »

وهممت بالخروج ، فأمسكت بذراعى ، وأجلستنى فى مقعد بالقرب منها ، وراحت تهيب بى أن لا أرتكب من الحماقات ما يعكر سعادتها .. ثم قالت: « انك لتعرف مدى حبى لك .. حبا لم يجتلب بعقار ما » .. واذ ذاك ركعت عند قدميها ، وأغرورقت عيناى بدموع العرفان والحب ، ورحت أروى لها ما فعلت بشعرها ، وكشفت عن العصابة المحيطة بذراعى ، والحبل المحيط بعنقى .. فابتسمت وأنهضتنى وجففت دموعى، مؤكدة أننى لن أجد داعيا قط لأن أختق نفسى بالحبل المجدول من شعرها ! ولم تفرغ من قولها حتى التقت شفاهنا فى وئام هنىء . وضمتنى الى صدرها



فى شدة لم أستطع معها أن أحرك يدى ٠٠ وبعد عناق لذيذ ، سألتها أن تسمح لى ببعض المداعبات ، فقالت :

ـ مستحيل يا أحب صديق ٠٠ ان الحب طفل يجب ارضاؤه بالتوافه ، لان الاكل الدسم يقتله !

وصدعت لرغبتها ، وان رحت أرجو أن تتغلب الايام على تمنعها ، فقد كان الحظ دائما صديقى الذى أدين له بالفضل فى كثير مما نالنى من هناء !

وحدث أن أصيبت مدام « ف » ذات يوم بجرح عميق فى ساقها ، خيف أن يتطور الى ما هو أسوأ ، اذ لم تلق عناية بالغة ٠٠ ومن ثم أخذ يتردد عليها فى كل صباح طبيب يقوم بتنظيف الجرح ومعالجته ٠ ولم تكن تشهد هذه العملية سوى وصيفتها ٠ ولكننى كنت أقف كل يوم الى جوار الباب ، فى انتظار الوصيفة لاسألها فى لهفة عن حال الفاتنة ٠٠ الى أن جاءتنى الوصيفة ذات صباح ، تدعونى الى الغرفة والطبيب يضمد الجرح ٠

وكان الطبيب منهمكا فى اعداد الضمادة فى الطرف الآخر من الحجرة حين دخلت ٠ واذ خرجت الوصيفة ، رحت أتحسس ما حول الجرح وأسألها ما اذا كانت تشعر بألم ٠٠ ولم يكن ثمة التهاب ٠٠ وقبل أن تتوغل أصابعى ، جذبت المريضة الحبيبة ستارا حجبنا عن الطبيب ، وجادت على بقبلة جميلة أدار شذاها رأسى ٠٠ وانتقلت شفتاى من فمها الى الجرح !

ودخلت مخدعها فى الصباح التالى ، والطبيب يعنى بجرحها ٠٠ وما أن غادرها منصرفا ، حتى سألتنى أن أسوى الوسائد حولها ٠٠ وفيما هى تعتدل فى فراشها ، انزاح طرف ثوبها ، فبهر جمال ساقيها عينى ٠٠

وفى الصباح التالى ، لم يكد الطبيب ينصرف ، حتى أوفدت الوصيفة فى بعض المهام ٠ وهتفت بعد خروج الفتاة :

ـ آه ٠٠ لقد نسيت أن تبدل لى قميصى ٠٠

فسألتها أن تسمح لى بأن أقوم بالمهمة ، فقالت :

ـ ليكن ٠٠ انما تذكر أننى لا أسمح لغير نظراتك بأن تستغل الفرصة !

وخلعت القميص المتسخ ٠٠ ولم أكن سريعا فى الباسها القميص النظيف ، فقد شغلت بالتهام مفاتن جسدها بنظراتى ٠٠ وأخذت أطرافى ترتعش حتى أشفقت على ٠٠ وهويت فى أحضانها ، والتصقت شفاهنا ٠٠ ونعمنا بلحظات هنيئة لم تطفىء سعير رغباتنا ، ولكنها خلعت عليها تسرية مموهة !

وأخذ الجرح يقترب سريعا من البرء ٠٠ وفى ذات يوم ، رحل مسيو « ف » الى موقع بعض المناورات البحرية ، على أن ألحق به فى الصباح التالى ٠٠

وتناولت العشاء مع مدام « ف » وحدنا ٠٠ وقالت : « لنعوض فى هذا المساء ما ستعانى غدا من فراق ، ولنقض الليل معا فى مناجاة ٠٠ فاذا ما انصرفت الوصيفة بعد أن آوى الى مضجعى ، فتعال عن طريق غرفة زوجى ٠٠ »

(يتبع)



اله .. يخدم البشر !

◆ رويت لك فى الاسطورة السابقة بعضا من غزوات كبير الآلهة «زيوس» الغرامية .. تلك الغزوات التى ملأت قلب زوجته «هيرا» بالغيرة والحقد ، ودفعتها الى الانتقام من منافساتها ، والتخلص منهن واحدة تلو الأخرى !

واليوم ، أقدم لك حلقة جديدة من تلك الاساطير الاغريقية القديمة ، تتناول تاريخ «أبوللو» ابن «زيوس» ، وخدماته التى أداها للبشر .. الذين كانوا يتمتعون بعطفه !

أبوللو

◆ هو ابن « زيوس » كبير الآلهة ، من زوجته « لاتونا » ، وهو شقيق توأم لربة الصيد والقمر « ديانا » .. وقد جمع أبوللو بين الالوهية فى عدة نواح : فهو رب الشعر ، والموسيقى ، والشمس ، والتنبؤ ، والشفاء ، والطهارة ، والشباب .. الخ . وقد كانت لكل من هذه المهن مستلزماتها : فالمزمار والعود للغناء والموسيقى .. والركيزة ذات القوائم الثلاث ترمز الى وحيه الذى يمد به الشعراء .. أما اكليل الغار ، أو غصنه ، فجائزة النصر .. وأما عصا الراعى فتشير الى خدماته كحام لحمى قطعان الماشية .. ثم هناك القوس والسهم والجعبة ، وكلها للعقاب .. الخ

وقد كان أبوللو المثل الأعلى للجمال الاغريقى والفتوة عند الشباب .. وكان يتميز بخصلات شعره الذهبية ، ويصور دائما عاريا ، حاملا قوسه .. وبصفته الها للشمس كان يجلس فى عربته العسجدية التى تجرها الجياد المجنحة ، ترافقه الساعات والفصول .. وكاله للموسيقى كان يرتدى عباءة طويلة فضفاضة ، ويتوج رأسه اكليل من الغار ، ويحمل قيثارته المشهورة ..

واليك أشهر القصص الاسطورية التى تروى عن أبوللو :

اضطهاد «الضرة» لضرتها !

◆ قبل أن يولد أبوللو وشقيقته التوأم «ديانا» ، كانت «هيرا» الحقودة ـ زوجة أبيهما زيوس ـ قد طردت أمهما «لاتونا» من السماء ، بدافع الغيرة ، وأرسلت فى أعقابها افعوانا ضخما اسمه «بوتو» كى يطاردها أينما ذهبت .. فظلت «لاتونا» التعسة تنتقل من مكان الى مكان ، تبحث عن ملجأ تأوى اليه .. ولكن دون جدوى ، لأن « الارض » ـ «جيا» ـ من فرط خوفها من غضب ملكة السماء، لم تيسر لها مكانا تلجأ اليه .. وفى النهاية أرسل رب البحر « بوسايدون » حوتا ضخما حملها الى جزيرة عائمة ، لم يلبث زيوس أن ثبتها كى تكون لها مقرا مريحا أمينا .. وهناك وضعت لاتونا توأميها أبوللو وديانا ، اللذين صارا فيما بعد أشهر الآلهة قاطبة !

بيد أن اضطهاد «هيرا» للاتونا لم يكن قد انتهى بعد ! كان على التعسة أن تغادر الجزيرة التى أوت اليها ، لتجوس خلال الارض من جديد .. وفى جزيرة (كاريا) أهانها بعض الفلاحين ـ وكانت قد سألتهم أن يمدوها ببعض الماء من غدير كانوا يجلسون بجواره ـ فما كان من زيوس الا أن مسخهم جميعا الى ضفادع كبيرة خضراء ، عقابا لهم ! .. على أن غضب هيرا لم يفلح فى فرض العزلة على والدة أبوللو وديانا ، وتشريدها الى الابد ، فقد حل الوقت الذى أعيد فيه اعتبارها وأحيطت بالتكريم والتبجيل ، هى وأبناؤها المشهورون ، رب الشمس وربة القمر .. ثم لم تلبث أن شيدت المعابد لتكريمها فى كثير من البلاد ، ومن بينها مصر !

ينجب طبيبا عظيما !

◆ وقضى أبوللو شطرا من طفولته فى جزيرة « الهوبربوريين » الذين كانوا يعيشون فى سعادة دائمة ، يعمهم العدل والوفاق ، وتطلع عليهم شمس الربيع الدائم ، بمختلف أزهاره وأعشابه .. كما يخصهم الآلهة بحبهم ويزورونهم فى كل مناسبة !

وكان أبوللو منذ طفولته أجمل الآلهة أجمعين ، تتوج رأسه المتلألئة أوراق الغار ، واشتهر بينهم كشاعر قدير ينشد أشعاره العذبة وهو يعزف على قيثارته ذات الاوتار السبعة أعذب الالحان ..

على أنه كان يتطلع من حين لآخر الى حب عذراء من البشر أو من أنصاف البشر ! .. ولم يكد يقع فى هوى احدى هؤلاء العذارى ، وتدعى «كورونيس» ، حتى أنجب منها غلاما أطلق عليه اسم « ايسكولابيوس » ..

واختير « القنطور خيرون » ـ الذى اشتهر بحكمته وعدالته ومهارته فى كثير

من الفنون ـ لتدريب « ايسكولابيوس » على فنون الطب ، فأحسن تدريبه حتى أصبح التلميذ طبيبا ماهرا ، قادرا على اعادة الحياة الى الموتى ! ٠٠ ومن ثم قصده الناس من كل حدب وصوب لنيل الشفاء على يديه !

وحدث أن أعاد « أيسكولابيوس » الحياة الى رجل ميت ، فشيدت المعابد تبجيلا له واعترافا بفضله ، وأخذت وفود المرضى تحج الى هذه المعابد ، ملتمسة البرء على أيدى كهنة « أيسكولابيوس » ومعاونيه ٠ وكثيرا ما كانت تحدث المعجزات ، فيشفى المرضى بعد ليلة واحدة يقضونها فى ساحات تلك المعابد ، أو بمجرد لمسة واحدة من أحد الثعابين المقدسة التى كانت محفوظة بداخلها !!

واذ كان زيوس ـ جد الطبيب أيسكولابيوس ـ كزوجته «هيرا» ، ذا طبيعة من نوع حقود ، حاسد ، فقد شعر بالغيرة ، ونظر بعين الحسد الى تلك الامجاد التى خلعها البشر على هذا السيد العظيم ، وذلك النطاسى البارع ، ثم أمر « بلوتو » اله الجحيم ، بأن يرمى « أيسكولابيوس » باحدى صواعقه التى أنهت حياته على الارض !

وثار «أبوللو» لما لحق بابنه ، وقرر أن ينتقم له من اله النار ، والكوكلوييس الذين صنعوا الصاعقة التى قضت على ابنه ، فصوب سهامه الفضية وأخذ يطلقها عليهم ٠ الا أن « زيوس » لم يكن ليسمح بأن يلحق أولئك الصناع « النافعين » أدنى أذى ، ومن ثم عاقب ابنه « أبوللو» على فعلته بالنفى عاما الى دنيا البشر ، ليقوم هناك بخدمة بعض الافراد !

«أبوللو» ٠٠ يعاون «كيوبيد» !

◆ هبط أبوللو من جبل الأوليمب ، والتحق بخدمة « أدميتوس » ملك (فيراى) الذى أقامه راعيا على قطعانه التى ترعى على ضفاف نهر أمفروسوس ٠ وسرعان ما أدرك هذا الملك أن راعيه ليس شخصا عاديا ، ومن ثم كان من أحب الأشياء الى قلبه ، أن يستمع الى تلك الاغنيات التى كان الاله المنفى يتسلى بترديدها ، وهو يمضى الساعات الطويلة بجوار النهر ٠٠

وحدث أن رغب الملك « أدميتوس » فى الزواج من « ألكيسيتس » ، ابنة « بيلياس » ، الذى كان قد قرر ألا يزوج ابنته الا ممن يأتى اليها فى عربة تجرها الأسود والخنازير البرية ! ٠٠ وكان هذا الشرط يبدو ضربا من المستحيل ٠٠ ولكن أبوللو هرع الى مساعدة الملك ، اذ أمده بعربة يجرها أسد وخنزير برى ٠ وهكذا فاز « أدميتوس » بيد « ألكيسيتس » !

أمين سلامه



الحضارة التى تلت حضارة النيل ، فى عراقتها

◆ قرأنا معا فى الاعداد السابقة الفصلين الأولين من هذا الكتاب الذى وضعه المؤرخ والصحفى الفرنسى « رينيه سيديلو » واستعرض فيه « تاريخ العالم فى ٢٤٠ صفحة » فى اسلوب يجعل التاريخ رواية ، أو « حكاية » مسلية ٠ وقد تناول فى الفصلين الأولين : نشأة الانسان وحياته فيما قبل التاريخ ، ثم الحضارات الاولى فى العالم ٠ واليوم ، نبدأ معا الفصل الثالث الذى خصصه للحديث عن « عصر الاغريق »

عصر الاغريق

أصل الجنس اليونانى

◆ انبعث أسمى درس فى الحياة المتحضرة ، من بقعة صغيرة تقع عند انحدار جبال البلقان والتقائها بالبحر الأبيض المتوسط ٠ تلك هى « اليونان » ٠٠ بلاد جبلية ، فقيرة ، اوتيت أرضا زراعية خصبة ، ولكنها خلو من معظم المواد الأولية ٠٠ بيد ان البحر الأبيض المتوسط عوضها عن ذلك ، ومكن لأبنائها من ان يدخلوا الى التاريخ كتجار ، وملاحين ، وقراصنة !

ولقد كانت بلاد اليونان بوتقة صهرت عدة عناصر ودماء ، ومزجتها لتنتج الشعب الذى ثبت فى الارض جذور أول حضارة عرفتها أوربا ٠٠ فكان هناك ـ فى سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد ـ « الأخايان » Achaeans و « البلاسجى » Pelasgi ٠٠ ثم « الايوليان » Aeolians و « اليونيان » Ionians وهما من القبائل الهندية الأوربية ٠ وما لبث ان أقبل « الدوريان » Dorians ـ وهم فرع من قبائل الشمال ـ فتغلبوا على

القبائل والعناصر التى سبقتهم الى اليونان وسيطروا على البلاد وأهلها ، كما حدث فى « اسبرطة » • ولقد اضطر بعض السكان السابقين الى الهجرة ، فلجأ « الأخايان » الى البحر ، وانطلقوا يحتلون سواحل البحر الأبيض المتوسط ، وآسيا الصغرى • ومن المؤرخين من يرى ان الحرب الطروادية لم تكن سوى تصوير شعرى خيالى مقتبس عن الصراع الذى دار بين أهالى تلك البلاد وبين الغزاة الوافدين من « الأخايان » تحت قيادة « أجا ممنون » فى سنة ١١٨٠ قبل الميلاد • ولعل قصة حصان طروادة كانت مجرد رمز لبدء استخدام الخيل فى الحروب وظهور الفرسان ، اذ كان المتبع ان يكون المحاربون اما مشاة ، واما على عجلات تجرها الخيل •

ونشأ عن هذه الهجرة المزدوجة •• هجرة « الدوريان » لاحتلال بلاد اليونان ، وهجرة السكان السابقين فى طول وعرض بحر ايجه ، قيام مدن لم تلبث ان صارت مراكز للتجارة ، مثل (ازمير) و (ساموس) • وكان الشبان والهاربون السياسيون يحملون معهم تقاليدهم القومية ولغتهم الى أقاصى الارض • وسرعان ما سيطر الملاحون الاغريق على امبراطورية الفينيقيين المتداعية ، واستعمروا كل أرض صادفتهم فى حوض البحر الأبيض المتوسط : ففى سعيهم شرقا أنشأوا (بيزنطة) ــ سنة ٧٠٠ ق • م ــ واجتازوا البسفور ، وأقاموا المستعمرات فى حوض البحر الأسود • وفى سعيهم جنوبا أقاموا محطات للتجارة فى مصر ــ سنة ٦٥٨ ق • م ــ وأخرى فى ليبيا • أما غربا فاجتاحوا صقلية ، وايطاليا ــ سنة ٦٠٠ ق • م ــ حيث شيدوا (بارثينوب) ــ التى عرفت فيما بعد باسم « نابولى » ــ و (ماسيليا) التى كان الفينيقيون قد أنشأوا نواتها ، والتى عرفت فيما بعد باسم (مارسيليا) ــ باضافة الراء ــ وبلغ الاغريق ، فى انطلاقهم بتجارتهم ، اسبانيا ــ فى سنة ٤٠٠ ق • م ــ وعلى الرغم مما كانوا يجنون من أرباح مادية ، فان الأجانب الذين اتجروا معهم كانوا أكثر منهم ربحا ، اذ تلقوا عنهم دروسا فى « الحضارة » !

نشأة المدن اليونانية

◆ أما فى بلاد اليونان ذاتها ، فقد نمت القرى الى مدن ، وتوفرت فى (كورنثة) كافة صفات العواصم ، وغدت (ايجينا) بمثابة « بورصة » تجارية ، كما أصبحت (كيوس) سوقا للرقيق ، و (بيرا) مخزنا للسلع الواردة • أما البقاع الداخلية فقد ظلت خاملة ، حتى ان (أثينا) لم تكن تنتج سوى ثلث ما يستهلكه أهلها من القمح • ولم تكن بساتين التين والزيتون ومناحل العسل فيها بكافية لأن تدر عليها ثروة تذكر • أما الصناعة لدى الاغريق فكانت فى بدايتها ، وكان الصناع يستعملون أيديهم وبعض الأدوات

الحديدية البسيطة ، و « الرافعة » الخشبية ، و « المنفاخ » الجلدى ٠٠ الخ ٠ وكانت الطرق بدائية غير ممهدة ، والسلع تنقل على ظهور البغال والحمير ٠٠ واذ كان ترويض الحيوان فى بدايته ، فقد كان الآدميون يجرون عربات النقل أحيانا ٠ وكان القوم يكفون عن ارتياد البحار فى الشتاء ، وفى ساعات الليل ٠٠ وكان الملاحون تحت رحمة الرياح ، اذ لم يكونوا قد عرفوا « الدفة » الثابتة ، ومن ثم كانوا يحرصون على ان لا يثقلوا مراكبهم بالحمولات التى ينقلونها ٠ ولكن الحاجة لم تلبث ان هدتهم الى استعمال المجاذيف العديدة للمركب الواحد ، فانطلقوا يحملون حضارة الاغريق عبر البحار

بذور انهيار دولة الاغريق !

◆ على ان هؤلاء الاغريق الذين آثرتهم السماء بالنعم والخيرات ، أوتوا بعض عيوب ومثالب خطيرة ، فلم يكونوا لصوصا فقط ، بل كانوا كذابين ، وغشاشين ! ٠٠ وكانوا بفطرتهم سياسيين ، كما كانت الغيرة تشتد بين بعضهم البعض فى القرى ومحطات التجارة والحرف ، الى حد العنف ! ٠٠ وكانت المنافسة قانون حياتهم ، والفوضى اسلوبهم ، والاقتتال أكثر شيوعا بينهم من التفاهم ! بل لقد كانوا يعجزون عن التهادن والاتحاد ولو فى الفترات التى كانت تتهددهم فيها الاخطار من الخارج ، اذ كانت مصالحهم الخاصة دائما مقدمة على المصالح العامة ! ـ حتى ليعزى سبب انهيار دولة الاغريق الى عدم اتحاد مدنها ـ واذا كانت (روما) قد خلقت نظام الدولة فى أوربا ، فان بلاد اليونان لم تنتج سوى مدن متحاربة بعضها ضد بعض ! ٠٠ وقد بلغت هذه الظاهرة أوجها حين بلغت اليونان أقصى مجدها ، فمهدت السبيل لانهيارها !

على ان ديموقراطية الاغريق ظلت متشبثة بحكم الأعيان ٠ وعندما بلغ عدد سكان (أثينا) ٤٥٠٫٠٠٠ نسمة ، كان منهم ٢٥٠٫٠٠٠ من الرقيق ، وأكثر من ٨٠٫٠٠٠ من الأجانب ، والباقون وعددهم ١٢٠٫٠٠٠ مواطن هم فقط الذين كانوا يتمتعون بالحقوق المدنية ٠ فاذا استثنينا منهم الاطفال والنساء ، وجدنا ان عدد من كان لهم حق الاشتراك فى الشئون العامة لم يكن يتجاوز ٣٠٫٠٠٠ أو ٤٠٫٠٠٠ شخص ٠ وهكذا كانت الديموقراطية قاصرة على فريق من الأخصاء ، فلم يكن يمارس الحقوق السياسية سوى واحد من كل خمسة عشر رجلا ! وكانت هذه الديموقراطية لا تشمل الا المواطنين الذين ولدوا من آباء يتمتعون بالرعوية الاغريقية ٠ ولما كانت البلاد فى حاجة الى القوى البشرية لحمل الأثقال وجر العربات ، والتجذيف فى السفن ، لذلك لم تحفل بمناقشة شرعية الرق ، ولم تعن بتبين محاسنه ومساوئه ٠ وكانت هذه الديموقراطية تحمل فى طياتها بذور الدمار ، لانها لم تلبث أن انساقت الى النظام « الديماجوجى » ـ أى الذى يسلم فيه الشعب شئونه الى زعيم شعبى ـ

ومن ناحية أخرى كان حرص الشعب على ديموقراطيته يجعله يخشى استفحال نفوذ الزعامة ويسعى الى هدمها ، وبذلك قضى على النخبة الراقية فأضعف من قدرة (أثينا) على مقاومة العدوان ، مما اضطرها الى ان تحنى رأسها لاسبرطة ، ومما أدى الى انصياع اليونان بأسرها للبرابرة !

اسبرطه ٠٠ أو الحياة فى الثكنات العسكرية !

◆ كانت (اسبرطة) تختلف عن غيرها من مدن الاغريق ، فهى لم تسر على النهج الذى سلكته تلك المدن فى تقدمها ، بل انتقلت بعد غزو «الدوريان» لها من النظام الملكى الى النظام الارستقراطى ، وظلت ثابتة عليه ، فلم تعرف الجور والطغيان ، ولا عرفت الديموقراطية ٠ ولم يكن هذا الجمود السياسى سوى مظهر لعجزها عن التطور والتوسع ٠ وكانت طبيعة نظامها الاقتصادى مظهرا آخر لذلك العجز ، اذ انها لم تقبل على التجارة ولا على الهجرة والانتشار فى الارض ، وانما كانت منصرفة الى كفاية نفسها بنفسها ، والى ممارسةالتدريب الحربى ، كفن ٠٠فكانت حياة اسبرطة بأسرها موقوفة على الحاجات العسكرية ٠ وكان الصغار من أبناء الدولة يشبون منذ حداثتهم ويظلون طيلة أعمارهم يحملون السلاح ، فكانت المدينة فى تعبئة عسكرية مستمرة ٠٠ ولم يكونوا يسمحون لشىء بأن يصرفهم عن الروح العسكرية ، فلم يكن للشعر والعبادة والفلسفة مكانة لديهم ٠٠ وكانوا يزدرون الفنون ٠٠ وتحولوا عن الذهب والفضة فلم يصنعوا عملاتهم النقدية الا من الحديد ٠٠ وكانت الحياة المشتركة فى الثكنات هى الشائعة ٠٠

طبقات المجتمع فى اسبرطه

◆ وكان المجتمع يتألف من أربع طبقات ، تقوم بينها فواصل صارمة : طبقة النبلاء الذين ينحدرون من اصلاب « الدوريان » مباشرة ويتمتعون بكافة الحقوق السياسية ، وكانوا بضعة آلاف يتقاسمون الأرض بالتساوى ، وكانت ملكية الارض تنتقل عند وفاة صاحبها الى الابن الأكبر ٠ كما كان من المحرم على أبناء هذه الطبقة أن يمتلكوا شيئا من المعادن النفيسة ، اتقاء لغوايات الترف ! ٠٠ وهكذا كان المصير الأوحد لهم ان يكونوا محاربين ٠٠

اما الطبقة الثانية التى تلى هؤلاء فكانت طبقة من الأحرار الذين لا يحق لهم ان يمتلكوا الأرض ـ داخل نطاق المدينة ـ وانما يمارسون الحرف والتجارة ٠ وكانوا يدفعون ضرائب مستمرة ومنتظمة ، ويدعون للخدمة العسكرية ٠

ثم كانت هناك طبقة عبيد الارض ، الذين يعملون فى الأرض ، وطبقة العبيد الذين يمتلكهم الافراد ٠ وهكذا كان المجتمع الاسبرطى يتألف من ثلاث فئات : قوم يحكمون ، وقوم يدفعون ، وقوم يخدمون ٠٠ وجميعهم مطالبون بأن يقاتلوا ـ اذا دعت الضرورة ـ من اجل عظمة اسبرطة !

(يتبع)



أعمدة الحكمة بمعبد (دندرة)
(تصوير الاستاذ يوسف عبد الشهيد المحامى)



العذراء والحمل ..

لوحة من روائع فن « دل سارتو » ، معروضة بكاتدرائية (بيزا)



لوحة الغلاف

فى عدد سابق قدمت لك الرسام الفرنسى "جان باتيست جروز" (١٧٢٥-١٨٠٥) .. وكان هذا الفنان قد اختص برسم الأطفال فى الفترة السابقة للثورة الفرنسية، وقت ان كانت البساطة، أو القرب من الطبيعة، هى سمة المجتمع الفرنسى، كرد فعل للتخمة التى أصابته من طول عهده بالتكلف والرذيلة .. على ان عهد الإرهاب لم يلبث أن أطلق العنان لغرائزه البدائية، فبددت حلم "الرومانتكيين" بعصرهم الذهبى المثالى !.. ومع ذلك ظل "جروز" وفيا للمذهب، داعية للبساطة فى مختلف صورها ومعانيها، سواء فى دنيا الأطفال أو دنيا الكبار !..

وقد وصفت "مدام رولان" فى احد خطاباتها المأثورة، اللوحة التى اقدمها لك فى صدر هذا العدد - والمعروضة الآن فى متحف "اللوفر" بباريس - بقولها: "انها تمثل فتاة ساذجة، جذابة، متوردة الخدين .. كسرت جرتها، لكنها ظلت ممسكة بحطامها، بجوار النافورة التى وقع عندها "الحادث" وقد اتسعت حدقتاها، ومازال فمها فاغرا .. انها تتساءل: كيف تروى "المكروه" الذى وقع .. وهل تراها مستحقة للوم من أجله، أم لا ؟.. وان كان لا يبدو عليها الندم الكافى لأن يحملها على عدم التردد على النافورة مرة أخرى !"

كتابى

شركة فن الطباعة ٥٨١٤٩